

ضبط الرعاع

حوارات أجراها معه:
ديفيد بارساميان

ترجمة:
هيثم علي حجازي

الأهلية
للنشر والتوزيع

خَبْطُ الرَّعاع

نعوم تشومسكي

ضبط الرعاع

حوارات أجراها معه:
ديڤيد بارساميان

ترجمة:
هيثم علي حجازي

الأهلية للنشر والتوزيع

الأهليـــة للنشـــر والتــوزيع
المملكة الأردنية الهاشمية - عمـان / وسط البلد
خلف مطعم القدس ؛ ص . ب ٧٧٧٢
هـاتف ٦٣٨٦٨٨ - فاكـس ٦٥٧٤٤٥

منشورات الأهلية لعـام ١٩٩٧
نعوم تشومسكي / ضبط الرعـاع
الطبعة العربية الأولى

تصميم الغـلاف ®
التنضيـد : روعـة للخدمات الطباعيـة

طبع في لبنان
على مطابع شركة الطبع والنشر اللبنانية
هاتف : ٥٨٢٨٦٦ - ٨٨٣٥٥٧ - ٨٨٣١٥٢

مقدمة

هذا الكتاب تكملة لكتاب Chronicles of Dissent. وفي هذه المجموعة من المقابلات، يركز نعوم تشومسكي على قضايا الاقتصاد والتجارة والنظام العالمي الجديد الآخذ بالبزوغ. وفي حين تقدم وسائل الاعلام لنا وجبة و.ج. سمبسون وتونيا هاردنغ، فان تحولات هامة تحدث على المسرح الدولي. وكما يشير تشومسكي، فان الدول القومية تصبح عرضة للتحدي من قبل سلطة وامتداد الشركات المتحدة المتجاوزة للحدود القومية. ولعل هذه الشركات هي الميزة البارزة للحقبة القادمة. ان رد فعلنا سيكون حاسماً. ومرة اخرى وأخرى فان تشومسكي في هذه المقابلات ـ وفي غيرها ـ يطرح الحاجة الى التنظيم وإلى أن نكون نشطين. ان الاستهلاك المنفعل للاعلام ليس كافيا. والغوغاء تأمل في ان تجعل الشعب يتحرك في اتجاه عملي، على شكل اعمال احتجاج، والاشتراك في او انشاء اذاعة عامة، انتاج وتوزيع فيديو، انشاء مكتبات، اصدار نشرة، او عقد حوارات في غرفة المعيشة في بيتك مع بضعة اصدقاء.

وأعتقد ان اسهام تشومسكي يكمن في حقيقة انه يؤكد باستمرار ليس فقط على الحاجة الى ان نحصل على المعلومة وان نتصرف، ولكن ايضاً على اننا قادرون على القيام بذلك. وتعليقاته، ومشاركاته، وقدرته على الاطلاع مثال على ذلك. انه رسام خرائط. انه يقدم خريطة طرق تفصيلية للمساعدة على اكتشاف اين هي الاشياء وعلى رسم خريطة الممرات. وبمعنى آخر، فانه بنك ذاكرة. لذا هناك العلاّمة مهندس التاريخ تشومسكي كمساعد إصلاح دائم ليذكرنا بما يتعلق بمحاولات الولايات المتحدة لتدمير المنظمات الشعبية في اوروبا ما بعد الحرب او بالانجازات الحقيقية للنكسونيين، والكيسنجريين، والكلينتونيين والنجوم الآخرين الذين يوجهون عمليات السلب الدولية.

ان المقابلات الموجودة في هذه المجموعة قد تم تسجيلها في مكتب

تشومسكي في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا او بواسطة الهاتف. والمقابلة التي تتحدث عن «الجريمة والسيطرة على السلاح» كانت بثا مباشراً من محطة اذاعة KGNU في مدينة بولدر. وتعكس العناوين فكرة موضوع المقابلات، لكن كل مقابلة تغطي عدة موضوعات. ان الكثير من الناس من مختلف الانحاء يطلبون مني ان أطرح عليه اسئلة معينة. وانه من المستحيل الاعتراف بفضل مساهمة كل واحد منهم لكن (كارلوس اوتيرو) كان على وجه الخصوص الاكثر مساعدة من خلال انتقاداته، واقتراحاته، وتشجيعه. والفضل لساندي آدلر لقيامها بتفريغ الاشرطة ونسخها، وتقديري لنعوم تشومسكي على وقته وجهده.

دافيد بارساميان

١ آب ١٩٩٤

البنك الدولي

الغـــــات GATT

والتجارة الحرة

٢٠ نيسان ١٩٩٢

د.ب: في عام ١٩٤٤، واثناء انعقاد مؤتمر بريتون وودز في نيوهامبشير، تم انشاء كل من البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي. فما الدور الذي تقوم به هاتان المؤسستان الماليتان الهامتان؟

كان دورهما بداية يتمثل في المساعدة على تحقيق إعادة إعمار المجتمعات الصناعية الرأسمالية السيئة، التي كانت قد تحطمت بسبب الحرب العالمية الثانية. وبعد ذلك، اتجهتا نحو ما يسمى «التنمية» والتي هي في الغالب شكل من أشكال التخلف الموجه في العالم الثالث، والذي يعني تصميم ودعم أنواع محددة من البرامج الخاصة بالعالم الثالث. عند هذه النقطة، فاننا نتحرك نحو التناقض. ان اثرهما - وباستطاعتك ان تجادل وتناقش فيما يتعلق بنيتهما - ساحق لدمج الجنوب - المناطق المستعمرة قديماً - في المجتمع العالمي المسيطر عليه من قبل قطاعات مركزة من الثروة في الشمال، المجتمع الغني.

د.ب: انت تعرف تلك الأغنية القديمة التي تقول: «اين ذهبت الازهار كلها؟» حسن، اين ذهبت البلايين كلها؟ لقد قام البنك الدولي بإقراض عشرات البلايين من الدولارات. فمن الذي اقرض مَن على وجه الدقة؟ ما الذي فعلته تلك الدولارات هناك؟

انك لا تستطيع الاجابة عن تلك الاسئلة بسهولة. ففي المجتمعات الصناعية المتقدمة، ساعدت (تلك الاموال) على تنفيذ إعادة اعمار ما دمرته الحرب. اما في العالم الثالث، فان (الاقراض) عمل على مزج النتائج. كانت له تأثيرات في تغيير طبيعة الزراعة، وتطوير البنية التحتية، وتوجيه المشاريع نحو مناطق محددة وبعيدة عن مناطق اخرى. لقد كان جزءاً من العملية الطويلة لمحاولة اقتطاع البديل الاستيرادي، والتحرك نحو الزراعة الموجهة نحو التصدير. وعلى العموم، فان (قروض البنك الدولي) كانت مساعداً لسياسات اولئك الذين يسيطرون عليها. فالولايات المتحدة لها دور ساحق في المؤسسة المالية بسبب غناها وقوتها. وقامت، هي وحلفاؤها المباشرون، بتصميم برامج من النوع الذي أسموه التنمية على امتداد العالم. فالأموال يمكن ان تنفق على اي شيء: من بناء السدود، الى منتجي الصادرات الزراعية، الى بعض المشاريع الريفية أحياناً.

د.ب: لقد تعرض صندوق النقد الدولي للذمّ في العالم الثالث بسبب التدابير شديدة القسوة التي فرضها على تلك الدول النامية.

خذ بلداً ما في أمريكا اللاتينية اليوم. هناك أزمة دين ضخمة. تذكّر ان نظام بريتون وودز تعطل بشكل أساسي في مطلع سنوات السبعينات. لقد اشتمل النظام على نظام العملات، قابلية تحويل الدولار الى ذهب، وكل انواع القوانين الاخرى، التي جعلت الولايات المتحدة بشكل أساسي بنكاً دولياً. مع حلول عام ١٩٧٠، وما بعد، لم تعد الولايات المتحدة قادرة على مواصلة ذلك. لقد كان هذا الدور مفيدا جداً للولايات المتحدة خلال سنوات الخمسينات والستينات، اذ سمح باستثمارات خارجية ضخمة من قبل شركات امريكية. ولكن مع حلول عام ١٩٧٠، كانت الولايات المتحدة غير قادرة على

الاستمرار (بدور المصرفي العالمي) فعمد الرئيس نيكسون الى تفكيك النظام سنة ١٩٧١، وأدى هذا الى وجود كميات هائلة من النقد غير المنظم، تعوم هنا وهناك في القنوات الدولية. كان العالم مغموراً برأس المال غير المنظم، وبخاصة بعد الارتفاع في أسعار النفط. وقد أراد أصحاب البنوك، اقراض رؤوس الاموال تلك، وفعلوا ذلك. لقد اقرضوها بشكل رئيسي الى دول العالم الثالث، اي الى عناصر النخبة. فعلى سبيل المثال، تمادت ديكتاتوريات امريكا اللاتينية في عمليات اقتراض صاخبة، وتم امتداح النتائج في الغرب على انها «معجزات اقتصادية» مثل «المعجزة» البرازيلية التي تمت في عهد الجنرالات، وتركت البلاد تحت عبء مديونية ضخمة. ومع حلول سنوات الثمانينات، ارتفع سعر الفائدة في الولايات المتحدة، وبدأ بسحب الاموال نحو الولايات المتحدة، وزيادة قيم الفوائد على الدين. وبدأت اقتصادات امريكا اللاتينية تدخل في مرحلة الانهيار التلقائي، اذ اخذت رؤوس الاموال بالانتقال منها بوتيرة سريعة. لم تكن قادرة على ضبط طبقاتها الغنية الداخلية. من المحتمل ان تصدير رؤوس الاموال من امريكا اللاتينية لم يكن بمستوى الدين، ولكن من المحتمل ايضاً انه لم يكن ادنى منه بكثير جداً. كان هناك تدفق لمئات البلايين من الدولارات من الجنوب الى الشمال، والى حد ما خدمة الدين -والتي تفوق كثيراً مساعدة جديدة مع نهاية سنوات الثمانينات ـ ودفعات الفوائد على الدين، وهلم جرا، وأشكال اخرى من هروب رأس المال. وفي الوقت الراهن، فان دولاً أفريقية فقيرة جداً تصدر هي الاخرى رؤوس الاموال الى مؤسسات الاقراض الدولية.

ان النتيجة النهائية لهذا هي ما يسميه بعض الناس، تندراً، البرنامج الذي بموجبه يدفع الفقراء في الدول الغنية الى الاغنياء في الدول الفقيرة. تلك هي الطريق التي تتبدى للعيان تقريباً. ثم يأتي صندوق النقد الدولي، وتديره الدول الغنية، والذي يمتلك قواعد وقوانين صائبة لمعالجة الضعف، مفادها انه اذا كان

لديك مستوى مرتفع من التضخم، وقيمة النقد غير مستقرة، وهناك مؤشرات اقتصادية اخرى متعددة لا تبعث على الرضى، فعليك عندئذ ان تفرض أشكالاً صارمة من التقشف: موازنة الميزانية، تخفيض الخدمات، مراقبة العملة وضبطها، الخ. تلك هي اقتصاديات السوق الحر الليبرالي الحديث، وهي موجعة بالنسبة الى الأغلب الاعم من السكان. وهذا يفسر لماذا لا تقبل الدول الغنية نفسها تلك القواعد والقوانين ما لم تجبر عليها. فعلى سبيل المثال، كانت هناك فترة في اواخر سنوات السبعينات، حينما اضطرت بريطانيا الى الموافقة على اجراءات معينة طلبها صندوق النقد الدولي بسبب ضعفها. لكن لا يوجد بلد غني او قوي بما فيه الكفاية يفعل ذلك في اي وقت، مثل الولايات المتحدة، على سبيل المثال، والتي تترتب عليها ديون لا يمكن تصديقها، ولكنها لا تقبل «اقتراحات» صندوق النقد الدولي. اننا اقوى بكثير من اتباع التعليمات. ان دول العالم الثالث ـ التي هي أضعف بكثير، وخاصة تلك التي هي تحت سيطرة نخب موجّهة غربياً بشكل ما، والتي غالباً ما تستفيد بسببها ـ تتبع تلك التعليمات وهناك كارثة بالنسبة الى السكان. ولهذا السبب فانك تصبح مذموماً. والامر نفسه يحدث في اوروبا الشرقية الآن. فقصة السوق الحر الليبرالي الحديث كلها مرسومة بشكل اساسي من اجل فائدة الناس الذين سيربحون اللعبة. ولا احد آخر يتبع هذه التعليمات. ان الغرب لا يتبعها إن لم يكن سيربح. فعلى سبيل المثال، يقدر البنك الدولي ان الاجراءات الحمائية المفروضة الآن من الدول الغنية تكلف العالم الثالث اكثر من ضعفي مقدار المساعدة الكلية المقدمة من الشمال الى الجنوب، وان تلك «المساعدة» هي تقريباً شكل مخفي من اشكال تعزيز التصدير.

د.ب: مَن الجهة المسؤول امامها كل من البنك الدولي وصندوق النقد الدولي؟

انهـما مـسؤولان امـام الناس الذين يضـعون الامـوال فـيهـما، اي امـام مجموعة من الدول الغنيـة، وبشكل رئيسي الولايات المتحدة، التي هي العنصر المهيمن هناك. انهـما تمولان من قبل الدول الغنية، وللولايات المتـحدة الصوت الاكبر، وهكذا، فانها الجهة التي تدين هاتان المؤسستان لها.

د.ب: اين تتـلاءم الاتفاقيـة العامـة للتعـريفات والتـجارة GATT مع هذه الصورة الاقـتصـادية؟ لقد سمـاها احـد المعلقين بـ «الأسنان الاقتصادية للنظام العالمي الجديد».

GATT هي نظام التـجارة الدوليـة، وقـد انشئـت ايـضـاً في سنوات الاربعينات. وتتصدر الاخبار الآن لانه خلال السنوات العديدة المنصرمة، كانت مفاوضات GATT في جـولة الاوروغواي تجـري في مـحـاولة لتحـقـيق شكل جديد، الى حـد ما، من تحـرير التجارة الدولـية. وتحرير التـجارة الدوليـة بحد ذاته، ليس امراً سيئاً، بل هو في الغالب امر جيد. والنقطة الاساسية هي انه ما من احـد يذهب الى تلك اللعبـة ـ اذا كـان يمتلك القـوة ـ دونما حمـاية وافـرة لمتطلباتـه الوطنية. وعلى سبيل المثال، فان كل واحـدة من القوى الغـربية ـ بما فيـها الولايات المتحدة ـ تدخـل مفاوضـات الغات بأجنـدة محددة، مـزيج بين التـحـررية والحـمـائيـة المتكيـفـة مع حـالات القـوة او الضـعف المـرتبطة بذلك الاقتـصاد. وحينمـا نقول: «ذلك الاقـتصاد» فـاننا نقصد الـناس الموجودين في مواقع السـيطرة فيه. ولذلك، فان المجـموعة الاوروبيـة تريد مستوى عـالياً من الحمائيـة للصناعة الجوية والانتاج الزراعي. والولايات المتـحدة لديها خليط من السيـاسـات. فهـي تدعو الـى اطلاق وتحرير التجـارة في مـجـالات عـديدة. وبالمقابل، فـانها تدعو ايضـاً الى حمائية مـحسَّنة في مجـالات حيث تكون هي قوية. خذ ما يسمى بالخدمات، مثل الأعمال المصرفية. فالولايات المتحدة تدعو الى اطلاق وتحـرير الخـدمات في الـعالم الثـالث، الامـر الذي سـيكون له الاثر

الفوري في إغراق وغمر بنوك العالم الثالث، ومؤسساته المصرفية كلها من قبل البنوك والمؤسسات الغربية، باعتبارها اكثر غنى، واكبر قوة. وهذا سيؤدي الى ازالة امكانية وجود اي برامج تنموية صناعية وطنية في العالم الثالث. هذا هو نوع الاطلاقية والتحررية الذي تقف الولايات المتحدة الى جانبه. انه يعني ان اقتصاديات العالم الثالث سوف تتم ادارتها من قبل البنوك الغربية، والذين يديرونها، والحكومات المرتبطة بهم.

من الناحية الاخرى، فان الولايات المتحدة تدعو الى المزيد من الحمائية في مجالات اخرى، وبخاصة في مجال حقوق الملكية الفكرية، والتي تشمل اي شيء، بدءاً من موسيقى البوب، الى السينما، والبرمجيات، وبراءات الاختراع. وفي الوقت الراهن، تتصدر الولايات المتحدة السباق لتسجيل اختراع ما يمكن ان ينتهي ليصبح اجزاء جينات. وتتمثل الفكرة في تسجيل اختراع جينات القمح، او الانسان، بحيث تصبح البيوتكنولوجيا المستقبلية التي تشمل على انواع مختلفة من هندسة الجينات في ايدي الشركات الخاصة الامريكية الرئيسة. انهم سيسيطرون على ذلك المجال، ويريدون التأكد من انه محمي، ولذلك، فانهم يريدون حقوق اختراع طويلة الامد، وهكذا دواليك. وهذا يعني ان الادوية، والبرمجيات، والتكنولوجيا الجديدة، والانماط الزراعية الجديدة، واي شكل من البيوتكنولوجيا التي يمكن ان تشمل الصحة، سوف تكون بايدي شركة ميرك، ومثيلاتها الاخريات، التي ستجني عشرات البلايين من الدولارات على شكل ارباح. وهذا يعني ان الهند، التي استطاعت ان تنسخ مجموعات من هذه ارخص بكثير، وان تنسخ ادوية شركة ميرك، باجزاء الكلفة، لن يكون مسموحاً لها القيام بذلك. وتطلب الولايات المتحدة ايضاً المُنتَج اكثر من عملية تسجيل الاختراع فقط، لتضمن، ان صناعة الهند الدوائية لن تبتكر طريقة ارخص لانتاج بعض الأدوية، وهذا يعتبر عائقاً أمام الكفاية والاختراع، ونعمة بالنسبة الى الأرباح. وهذا امر يمكن فهمه من قبل الاغنياء. انهم يريدون السيطرة على

المستقبل، وهذا يعني السيطرة على التكنولوجيا. ان سيماء البيوتكنولوجيا -تسجيل اختراع الجينات - قد أحدث رعبا دولياً في عالم العلم، اذ يمكن ان يكون له اثر هائل في المستقبل، وعلى المرء ان لا يقلل من أهميته.

وتصر الولايات المتحدة (مثل الآخرين) على مستوى عال من الحمائية على صناعة الشحن الامريكية. فعمليات الشحن بين الموانيء الامريكية يجب ان تكون على متن سفن امريكية، بحيث ان شحن نفط الاسكا ـ اذا تم نقله الى كاليفورنيا ـ يجب ان يكون على متن سفن امريكية. وتصر الولايات المتحدة على ان اي شيء يشتمل على بضائع امريكية يجب ان يشحن وبنسبة عالية جداً على متن سفن امريكية، الامر الذي يعود بالربح على الصناعة الملاحية الامريكية.

وعلى نحو مثيل، فان الانفاقات «الدفاعية» لا تعتبر مدعومة بموجب أحكام الغات. وهذا امر في غاية الاهمية بالنسبة الى الولايات المتحدة، التي تنفق على نظامها العسكري اكثر مما تنفقه بقية دول العالم مجتمعة. وقد استخدمت ذلك دائماً كغطاء للدعم العام الضخم للصناعة التكنولوجية المتقدمة. والنقطة الاساسية هي انه يوجد هناك مزيج من الحمائية والاطلاقية المرتبطتين بمصالح اولئك الذين يصممون السياسات، وهم القوى الاقتصادية القوية في داخل الدولة التي نحن بصددها. ومع ذلك فان هذا ليس مفاجأة كبرى، لكن ذلك هو ما يتعلق بالغات، وذلك هو ما تدور المحادثات حوله.

اذا نجحت برامج الغات الحالية، فان من الواضح انها تتجه نحو حكومة عالمية يحكمها نادي رجال اغنياء يجتمعون في منظماتهم ـ مثل اجتماعات مجموعة السبعة، اجتماعات الدول الصناعية السبع الاكثر غنى ـ والذين لديهم مؤسساتهم الخاصة بهم، مثل صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، واللذين

لهما شبكة من التدابير التي وضعت في الغات، ويديران نظاما يدعى في بعض الاحيان «المركنتلية* المشتركة». وتذكّر أنه على الرغم من ان هذا يدعى «اطلاقاً» و «تحرير تجارة» فان هناك مقداراً ضخماً من التجارة المدارة. ولذلك، فان شركات ضخمة ـ والتي هي في الغالب اكثر قوة من دول عديدة ـ تنفذ تجارة مدارة مسيطراً عليها داخليا. وهذا يعني تجارة عبر الحدود، ايضاً، لانها معولمة. انها تضع خططا للاستثمارات، والانتاج، والتفاعلات التجارية، والمضاربة بالاسعار، وغير ذلك، وهم، بالطبع، يديرونها وفق مصالحهم. ان المركنتلية المشتركة جيدة. ان لديها حكومات غير مسموح لها بالاشتراك في اللعبة. القوى الغربية الغنية ليس لديها اي اعتراض اطلاقاً على التجارة المدارة. انهم فقط لا يريدونها ان تدار من قبل الحكومات، لان الحكومات لديها ملامح خطيرة لا تمتلكها الشركات: فالحكومات إلى درجة ما يمكن ان تقع تحت نفوذ قوى شعبية، وفي العادة، إلى مدى محدود. ولكن إلى حد ما هناك دائماً ذلك الخوف. ليس هناك مثل هذا الخوف في الشركات. انها محصنة ضد اي شكل من السيطرة العامة او حتى المراقبة. وبالتالي، فانها وكلاء ادارة اكثر قبولاً لدى هذا النظام المركنتلي المصمم عالميا من اجل مصالح الاغنياء. وتلعب الغات دورها في هذا المجال.

د.ب: لقد أشرت إلى القوى الاقتصادية الضخمة. وعلى نحو متزايد، فان تلك القوى تجاوزت الحدود. كانت هناك عولمة ضخمة لراس المال والنقد على امتداد السنوات القليلة المنصرمة.

---

* النظام المركنتلي: نظام اقتصادي نشأ في أوروبا خلال تفسخ الاقطاعية لتعزيز ثروة الدولة من خلال التنظيم الحكومي الصارم لكامل الاقتصاد الوطني وانتهاج سياسات تهدف الى تطوير الزراعة والصناعة وانشاء الاحتكارات التجارية الخارجية (المترجم).

فماذا يعني ذلك؟

اولاً، ليس هناك شيء جديد يتعلق بذلك. فبعودة إلى سنوات الثلاثينات، على سبيل المثال، نجد ترابطاً سيء السمعة بين شركة I.G. Farben في المانيا وشركة Du Pont. وفي الواقع، فان شركات امريكية كبرى كانت وبشكل اساسي تنتج لحساب آلة الحرب الالمانية، حتى سنوات الحرب، وايضاً بعد ذلك من خلال عدة طرق ملتوية. ولكن كان هناك تغيير كبير بعد الحرب العالمية الثانية، فقد كان هناك جيَشان كبير لايجاد شركات متعددة الجنسية، بعيداً عن متعددة الجنسيات التقليدية، منها على سبيل المثال شركات الطاقة، والتي كانت دائماً معولمة إلى حد بعيد. ولكنها امتدت كثيرا بعيدا عن ذلك. فخطة مارشال ـ على سبيل المثال ـ اعطت دفعة قوية لعولمة رأس المال. فقد كانت تعيِّن مشروعاً في بلجيكا حيث يمكنك بناء مجمع للصلب، ثم تقوم بعد ذلك بتشجيع تقديم العروض من شركات امريكية، والتي، بالطبع، يمكن ان تكسب المناقصة في غالبية الاوقات. وبعد ذلك تستخدم اموال خطة مارشال ـ كما هو منوي ـ كأساس لامتداد الاستثمار الامريكي عبر المناطق الغنية، وبشكل اساسي في اوروبا. وقد ادى هذا إلى تمدد الشركات الدولية. فالاستثمارات الخارجية الامريكية تمددت خلال سنوات الخمسينات والستينات. ولم يمض طويل وقت حتى أتى رأس المال الاوروبي العالمي. لقد كانت بريطانيا على الدوام، وبشكل جوهري، منهمكة في عولمة رأس المال. وفي السنوات الاخيرة انضمت اليابان إلى اللعبة، وقامت بالكثير من الاستثمارات الخارجية، وازداد ذلك خلال سنوات الثمانينات.

هناك الكثير من الاسباب التي تقف وراء هذا الامر خلال الفترة الاخيرة، احدها السبب الذي اشرت اليه من قبل وهو تفكك نظام بريتون وودز، الذي قاد إلى وجود مقدار ضخم من الثروة المعولمة غير المنظمة. وهناك

سبب آخر يتمثل في انطلاق الثورة في عالم الاتصالات، التي تسهل كثيرا امر التحكم بالعمليات الدولية، التي يتم الانتاج خلالها في مكان ويأتي التمويل من مكان آخر، وتقوم انت بتحويل الدولارات هنا وهناك. وذلك يعني انه يمكنك ان تكون لك مكاتب تنفيذية في ناطحة سحاب في نيويورك وتسهيلات انتاجية في بابوا، وغينيا الجديدة، وبنوك وهمية في جزر كايمان، والتي لا تزيد عن وجود جهاز فاكس للتحايل على القانون. يمكنك ان تحول التمويلات هنا وهناك. ويمكنك التحكم بعمليات الاستيراد والتصدير وادارتها ضمن امبراطورية الشركة من خلال قرارات الادارة. ويمكن ان تُنشر في انحاء العالم مع مكاتب فرعية في زيورخ. وقد كان لذلك شيء من التأثير. فكل شخص يعرف ان مساهمة الولايات المتحدة في التجارة الدولية آخذة في الانحطاط خلال السنوات العشرة الاخيرة. ولكن، في الواقع، اذا نظرت إلى المساهمة في التجارة الدولية للشركات المتوضعة في الولايات المتحدة، فانك تجد انها غير آخذة في الانحطاط، بل اما انها كانت مستقرة او متزايدة قليلاً. وكل شخص يعرف ان الولايات المتحدة يفترض ان يكون لديها عجز في الميزان التجاري. من ناحية اخرى، إنْ تأخذ بعين الاعتبار عمليات المتتجين خارج الولايات المتحدة ـ والتي هي جزء من الشركات المتوضعة في الولايات المتحدة، والمستوردات إلى الولايات المتحدة، التي هي، بالطبع، تمول من الشركات الامريكية العاملة في الخارج إلى الشركات الامريكية نفسها العاملة في الداخل، في حال استيرادها اجزاء لانتاجها ـ فستجد انها توازن العجز التجاري، بل حتى ربما تمنح الولايات المتحدة فائضاً في الميزان التجاري.

ان المؤسسات العاملة في النظام العالمي هي امبراطوريات مشتركة على نحو متزايد. واقول «متزايد» لان الدول الوطنية، الدول الغنية، على الاقل، تحتفظ باهمية جوهرية. فهي ادوات انظمة مشتركة متكاملة. وهي متزايدة ايضا لانها ظاهرة قديمة. انها تعود إلى اصول الرأسمالية، وصحيح انها نمت عبر

قفزات ووثبات خلال السنوات الاخيرة.

د.ب: متابعة للحديث عن الـغـات، فـقـد قـالـت Environmental News Network ان الغات «سوف تفتح الحدود امام الاعمال التجارية الباحثة عن تكاليف عمالة اقل، وعن انظمة بيئة اقل صرامة، وهكذا يتم ابتزاز العمالة الامريكية للقبول بظروف عمل متدهورة واجور اقل، والا فانها تفقد عملها». هل تعتقد ان تلك تقييم عادل؟

انه امر غير مثير جدل. بالطبع، سيكون لها ذلك الاثر. وسابقا كان لها ذلك الاثر. خذ اتفاقية التجارة الحرة مع كندا. انها، بالطبع، تعمل في كلا الاتجاهين. فقد ابدت كندا اعتراضها على الانظمة البيئية الامريكية حول استخدام مادة الاسبستوس، مدعية ان ذلك الامر عقبة امام التجارة الحرة. فكندا دولة مصدرة للاسبستوس، وهي تريد تخفيض الحواجز. ربما يكون الكنديون قد بلغوا مرادهم، اي ان انظمة البيئة الامريكية حول مادة الاسبستوس تتضاءل. وعاجلاً او آجلاً، فان من المحتمل ان تتوجه الولايات المتحدة للاعتراض على الخدمات الصحية الكندية كعقبة امام التجارة الحرة، لانها ترى ان الشركات المتوضعة في كندا معفاة من اعباء دفع اجزاء من التكاليف الصحية التي يجب على الشركات الامريكية تحملها بسبب النظام الصحي الروتيني الغريب وغير الكفؤ. لقد كانت التهديدات التي وجهتها شركات التأمين الامريكية كافية لدفع اونتاريو للتخلي عن خطط لوضع برنامج تأمين ذاتي اقليمي من شأنه ان يعمل على خفض التكاليف ـ ولكن يزيل الشركات الخاصة غير الفعالة ـ وهو عقبة امام التجارة الحرة، كما ادعوا، وبلغوا مرادهم. ولقد خسرت كندا مئات الآلاف من فرص العمل. هناك تقديرات مختلفة، ولكن ليس اقل من ربع مليون فرصة عمل للولايات

المتحدة، لان الشركات الكندية تفضل كثيرا الانتاج في جنوبي الولايات المتحدة حيث تلزم الحكومة بما يسمى «حق قوانين العمل» اي ان سياسة الدولة تلزم العمال بتقديم ضمان انهم لن يتوحدوا في نقابة. ونتيجة لذلك، فان ظروف العمل متدنية كثيرا. الأجور اقل. وبالطبع، فان الشركات سوف تنتقل إلى مثل تلك الاماكن. وحتى التهديد بالانتقال فانه يخدم في ضبط القوى العاملة. وعلى العموم، فان اثر اتفاقيات التجارة الحرة سوف ينتقل إلى اقل مستوى مشترك، مع الاخذ بعين الاعتبار الاجور، والحماية البيئية.

د.ب: اذن هل تعتقد انه بموجب قاعدة التجارة الحرة فان نظام الرعاية الصحية الكندي سينظر اليه على انه ميزة غير عادلة يمتلكها الكنديون؟

لم يحدث ذلك بعد، ولكنني اتوقعه. انني اتوقع امكانية قيام الشركات الامريكية، آجلاً ام عاجلاً، بان تقرر انها فكرة جيدة ان يتم تقويض الخدمات الصحية الكندية من خلال مناقشة من ذلك النوع. وهناك كثير من الحسابات التي تدخل في ذلك المجال. واحدى المشاكل ان ذلك الانتاج معولم لدرجة ان الشركات الكندية في الغالب شركات امريكية.

د.ب: ما الذي فهمته من مشهد رئيس الولايات المتحدة الذاهب إلى اليابان مع نحو عشرين من المدراء التنفيذيين في الشركات الامريكية الرئيسة، والمطالبة اساساً بنوع من «العمل الايجابي العالمي» كما اطلق عليه جيسي جاكسون؟

أولاً، تذكر ان عبارة الحملة الدعائية كانت «انني ذاهب من اجل العمل، العمل، العمل». يمكنك ان ترى كم هو «بوش» مهتم بفرص العمل من خلال النظر إلى السياسة الامريكية اتجاه العمال الامريكيين. فبينما هو يتحدث عن العمل، العمل، العمل، تحاول الحكومة الامريكية ان ترسي القواعد والأسس

لصناعات في امريكا الوسطى لتنقل إلى هناك فرص العمل الامريكية. والعبارة تعني: «ارباح، ارباح، ارباح». ذلك هو ما ذهب من اجله إلى هناك. ولقد كان نوعاً من الغباء بالنسبة للمدراء التنفيذيين مجاراته. لقد ترك ذلك الولايات المتحدة عرضة للسخرية. ولكن سواء احرزوا تقدما ام لا، فذلك ما كانت الرحلة من اجله، وعلى كل شخص ان يكون قد أدرك ذلك. كان الهدف من الرحلة إجبار اليابان على قبول مبدأ التجارة المدارة، اي ما يسمى هنا «ممارسات تجارية مرضية» الامر الذي يعني ترتيبات مركنتلية بين دول قوية لخرق ترتيبات التجارة الحرة، وضمان ان قواها الاقتصادية القوية تحقق الارباح. وليس هناك اي جديد فيما يتعلق بذلك. لقد جمعت ادارة ريغان الكلام المنمق الطنان حول التجارة الحرة مع اجراءات حماية عالية. خذ السيطرة على المستوردات. انواع متعددة من السيطرة على المستوردات المساوية لرسوم الجمارك. لقد تضاعفت عمليا، من نحو ١٢٪ إلى حوالي ٢٣٪ خلال سنوات حكم ريغان، خلال ما يسمى في بعض الاحيان «ترتيبات طوعية» اي «عليك ان تفعل ما نقول والا فاننا سنغلق اسواقك». والمحاولة الاخيرة لجعل اليابان تقوم بشراء قطع غيار سيارات امريكية ليست الا جزءاً آخر من نظام التجارة المدارة من قبل الدولة والذي يصر الاغنياء عليه دائماً، بينما يقومون، بالطبع، بالضرب على صدورهم حول التجارة الحرة حينما يمكنك استخدامها كسلاح ضد شخص ما آخر.

د.ب: هل اليابان قوية بما فيه الكفاية كي تقاوم؟

هذا سؤال هام. لا أحد في الحقيقة يمتلك اجابات عن هذه الاسئلة. فالاقتصادات المحلية والدولية عصية على الفهم كثيراً من قبل اي شخص. لذلك، فان اي شيء نقوله سيبدو دالاً على الثقة اكثر بكثير مما يجب ان يكون عليه. ان شكوكي دائماً كانت حول ان قوة الاقتصاد الياباني مبالغ فيها، بحيث انها مهلهلة اكثر مما يزعم عنها. ولاسباب ذات اهداف. فاليابان بلد فقير

الموارد، يعتمد إلى حد بعيد على التصدير من اجل البقاء. وعلى وجه الخصوص، فانها تعتمد بشكل كبير على السوق الامريكية. انها آخذة بالامتداد الى الاسواق الآسيوية، لكن ذلك لا يقارن مع السوق الامريكية. تبقى الولايات المتحدة البلد الاغنى في العالم. ايضاً، فانها تابعة على النقيض من الولايات المتحدة - التي تمتلك وفرة في المصادر الداخلية وقوة عسكرية كافية للسيطرة على الموارد الاخرى من المواد الخام - للتجارة من اجل الحصول على الموارد والمواد الخام ايضاً. كذلك، فان اليابانيين - حينما تنظر إلى الارقام - يبدون اغنياء جداً. لكن ان تنظر إلى الطريقة التي يعيش بها الناس، فانهم لا يبدون اغنياء جداً. فالناس محشورون في شقق صغيرة جداً. ويعيشون حياة مذعنة قسرية. فان تطور انت اي نوعية معقولة من مستويات الحياة، فان اليابان لن تحتل مرتبة متقدمة جداً وفق العديد من المقاييس، على الرغم من انها تحتل مرتبة متقدمة جدا في مقاييس اخرى، مثل الصحة، على سبيل المثال. ولذلك، فانها قصة مختلطة. اعتقد ان هناك ضعفاً خطيراً في ذلك الاقتصاد. انني لست متفاجئاً تماماً بالركود الحالي والازمة المالية في اليابان. فهم بدون شك سوف ينجون من هذا المأزق، فلديهم موارد ورؤوس اموال.

د.ب: إلى جانب الدول العربية المنتجة للنفط وبعض اجزاء اوروبا، تبدو اليابان المنطقة الوحيدة الاخرى حيث هناك تكوين رؤوس اموال متزايد من اجل الاستثمار.

هناك تزايد كبير في رؤوس الاموال، لكن من غير الواضح ما الذي ستكون عليه الامور بعد ان تنتهي هذه الأزمة. فقد كان كثير منها يبنى على استثمارات محفوفة بالمخاطر إلى درجة كبيرة، ووهم كبير، في وضع حقيقي كان مضخماً كثيراً. لكنه ما يزال حقيقيا. لديهم زيادة وفيرة في رؤوس الاموال. وفي رأيي، فان اوروبا المنطلقة من المانيا هي الامل الاكثر احتمالاً

كزعيم اقتصادي عالمي على المدى البعيد.

د.ب: لقد قلت قبل قليل «الأزمة»، والتي تذكرني بشيء ما كنت اسمعه ـ طالما انا قادر على التذكر، وانني متأكد ان الامر كذلك بالنسبة اليك ـ اي «بالازمة الحالية في النظام الراسمالي». انها تبدو قصة متنامية. هل هذه الازمة مختلفة بشكل ما؟

كان هناك ركود عالمي لما قبل عشرين سنة خلت. ان معدلات النمو والازدياد في الانتاجية لسنوات الخمسينات والستينات هي اشياء من الماضي. وقد اصبحت مستوية مع بداية سنوات السبعينات تقريبا. ان اشياء مثل تفكك نظام بريتون وودز كانت عرضية. ومنذ ذلك الوقت، كان هناك نوع من الركود. انه ليس مستويا عبر الكرة الارضية. على سبيل المثال، فانه بالنسبة إلى افريقيا كان كارثة. وبالنسبة إلى امريكا اللاتينية كان كارثة. وفي الواقع، بالنسبة إلى غالبية مناطق العالم الرأسمالي كان كارثيا بكل معنى الكلمة، بما في ذلك داخليا. وقد عانت اجزاء كبيرة من المجتمع الامريكي، والمجتمع البريطاني، معاناة قاسية ايضاً. من ناحية اخرى، فان قطاعات اخرى كانت على ما يرام. فما يسمى بالدول المصنعة الحديثة في شرق آسيا ـ الدول الدائرة في فلك اليابان مثل كوريا الجنوبية وتايوان ـ لم تستسلم في سنوات الثمانينات لأزمة النظام الرأسمالي العالمية كما فعلت امريكا اللاتينية. فحتى ذلك الوقت، كانت معدلات النمو عند تلك الدول قابلة للمقارنة على نحو ممتاز. لكنها انفصلت على نحو حاد في سنوات الثمانينات، بحيث ان دول شرق آسيا اخذت تعمل بشكل افضل. ومرة اخرى، فلا احد، حقيقة، يعرف اسباب هذا، لكن عاملاً واحدا يظهر انه وراء ذلك، على عكس امريكا اللاتينية، وهو ان دول آسيا الشرقية لم تتظاهر باللحاق بقواعد السوق الحر. ان هروب رؤوس الاموال مشكلة ضخمة في امريكا اللاتينية. فالاغنياء ارسلوا رؤوس

اموالهم إلى مكان آخر، او بطريقة اخرى، فانها كانت دفعات على حساب المديونية. ان دول شرقي آسيا لم تفعل ذلك. فكوريا الجنوبية ليست لديها مشكلة هجرة رؤوس الاموال لأن الدولة قوية بما فيه الكفاية، ليس فقط للسيطرة على العمل، الذي هو المعيار، ولكن ايضا للسيطرة على رأس المال، اذ يمكن ان تحصل على عقوبة الاعدام بسبب هجرة رأس المال. كذلك، فان هناك اشكالاً اخرى من النمو المالي والصناعي المدار من قبل الدولة عملت على حمايتها من ازمة النظام الرأسمالي العالمية هذه. ففي الدول الغنية، كانت هناك ردود فعل متنوعة. فالولايات المتحدة وبريطانيا، من المحتمل انهما الدولتان اللتان عانيتا إلى حد بعيد جدا من الاجراءات الريغانية والتاتشرية.

وسواء دعوتَ هذا أزمة ام لا، فانه ليس تعبيرا محددا بما فيه الكفاية ليكون باستطاعتك الاجابة عن هذا السؤال. وبالنسبة إلى جزء كبير جدا ـ من المحتمل اغلبية معقولة ـ من قوة العمل الامريكية، فان الاجور الواقعية اما انها تعرضت للانحسار، او من المحتمل انها تعرضت للانحطاط لمدة عشرين سنة تقريبا.

د.ب: ان انحطاط الصناعات الرئيسة الامريكية مثل: السيارات، والنسيج، والالكترونيات الخ، امر موثق تماما. انها ليست حتى قضية للمناقشة. ان اسرع مجالات النمو في فرص العمل في الولايات المتحدة هي في مجالات مثل: الحجاب (البوابون) النادلون، وسائقو الشاحنات.

في الواقع، إن مهنة القبة البيضاء الاسرع نمواً هي الحارس الأمني.

د.ب: ما الذي يعنيه ذلك بالنسبة اليك؟

انها تعني ان هناك اناساً زائدين عن الحاجة لدرجة كبيرة، وتجب السيطرة

عليهم، وان هناك عددا كبيرا من المواطنين الاغنياء الذين تجب حمايتهم من هؤلاء.

د.ب: هل هناك اي استراتيجية او تخطيط اقتصادي لخلق فرص عمل حقيقية باجور مقبولة؟

للعمال الامريكيين؟ لماذا يجب ان يكون هناك مثل هذا؟

د.ب: يبدو ان النخب قد يكونون راغبين في حماية مركزهم الاجتماعي؟

لكن مركزهم الاجتماعي لا يعتمد على قوة العمل الامريكية، بشكل رئيسي. انهم يريدون ان تكون لديهم قوة عمل محلية من اجل الخدمات، اما الانتاج فهو قضية مختلفة.

د.ب: لكن اذا كان هناك اختلال اقتصادي رئيس في هذا البلد، فان الاضطراب سينشا بالتاكيد، وسيكون موقع القوة الخاص بهم وسلطتهم عرضة للخطر؟

ان ذلك يعتمد على فيما اذا كان بامكانك السيطرة على العامة. فعلى سبيل المثال، تحدثت صحيفة الواشنطن بوست عن دراسة عن الذكور السود في ولاية واشنطن د. سي.

د.ب: ٤٦٪ من مجموع الذكور السود، الذين هم بين سن ١٨ ـ ٣٥ سنة، مسجونون في مقاطعة كولومبيا.

اعتقد انهم يقولون في أي لحظة ان ٧٠٪ منهم تقريباً هم، بطريقة ما، ضمن نطاق سيطرة النظام العدلي، وقيد المراقبة... الخ. تلك هي احدى طرق الحيلولة دون ازعاج الناس لنا: ابقهم في السجن. ان يكونوا غير مفيدين

من اجل انتاج الثروة فانه تجب السيطرة عليهم بطريقة ما. لكن لا يبدو واضحا ان ذلك تهديد للنخب في منطقة واشنطن. او خذ مدينة نيويورك، والتي هي مصيبة بكل ما في الكلمة من معنى. لكن يمكنك ان تسير حول المناطق الثرية في مانهاتن التي تبدو متألقة وبهيجة جداً.

د.ب: بناء السجون في الولايات المتحدة واحدة من اسرع الصناعات نمواً.

نعم، فالولايات المتحدة، من بين دول العالم كلها، تمتلك اعلى نسبة سجون بالنسبة للفرد الواحد من السكان. حتى اشياء مثل وباء المخدرات تعمل بفاعلية بطريقة ما. انني لا ادعي ان الحكومة تقوم بذلك من اجل هذا الهدف. ان الامور تسير لان لديهم وظائف معينة لمجموعات النخبة التي تضع السياسة. ان احدى نتائج ما يسمى «حرب المخدرات» التي ليس هناك الا القليل للقيام به من اجل السيطرة على المخدرات، والكثير للسيطرة على الناس، قد وجدت من اجل خلق انفجار ضخم في نزلاء السجون. واي شخص يعمل مع مصلحة السجون سوف يخبرك ان جزءاً كبيرا جداً من نزلاء السجون هم اناس موجودون هناك من اجل التملك وليس من اجل ايذاء اي شخص. تلك هي تقنية السيطرة. وفيما اذا كانت تقنية اقتصادية للسيطرة ام لا، فبامكانك ان تجادل فيها. انظر كم يكلف الامر من اجل السيطرة على الناس، بوضعهم في السجن، والاحتيال عليهم بالمخدرات،ومن ثم عدم ازعاجك او تركهم يطلقون الرصاص على بعضهم ويسلبون بعضهم في المدن الداخلية. كيف يقارن ذلك مع التقنيات الأخرى للسيطرة الاجتماعية؟. من الصعوبة الاجابة عنه.

ومع ذلك، لنعد إلى سؤالك الاصلي. اذا كنت مهنياً ثريا او مديراً تنفيذيا لشركة وتعيش في (وستشستركاونتي) فان هناك اشياء معينة تريدها. انك تريد بيئة مريحة، ومساقا في لعبة الغولف، وان تكون قادرا على الذهاب إلى

المسرح في مانهاتن. تريد ان تكون مكاتبك التنفيذية بهيئة جيدة. تريد مطاعم خيالية هنا وهناك. تريد ان تكون قادراً على ان تترك سيارتك الليموزين في مكان ما دون ان تكسر وتسرق. تريد مدارس جيدة لاولادك. تريد جيشاً قوياً لحماية مصالحك. تريد قوة عاملة ماهرة على قدر ما تريد. لكن الكثير مما يحدث في هذا البلد ليس بذي اهمية لك. اذا نزلت غالبية البلد تحت النفق، فان ذلك ليس مشكلة كبيرة.

د.ب: احب تعليقك الذي يقول: «(النهاية) فكرة عامة لا توجد في التخطيط الراسمالي» لماذا لا؟

قبل كل شيء، ليست هناك انظمة رأسمالية، واذا وجد هناك نظام رأسمالي فانه لن يستطيع البقاء لاكثر من اسبوعين. والانظمة الرأسمالية الوحيدة هي تلك الانظمة المفروضة على دول العالم الثالث بهدف اضعافها، بحيث انها ستنهار ويسيطر عليها الاغنياء. لكن هناك انظمة اكثر او اقل رأسمالية، فكلما ازدادت رأسمالية، اي كلما كانت اكثر تنافسية واقل تخطيطاً وتكاملية، فانها ستنزع اكثر نحو المكاسب قصيرة المدى. ان ذلك متأصل في النظام. ووفق المدى الذي يكون فيه النظام تنافسياً وغير مخطط، فان اولئك المشاركين فيه سوف يكرسون مواردهم، الفكرية والمالية، لمكاسب قصيرة المدى، وأرباح قصيرة المدى، وزيادة قصيرة المدى للمساهمة في السوق. وأسباب ذلك مباشرة. دعنا نتخيل وجود ثلاث شركات لصناعة السيارات: فورد، جنرال موتورز، وكرايسلر. ودعنا نقل انها متنافسة فعلاً. ثم لنفترض ان شركة جنرال موتورز قررت وضع مواردها للتعامل مع مشاكل التلوث العالمي، او حتى محاولة انتاج سيارات ـ بعد عشر سنوات من الآن ـ يمكن ان تكون افضل من تلك التي تنتجها شركة فورد او شركة كرايسلر. وفي الوقت نفسه، فان منافستيها: فورد، وكرايسلر، ستقومان بتسخير مواردهما من اجل

زيادة الارباح وزيادة حصتهما في السوق: غداً، الشهر القادم، او السنة القادمة. خلال تلك الفترة، فان شركة جنرال موتورز سوف تكون بعيدة عن النجاح. لن يكون لديها رأس المال والارباح لتنفيذ خططها. وهذا يبين بالضبط، لماذا ـ في دول مثل اليابان، خلال سنوات الخمسينات ـ قررت الوزارة التي ادارت ونظمت الاقتصاد الياباني ـ بالاضافة إلى التكتلات المشتركة الكبيرة ـ على نحو واضح، ومكشوف التخلي عن اوهام السوق الحر، وان تنفذ تخطيطا صناعيا قوميا موجهاً نحو التنمية اليابانية في «قطاعات استراتيجية» مع امكانية قوية طويلة المدى. في الدول النامية حديثاً، في صناعات المستقبل، فان الكلف التشغيلية يمكن ان تكون معقولة تماماً. الارباح لا تأتي لبعض الوقت. في المجتمع التنافسي الاكثر رأسمالية، فانك تكون بعيداً عن النجاح. ولكن في مجتمع مدار اكثر يمكنك التعامل مع ذلك. وهناك الكثير من الاسواق الحرة غير الملائمة والمشهورة التي تقود المقاولين إلى ان يطلبوا من الدولة التدخل من اجل مصلحتهم. وقد ادى هذا الامر في اليابان إلى اتخاذ قرار واع لتنفيذ تدخل مخطط، منظم، وجوهري في ميكانيكية السوق حتى استطاع الاقتصاد ان يزدهر. وقضايا التلوث امثلة مناسبة. ان تحاول شركة ما تخصيص مواردها كي يكون لها اثرها في البيئة، فانها، وببساطة، تُضرب من قبل شركات اخرى لا تفعل ذلك. وبالتالي فانها لن تكون في وضع يمكنها من المنافسة في السوق. تلك هي قضايا متأصلة في انظمتنا الرأسمالية. كانت هناك تجارب مع Laissez Faire في بريطانيا في القرن التاسع عشر، حينما استخدم الناس لغتهم الطنانة على نحو خطير، لكنهم سرعان ما تخلوا عن ذلك. انه لامر مدمر جداً.

د.ب: اذن، فانت تقول ان هذه الطبقة غير منفتحة على الجسور المنهارة على المشردين والمندفعين في الانفاق تحت مدينة شيكاغو؟

ليس لانهم اناس سيئون، ولكن لانهم اذا توقفوا عن كونهم غير منفتحين عليها فانهم لن يكونوا مديرين بعد ذلك. لنفترض ان مديراً تنفيذياً لبعض الشركات الكبرى يقرر انه سيصبح رجلاً لطيفاً، ويخصص موارده من تلك الشركة للناس المشردين تحت الجسور الآخذة بالانهيار، او لمعالجة التلوث العالمي.

د.ب: سيصبح خارج العمل.

سيصبح خارج العمل. ان ذلك الامر متأصل في النظام. تلك حقائق مؤسسية. فان كنت تريد مراقبة ذلك في حدوده الصارمة جداً، عليك ان تلقي نظرة على خطط البنك الدولي المتعلقة بالتلوث. وقد تم الكشف عنها مؤخراً. ان احدى القضايا المفضلة لدي، تلك المنشورة في صحيفة نيويورك تايمز يوم السابع من شباط في قسم الاعمال. كان هناك تقرير معنون بما معناه «هل يمكن للرأسمالية ان تنقذ طبقة الأوزون؟». لقد كانت طبقة الاوزون على الدوام مجازاً يُستخدم للتعبير عن حماية الطبيعة. وكان السؤال فيما اذا كان باستطاعة الرأسمالية حماية الطبيعة. تلك كانت قصة كتبتها المراسلة المالية سيلفيا ناصر. كان البنك الدولي قد أصدر تقريرا بالاجماع عن الدول الغنية حول الموقف الذي ستتخذه في مؤتمر ريو في شهر حزيران حول البيئة الدولية. وقد كتب التقرير لورنس سمرز وهو اقتصادي ليبرالي بارز، من خريجي جامعة هارفارد. وتتمثل الفكرة في ان الدول الغنية يجب ان تتخذ موقفا بقيادة البنك الدولي، اتجاه قضية التلوث، المتمثلة في ان الدول الفقيرة، دول العالم الثالث، لا تتبع سياسات منطقية. وكلمة «منطقية» تعني سياسات السوق. فالعديد من هذه الدول دول منتجة للموارد والمواد الخام، ومنتجة للطاقة، وهي في بعض الاوقات تحاول استخدام مواردها من اجل تنمية نفسها. وهذا امر غير منطقي. ان ذلك يعني انها تستخدم الموارد من اجل نفسها، وغالباً باقل من معدلات

السوق، في حين ان هناك منتجين اكثر كفاءة في الغرب يمكنهم استخدام هذه الموارد بكفاءة اعلى. ذلك تدخل في السوق. ايضاً، فان دول العالم الثالث تلك غالباً ما تقوم بوضع بعض الاجراءات لحماية سكانها من الدمار والمجاعة الكليين، وذلك تدخل في السوق. انه تدخل في سياسات السوق المنطقية. ونتيجة هذه اللامنطقية للعالم الثالث هي زيادة الانتاج في أماكن يجب ان لا تحدث فيها، وزيادة التنمية في اماكن يجب ان لا تتم فيها، بسبب التلوث. لذلك، اذا استطعنا اقناع دول العالم الثالث تلك ان تتصرف بمنطقية، اي، لاعطائنا مواردها كلها، والتوقف عن حماية سكانها، فان ذلك سيقلل مشكلة التلوث.

لقد أُنتِجَتْ هذه الوثيقة بجرأة واضحة. ولقد حدث في اليوم نفسه، وعلى الصفحة ذاتها من صحيفة نيويورك تايمز، ان نشرت مقالة صغيرة، غير مترابطة، عن مذكرة داخلية للبنك الدولي، كانت قد تسربت، ونشرت في مجلة الايكونومست الاسبوعية اللندنية، الوول ستريت جورنال البريطانية اليمينية، وكتبها لورنس سمرز نفسه. ولقد نشرت التايمز خلاصة، ملخصاً دفاعياً نوعا ما، يتضمن مقابلة مع سمرز، الذي ادعى انه كان مرادا بهذه الوثيقة ان تكون تهكمية. لقد اضافت مذكرة البنك الدولي لما كنت قد قلته سابقا بشأن لامنطقية العالم الثالث. قالت: ان اي نوع من الانتاج سوف يشتمل على التلوث. لذلك، فان ما يجب عليك ان تفعله ان تفعله بأقصى ما يمكن من المعقولية، اي بأقل التكاليف. افترض ان لدينا مصنعا كيماويا ينتج غازات مسرطنة ستدخل في البيئة. فاذا وضعنا هذا المصنع في لوس انجلوس، فانه يمكننا ان نحسب عدد الناس الذي سيموتون بسبب مرض السرطان خلال الاربعين سنة التالية. بل انه يمكننا أن نحسب قيمة حياتهم فيما يتعلق الدخل او غير ذلك. ولنفترض اننا وضعنا ذلك المصنع في سان باولو، او في بعض المناطق الاكثر فقراً، فان عددا من الناس اقل بكثير سوف يموتون بفعل

السرطان، لانهم سوف يموتون بشكل ما بفعل سبب آخر، بالاضافة إلى ان حياتهم ليست ذات قيمة كبيرة باي مقياس منطقي. لذلك، يكون من المعقول نقل الصناعات الملوَّثة كلها إلى اماكن حيث يموت الناس الفقراء، لا حيث يموت الناس الاغنياء. إن ذلك يحسب على اسس اقتصادية بسيطة.

اجمع تلك الوثيقة مع الوثيقة الاخرى. ما تقوله الوثيقة ان على العالم الثالث ان يتوقف عن الانتاج وحماية سكانه لان ذلك امر غير منطقي. ويجب علينا ان نرسل صناعاتنا الملوثة اليهم لان ذلك منطقي. وفي هذه المذكرة يشير سمرز إلى انه يمكن ان تجادل بشكل معاكس في هذا مستنداً إلى حقوق الانسان وحق الناس في نوعية حياة محددة. لكنه يشير إلى انه اذا سمحنا لهذه المناقشات المضادة بالدخول في حساباتنا، فان اي شيء يفعله البنك الدولي سيُقَوَّضُ، وهذا صحيح تماماً. وهذا يفترض فيه ان يكون قياس الخلف*. ومن الواضح اننا لا نستطيع تقويض كل شيء يقوم به البنك الدولي، ولذلك، فمن الواضح اننا لا نستطيع السماح لمثل تلك الاعتبارات بالدخول في حساباتنا. اننا نأخذ بالاعتبار العقلانية الاقتصادية فقط، المرتبطة بمصالح البنك الدولي. ذلك هو ما تفعله بقضية التلوث. حاول اقناع العالم الثالث كي يتوقف عن الانتاج، وكي يتوقف عن حماية سكانه، وان يقبل تلوثنا. ان ذلك كله قابل للشرح والتفسير على نحو تام، وعلى أسس اقتصادية منطقية. وأي خريج جامعي في مجال الاقتصاد يمكنه اثبات ذلك لك.

د.ب: فيما يتعلق بعمى المخططين هذا، فان لديك خيالا جامحاً..

انه ليس عمى. اعتقد انه امر منطقي جداً بالنسبة اليهم.

* قياس الخلف: قياس أساسه البرهنة على صحة المطلوب بابطال نقيضه أو على فساد المطلوب باثبات نقيضه.

د.ب: ضمن إطارهم؟

نعم.

د.ب: انك تتحدث عن خيال جامح يضم وول ستريت جورنال واثار البيت الزجاجي.

سألني شخص ما ذات مرة، وقلت ببساطة انه لو كانت لدي الموهبة، التي لا أمتلكها، لكنت سأكتب قصة قصيرة عن وول ستريت جورنال. اتصور ان مكاتبهم موجودة في الطابق السابع عشر في احدى ناطحات السحاب في نيويورك. انهم يجلسون هناك، في ذلك المكتب، يبالغون في قضية كانت الوول ستريت جورنال قد زعمتها ذات مرة، مفادها ان اثر البيت الزجاجي هو مجرد خدعة لفقها المتعصبون المهمَلون. وحال وصول القضية إلى الصحافة، فان مستوى الماء سيكون قد ارتفع إلى تلك النقطة ويمكنك سماعهم وهم يقرقرون بينما يبدأون الطباعة. ذلك تقريباً ما يشبهه الوضع.

د.ب: دعنا نتحدث عن اتحادات العمال المنظمة في الولايات المتحدة. فخمسة عشر او ستة عشر بالمائة فقط من المجموع الكلي للقوة العاملة الامريكية نقابيون، وهو ما كان عليه الامر لحقب خلت. هذا العصر عصر التراجعات، انخفاض الارباح، القفز، تاجيل او اقصاء الزيادات. هل العمالة المنظمة لها فعلاً دور ايجابي تقدمي لتقوم به؟

يجب ان تكون كذلك، لكنها في حالة ضعيفة جداً. انها ضعيفة منذ زمن طويل، لكنها حُطمت خلال سنوات الثمانينات. لقد بدأ ذلك مع نجاح ريغان في كسر اضراب المراقبين الجويين. وما يزال الامر مستمراً حتى اليوم. ولقد خسر اتحاد العمال الامريكيين اضراباً جديا في شركة كاتربيلار. لقد

هزمت استراتيجيتهم من خلال التعاون الطبقي ـ نحن رجال طيبون نعمل سوية مع الادارة ـ بحيث انه حينما وصلت الازمة إلى كاتربيلار لم يكونوا مستعدين. لقد كانوا ببساطة مطموسين. وعند هذه النقطة، فان كاتربيلار، لم توفّق ربما مع بنود الاتفاقية الاخيرة. ويبدو ان الامر مستمر لاقفال الباب عليهم. هذه ضربات خطيرة ضد الحركة العمالية، وللديمقراطية الامريكية، لكنها هامة لمصلحة القطاعات الصغيرة التي تعمل على جعل نفسها غنية. فهل للقوة العاملة دور للقيام به؟ ان ذلك يعتمد على ما اذا كان باستطاعة الناس العاملين توحيد جهودهم مع بعضهم، واعادة بناء الحركة العمالية، وتحويلها إلى قوة قوية تعمل لصالح حقوق المواطنين، والديموقراطية، كما كانت عليه في السابق. يجب ان يعاد بناؤها من الأسفل إلى الاعلى. لقد انهار دور القوى العاملة بشكل بارز منذ سنوات الاربعينات، ولم يكونوا غير واعين لذلك. لقد أشار دوغ فراسر، الرئيس الاسبق لاتحاد العمال الامريكيين، قبل خمسة عشر عاما تقريبا إلى ان هناك حرباً قاسية احادية الجانب شنها الرأسماليون الامريكيون ضد العمال، في حين ان العمال، اي البيروقراطية العمالية، قد تم تضليلها من خلال شعارات التعاون الطبقي. انهم لا يخوضون حربا طبقية ونتيجة الحرب القاسية احادية الجانب واضحة جداً.

د.ب: تقول صحيفة نيويورك تايمز، في معرض حديثها عن الويلات الاقتصادية: «هناك شيء من الغموض حول اسباب المشكلات الاقتصادية. ان البلاد تعاني من الآثار الناجمة عن الاندماجات، والمضاربات العنيفة، والاسراف في البناء، والاقتراض الضخم، والسياسة المالية الحكومية غير المسؤولة في سنوات الثمانينات». إلى اي درجة عملت صحيفة نيويورك تايمز وشقيقاتها في وسائل الاعلام خلال هذه الفترة من التشتت والانهيار الاقتصادي فعلا لتغطية الاحداث، واعطاء الشعب الامريكي المعلومات التي يمكنه

التصرف بناء عليها؟

ليس من شأن صحيفة النيويورك تايمز تقديم معلومات للشعب الامريكي ليتصرف بناء عليها. لقد رحبت بثورة ريغان وانجازاتها، وكانت هناك قطاعات من السكان استفادت بشكل مدهش بما في ذلك قطاع الشركات، والذي تعتبر نيويورك تايمز جزءاً منه. لم يعجزوا عن ادراك ان هناك تكاليف اجتماعية. انك لا تستطيع التجول في مدينة نيويوك دون ان تدرك ان هناك تكاليف اجتماعية كثيرة، لذلك من المحتمل انهم ادركوها ايضاً. لكن هذا اعتبر على انه فترة رائعة من النجاح. كان هناك اناس يشعرون بالقلق نحوها. الق نظرة على صندوق مونديل عام ١٩٨٤: فجزء منه كان من المحافظين الماليين الذين كانوا قلقين من الآثار طويلة الأمد على مصالحهم الخاصة من هذا النوع من الكينسيانسية الكلبية، والانفاق المجنون المتوحش، والتحفيز الحكومي للاقتصاد من خلال الاقتراض الذي كان يتم خلال سنوات ريغان. ولقد استطاع الناس ادراك ان ذلك سيصبح اشكالية بالنسبة الى الاقتصاد. خذ ما حدث في شيكاغو. فالتقديرات الخاصة بتكاليف معالجة التسريبات في الانفاق تحت الارضية يمكن ان تصل إلى عشرة آلاف دولار امريكي. ولم يقوموا بمعالجتها لانهم ارادوا توفير مبلغ العشرة آلاف دولار كجزء من التخفيضات في الخدمات المدنية. ان النتيجة النهائية سوف تكون خسارة ربما تصل إلى ما يزيد على بليون دولار او اكثر. انها خسارة بالنسبة إلى رأس المال الخاص ايضاً.

د.ب: ولكن بالمقارنة مع اسعاف* (S&L) فان الامر يبدو تافهاً.

نعم، فاسعاف S&L اكبر من ذلك بكثير. ان شيكاغو مجرد جزء من

* الاسعاف: انقاذ مؤسسة من مازق مالي.

كارثة متنامية. لقد انحدر الانفاق على النبية التحتية بشكل اساسي خلال السنوات العشر الاخيرة، وان ذلك سيكون له تكاليفه. وما حدث في شيكاغو سيحدث في المنطقة كلها.

د.ب: انه لا يمكن ان يساعد، ولكن يؤثر حتى في النخبة. المنطقة التي كانت تفيض...

وهي تؤذيهم في شيكاغو. ان مجتمع الاعمال يعاني، وشركات التأمين على وشك المعاناة.

د.ب: انهم لا يريدون ذلك.

لا، لكن ليس هناك الكثير مما باستطاعتهم القيام به باستثناء قبول تخطيط حكومي مشترك متكامل طويل المدى. هناك امكانيات اخرى، مثل الديموقراطية، لكن لا احد يريد التحدث عن ذلك.

د.ب: صحيح، وربما ما يزال هناك المزيد من الشعارات، مثل: «شد الأحزمة» و «التقشف» كمعارضة لسياسة اقتصادية حقيقية.

هناك سياسة اقتصادية حقيقية، لكنها مرتبطة بمصالح الاغنياء الاقتصادية قصيرة المدى. انها متأصلة جداً. وهناك الكثير من حالات التدخل الحكومي من اجل ذلك الهدف. خذ ميزانية البنتاغون. فهي حالة تدخل حكومي قوي في الاقتصاد لصالح الاغنياء. وهذا هو سر بقاء صناعة الالكترونيات على سبيل المثال.

لا يدركون انهم لا يعلمون

١٦ كانون الاول ١٩٩٢

د.ب: انه موسم الخيالات الجامحة وحكايات الجن، وبروح ذلك العيد الديني، تقدم افتتاحية صحيفة نيويورك تايمز لهذا اليوم الدرس التاريخي التالي: «اصبحت امريكا غنية باستخراج مواردها الطبيعية وتشييد مبان صناعية ضخمة فارضة قواعد عمل صارمة» اي قصة ملهمة!

في الواقع، انها سنة جيدة للاشارة إلى ذلك. ان هذه السنة هي نوع من التأريخية في هذا المجال. ولأجل شيء واحد، فانها ذكرى مرور مائة سنة على تدمير اكبر اتحاد في الولايات المتحدة. اتحاد عمال الصلب والفولاذ الامريكي، على يد آندرو كارنيجي، الذي كان في عام ١٨٩٢ قد أسس مصانع كارنيجي للصلب والفولاذ، التي أصبحت اول شركة امريكية برأس مال قدره بليون دولار. كان مصنعه الاكثر تطورا في هومستيد، في ولاية بنسلفانيا، مدينة الطبقة العاملة، المتميزة بعمدتها ابن الطبقة العاملة، وبانها مسرح ثقافي مفعم بالحياة، والتزام بحقوق العمال، ومنطلق الاتحاد. اقفل المصنع. فسيطروا على المصنع، وعلى المدينة، فأرسل لهم حرس بينكرتون الذين حاقت الهزيمة بهم، فأرسل ثانية الحرس الوطني، الذي تمكن من السيطرة. لقد كانت بالضبط كما وصفتها نيويورك تايمز. وفي الواقع، فانها وصفتها في ذلك الوقت. لقد كان قادراً ليس على تدمير الاتحاد فقط، ولكن على ان ينشيء ايام عمل بمعدل اثنتي عشرة ساعة عمل يوميا، ومقاييس عمل تعيسة. ان تاريخ الشركة الذي نشر بعد مرور فترة قصيرة على ذلك، وصف هذه العملية بانها أسس الارباح

الضخمة التي جنوها. وعلى الرغم من انه كان مسالماً، الا انه نجح في التغلب على مبادئه المسالمة للحصول على عقد ضخم لصناعة الصلب لبواخر الاسطول. فقد كانت الولايات المتحدة حينذاك تقوم ببناء اسطول كبير بهدف التدخل الدولي. كما انه نجح ايضاً بشكل حاسم، وهذا امر مهم، في ان يحطم تماماً البنية الديمقراطية للمدينة وللمنطقة. ووجد الباحثون الذين قاموا بالبحث في هومستيد بعد ذلك ان الناس كانوا خائفين من التحدث اليهم. انهم لا يريدون حتى الكلام في بيوتهم لانهم كانوا مروعين جداً من ادراج اسمائهم في اللوائح السوداء والانتقام منهم مرة اخرى. وحين جاءت الام جونز -مؤسسة الاتحاد البالغة من العمر تسعة وثمانين عاما - إلى هومستيد عام ١٩١٩ في محاولة للمساعدة على انشاء الاتحاد مرة اخرى، القي القبض عليها من قبل الشرطة حينما حاولت القاء بيان. وفي اواخر سنوات الثلاثينات، حينما جاء فرانسيس بيركنز وزير العمل في عهد روزفلت، إلى هومستيد، اصبحت الام جونز تحت حماية الشرطة. ومع حلول منتصف سنوات الثلاثينات - في فترة تأسيس الاتحاد والنشاط الجماهيري العارم - اعيدت الديموقراطية إلى هومستيد، لكنها لم تستمر إلى وقت طويل.

بدأ الهجوم على الاتحاد في الحال. فسنة الف وتسعمائة واثنتين وتسعين سنة تاريخية في ذلك المجال ايضا. فهذه هي المرة الاولى خلال ستين سنة، تتجرأ فيها شركة كبرى على استخدام السلاح الاساسي ضد اتحاد رئيسي. فقد عملت شركة كاتربيلار على تحطيم اضراب اتحاد العمال الامريكيين من خلال قيامها باستئجار العمال الذين يقبلون بأجور ادنى من اجور العمال النقابيين، تماماً مثلما فعل كارنيجي وفريك قبل قرن. ولذلك، فان صحيفة نيويورك تايمز اثبتت حجتها. ان تفرض شروط عمل قاسية بما فيه الكفاية، يمكنك ان تجني الارباح. وكما تدرك النيويورك تايمز جيداً، ينتهي الامر بان يكون اكثر سهولة

من قبل، حيث ينقل الانتاج إلى مناطق ذات مستوى قمع عال، واجور متدنية مثل المكسيك، او على نحو متزايد، اوروبا الشرقية او اندونسيا. هناك يمكنك فعلاً ان تفرض قواعد عمل حديدية وان تجني الكثير من الارباح وفي غضون ذلك تترك الولايات المتحدة بمدنها الداخلية التي نراها. لذا، فان ذلك كله صحيح. انني مسرور لان ارى صحيفة نيويورك تايمز تقول شيئاً ما. وكان باستطاعتهم ان يضيفوا خلفية بسيطة، لكنك لا تستطيع ان تطلب كل شيء.

د.ب: «اصبحت امريكا قوية باستخراجها مواردها الداخلية». لقد اتى المستوطنون الاوروبيون المغامرون الشجعان إلى هذه الشواطيء، ووجدوا هذه الارض الخصبة، الفارغة، الواسعة، ذات الحيوانات والنباتات الوافرة، وطوروها، بشيء يشبه عملية طبيعية.

ذلك امر حقيقي إلى حد ما. كان عليهم في البداية ان يبيدوا السكان الاصليين وان يطردوهم من اراضيهم. «إبادة» هي الكلمة التي استخدموها، وهي ما قاموا به. وبعد إبادة السكان وإحضار أعداد غفيرة من العبيد ليعملوا لديهم، قاموا بتطوير الموارد وتنميتها.

د.ب: في مؤتمر ليتل روك الاقتصادي وفي مكان آخر هناك كلام كثير عن شفاء الاقتصاد واستعادة المنافسة. وياخذ (غار البيروفتز) رؤية باهتة من حيث ان سياسة فيدرالية يمكن ان تعيد المشاكل الرئيسة بشكل عكسي. وهو يكتب في صحيفة نيويورك تايمز الصادرة اليوم ان ما هو مطروح «لا يبدو من المحتمل انه يصنع بعجة في مشاكلنا الاقتصادية الاعمق. من المحتمل اننا سنعيش عصراً مؤلماً طويلا من حقبة الفساد الاقتصادي الدائم». فهل توافق على ذلك؟

لم أر تلك القطعة، لكنني قرأت هذا الصباح صحيفة الفايننشال تايمز من لندن، وهم يتحدثون بشيء من السرور عن المحافظة المالية التي أبداها كلينتون

ومستشاروه. هناك بعض القضايا الواقعية هنا فيما يتعلق بتعليقات غار البيروفتز، فانها دقيقة، لكن علينا ان نكون حذرين في استخدامنا للمصطلحات. فحينما يقول ان امريكا ستعيش فترة طويلة من الانحطاط، فانه يجب علينا ان نقرر ماذا نقصد بـ «امريكا». فان كنا نعني بالولايات المتحدة المنطقة الجغرافية، فانه، وانا متأكد من ذلك، مصيب. فقد كان هناك انحطاط، وسيكون هناك المزيد من الانحطاط، وان البلاد تأخذ الكثير من صفات مجتمع العالم الثالث. انه نتيجة تلقائية لارسال القوى العاملة المنتجة إلى اي مكان آخر. ان شركة جنرال موتورز ـ كما تشير الصحافة باستمرار ـ تعمل على اغلاق نحو ٢٤ مصنعاً في امريكا الشمالية، لكن ما تقرأه عنها في الصحف الصغيرة هو انها تفتح مصانع جديدة فقط، من ضمنها مصنع ذو تكنولوجيا متقدمة بقيمة سبعمائة مليون دولار امريكي في المانيا الشرقية سابقا ـ المنطقة ذات البطالة الهائلة ـ حيث يمكنهم ان يدفعوا ٤٠٪ من نسبة الاجور المدفوعة في اوروبا الغربية. او كما تقول صحيفة الفايننشال تايمز ـ الصحيفة الاولى في عالم الاعمال ـ ليس عليهم ان يشعروا بالقلق بعد الآن من «عمال اوروبا الغربية المدللين» فباستطاعتهم احضار عمال من العالم الثالث مستغلين إلى درجة عالية، حتى ان اوروبا الشرقية تُدفع الآن باتجاه العودة إلى حالة العالم الثالث التقليدية، والامر نفسه في المكسيك، وتايلاند. . . . الخ.

هناك نتيجة منطقية لذلك. اننا نصبح بلد عالم ثالث في بعض المجالات. لذلك، ان نحن نقصد بالولايات المتحدة المنطقة الجغرافية، فانه مصيب. وان كنا نقصد بالولايات المتحدة الشركات المتوضعة فيها، فاننا حينذاك مخطئون. وفي الواقع، فان الدلالات تشير إلى النقيض. فالارباح جيدة، وقطاع صغير يثري نفسه. وحتى انتاج الشركات المتوضعة في الولايات المتحدة يسير بشكل جيد، وذلك ان ندرس القضية على الصعيد العالمي، كما يفعلون

هم. اعتقد ان غار مصيب في القول ان السياسات التي يجري بحثها الآن سيكون لها أثر تجميلي على الولايات المتحدة كمنطقة جغرافية. لكنني ارى انها من المحتمل ان تكون مفيدة للولايات المتحدة كنظام صناعة ومال متوضع في الولايات المتحدة، وهذا يفسر سبب ميل مجتمع الاعمال لاعطاء كلينتون قدراً جيداً من الدعم.

الايام الاخيرة هذه: المؤتمر، والانتخابات، ايضاً، تعاملت مع قضية هامة. فكما هو معتاد، كان يجب ان تكون القضية ذات علاقة باختلاف تكتيكي داخل دوائر الاعمال. انهم يواجهون مشكلة موضوعية، لا مجال للشك فيها، يجب ان يكون جوهرها على علاقة بما يسمى بـ «السياسة الصناعية». يجب علينا ان نضع جانباً الكثير من الهراء قبل ان نستطيع الكلام عن هذا. لقد كان للولايات المتحدة على الدوام سياسة صناعية رسمية نشطة، مثل كل بلد صناعي آخر تماماً. وخارج نطاق الايديولوجيات، والاكاديمية، والصحافة، فان لا أحد يعتقد ان الرأسمالية نظام قابل للتطبيق، ولا أحد قد فكر بذلك لستين او سبعين سنة ان لم يكن للأبد. لقد فُهم بالتأكيد منذ فترة الكساد الشديد والحرب العالمية الثانية، ان لم يكن قبل ذلك بكثير، ان الطريق الوحيد التي يمكن فيها لمشروع خاص البقاء هي ان يكون هناك تدخل حكومي مكثف لضبط الاسواق المضطربة، وحماية رأس المال الخاص من الآثار المدمرة لنظام السوق، ولايجاد دعم عام لاتخاذ قطاعات من الصناعة المتقدمة هدفاً. . .الخ. لذلك، فان كل بلد متقدم ـ سواء أكان المانيا او اليابان او في هذه الايام كوريا الجنوبية او بالتأكيد الولايات المتحدة، فرنسا. . . الخ ـ كان له على الدوام سياسة صناعية نشطة. ويمكنك تتبع ذلك بالعودة إلى الوراء، إلى اول بلد مصنع، بريطانيا، وقد كان ذلك دائماً صحيحاً فيما يتعلق بالتاريخ الامريكي، منذ فترة الكساد والحرب العالمية الثانية. ولم يدع احد ذلك سياسة

صناعية. لقد كـانت دائماً مقنّعة من خلال نظام البنتاغـون، الذي كان، عالمياً، قـوة تدخل على الرغم من ان البنتـاغون ـ على الصـعيـد الداخلي ـ كان دائمـاً يفهم على انـه، منذ نهاية سنوات الاربعيـنات، نظام تستطيع الحكومـة بواسطته تنسيق الاقـتصاد الخـاص، وتقديم الانعاش اليه، ودعـمه، وتوجيـه اموال دافع الضـريبة إلى مـجالات الـبحـوث والتطوير، وتقـديم سوق مكفـول من الدولة لزيادة الانتاج، وايجاد صناعات متقدمة من اجل التنمية... الخ. ان اي مظهر نجـاح وازدهار للاقتـصـاد الامريكي اعـتـمد دائمـاً على هذا النوع من التـدخل الحكومي. وقد قُنّع غالبيته بواسطة جهاز البنتاغون.

لماذا يتحدث الناس عن سياسة صناعية؟ ان السبب في ذلك هو ان القناع يسقط. وتلك مشكلة مـوضوعية. من الصعوبة جداً الآن جـعل الناس يرحبون بتخـفيض استهـلاكهم، وطمـوحاتهم، من اجل تحـويل اموال الاسـتثـمار إلى الصناعـة التكنولوجـية المتقـدمة تحـت ذريعة ان الروس قـادمـون. هناك مسـاع مـختلفـة لمواصلة ذلك. وفي الواقع، فـان العلاقـات العامـة المقزمـة حاليـاً في الصـومال، برأيي، هـي محـاولة لا اعـتقـد انهـا ستنجح فـي اعادة تقـوية هذا النظام. لكن النظام في مـشكلة. لقـد كان المصـرفيـون والاقتصـاديون يشـيرون علانيـة، لفترة من الوقت، إلـى ان احد الاسباب الـرئيسة التي تجـعل الانعاش الحـالي بـطيـئـا هو ان الحكـومـة لم تكن قـادرة عـلى اللجـوء إلى آليــة الضخ التقليدية، الآلية التقليدية للتحـفيز الاقتصادي، اي زيادة الانفاق العسكري بكل نتائجها المتضاعفة. ان ذلك غير متاح بسهولة.

هناك حـقـيـقـة اخـرى إلى جـانب ذلك، ولكـنهـا مـسـتـقلة عنهـا. ان الاقتطاعات الحدية للـتكنولوجيا والصناعة تم تحويلها لفـترة من الوقت، ما بعد الحـرب، باتجـاه آخر بـعيـد عن صناعـة الالكتـرونيـات المتطورة نحـو الصناعـة البيولوجية، ونحو التجارة. ان صناعة البيوتكنولوجيا، بما فيها هندسة الجينات،

وتصميم البذور والعقاقير، وحتى اصناف الحيوانات. . . الخ، من المتوقع ان تصبح صناعة متطورة ضخمة ذات ارباح هائلة. وهي اكثر اهمية ـ إلى حد كبير ـ من صناعة الالكترونيات. ومقابل ذلك، فان الالكترونيات نوع من التكلف والكبرياء المصطنعة. وهذا يجب ان يكون على علاقة بوسائل الحياة والوجود، وتأمل الحكومة والشركات الامريكية في ان تسيطر المشاريع التجارية الامريكية، وان تحتكر اذا كان ذلك ممكنا. لكن من الصعوبة جداً إخفاء تورط الحكومة في ذلك تحت غطاء البنتاغون. وحتى لو ان الروس ما يزالون هناك، فانك لن تستطيع ان تفعل هذا. لذلك، هناك بضع مشاكل حقيقية. وهذا يفسر لماذا فتحت انت الآن نقاشاً عن السياسة الصناعية. لقد طرح ذلك علانية وببراعة، ونوقش في اجتماعات ليتل روك، وطوال الحملة الانتخابية في الواقع. هناك اختلافات بين الحزبين السياسيين حول ذلك. فمؤيدو كلينتون اكثر مواجهة فيما يتعلق بهذه الاحتياجات، في حين ان نماذج ريغان ـ بوش، الذين هم اكثر عصبية من الناحية الايديولوجية، لا يزالون إلى حد ما يدفنون رؤوسهم في الرمال على الرغم من ان ادارة ريغان كانت حمائية إلى حد بعيد، وأقامت شركة حكومية في محاولة لاعادة تشغيل صناعة الكمبيوتر. وقد نجح ذلك. كانوا اكثر دوغماتية فيما يتعلق بهذه القضية. وأعتقد ان هذا احد الاسباب الرئيسة التي تفسر لماذا حصل كلينتون على دعم أساسي من أصحاب الاعمال.

تلك ظواهر واقعية، وعليهم التعامل معها. خذ قضية «البنية التحتية» او «رأس المال البشري»، انها نوع من الاسلوب المبتذل كقولك: اترك الناس احياء ودعهم يتثقفون. وفي الوقت الراهن، فإن مجتمع الاعمال مدرك تماماً انهم لديهم مشاكل فيما يتعلق بذلك. خذ ـ على سبيل المثال ـ صحيفة الوول ستريت جورنال، والتي كانت اكثر المدافعين عن الحماقات الريغانية تطرفاً خلال

العشـر سنوات المنصرمـة. فهي تقوم الآن بـنشر مقـالات يتحسـرون فيـها على النتـائج، دون ان يسـلمـوا بالطبع بأن تلك هي الـعـواقب. وقـد نشـرت قـبل اسبوعين مقالة إخـبارية كبيرة عن ولاية كاليفورنيـا وعن انهيار النظام التربوي، الذي هم قلقون جداً بشـأنه. وكان عن سان دييغو. فرجال الاعـمال في منطقة سان دييغو اعتمدوا على الجهاز الحكومي، على دعم شعبي، لتزويدهم بالعمال المهـرة، والمديرين المبـتدئين، والبحـوث التطبيـقيـة... الخ. النظام آخـذ في الانهيـار، والسبب واضح: الاقـتطاعات الضـخمة في الانفـاق الاجتـماعي في الميزانية الفيدرالية، والعجز الفيدرالي الهائل، الذي أيدته صحيفة الوول ستريت جورنال، وحولت ببساطة عبء ابقـاء الناس احياء وأداء العمل إلى الولايات، والتي هي غير قـادرة على حمل ذلك العبء، وهي واقعة في مـشكلة خطيرة، وقد حـاولت نقله إلى البلديات، التي تعـاني هي الاخرى من مشكـلة خطيرة. وتتمـثل احدى العواقب في ان النظام التـربوي الرائع جداً في ولاية كاليفـورنيا يعـاني من صعـوبة بالغـة،ويتذمـر الآن رجال الاعـمـال منه. انهم يريدون من الحكومـة العـودة إلى العـمل على تزويدهم بما يحتـاجـونه: العـمـال المهـرة، والبحـوث. وهذا سيـعني نقض التـعصب الذي كانـت الوول ستريـت جورنال ومن لفّ لفّها يصفقون له طوال هذه السنين.

د.ب: في مؤتمـر ليتل روك سمعـت كلينتون يتـحدث عن مـشكلات بنيـوية وإعـادة بنـاء البنيـة التـحـتـيـة، وتحـدث احـد الحـضور (آن مـاركسن)، وهي مؤلـفة مشاركة لـكتاب Dismantling the Cold War Economy عن تجـاوزات جـهـاز البنتـاغـون والتشويهات والاضرار التي الحقها بالاقتصاد الامريكي. لذا، يبدو ان هناك بعض المناقشات على الاقل حول هذه القضـايا، والتي لا انكر انها ظهرت قبل ذلك.

السبب انهم ببساطة لا يستطيعون الدفاع تماماً عن جهاز البنتاغون بالحجج الدعائية السابقة. لذلك، كنتَ مضطراً للبدء بالحديث عنه.

د.ب: الحديث عنه شيء واحد، ولكن هل لديهم فعلاً مفتاح فيما يتعلق بما يجب فعله؟ هل باستطاعتهم ان يكون لديهم مفتاح؟

أعتقد ان لديهم مفتاحاً لما يجب فعله. انهم يعلمون على وجه الدقة ماذا باستطاعتهم ان يفعلوا. ان تستمع إلى اقتصادي ذكي، مثل (بوب سولو) ستجد ان لديهم بعض الافكار المنطقية البارعة فيما يتعلق بما يجب القيام به. ما يريدون القيام به تم فعله علانية من قبل اليابان والمانيا وكل اقتصاد عامل، واعني، الاعتماد على مبادرات حكومية لتقديم العنصر الاساسي للنفع الخاص والقيام بذلك علانية. ان الولايات المتحدة كانت تقوم بذلك بشكل غير مباشر من خلال جهاز البنتاغون، الذي هو في الواقع ذو طبيعة غير فاعلة. انه لن ينجح اكثر من ذلك بأي طريقة في اغلب الاحوال. لذلك، فانهم يرغبون في القيام به علانية. والمشكلة هي فيما اذا كان بالاستطاعة القيام بذلك. وهنا تبرز مشكلة تتمثل في ان الدين الهائل الذي ترتب خلال سنوات ادارة ريغان على المستويات كلها ـ الفيدرالية، الولاية، المشترك، المحلي، وحتى الاسري ـ يجعل من الصعوبة البالغة البدء ببرنامج بنائي. وهذا هو السبب الذي يوضح لماذا ووجهوا بهذا التكذيب والتناقض.

د.ب: ليس هناك راس مال متوافر.

نعم. في الواقع، ربما كان ذلك جزءاً من هدف برنامج الاقتراض والانفاق الريغاني.

د.ب: للتخلص من راس المال؟

إرجع بذاكرتك إلى الوراء عشر سنوات تقريبا حينما طُرد دافيد

ستوكمان، اذ كان قد اجرى مقابلات مع (وليام غريدر) والذي قال بشكل بارع ان الفكرة كانت القيام بمحاولة لوضع قبعة على الانفاق الاجتماعي من خلال الديون. ودوما يكون هناك الكثير لدعم الاثرياء، ولكنك لن تكون قادراً على دفع مساعدة إلى أمهات يُعِلْنَ اولادهن. المساعدة فقط لمدراء الشركات التنفيذيين المعالين. من الممكن ان يكونوا قد بالغوا في ذلك. الاكثر من هذا ان هناك مشكلة اخرى، وهي مشكلة ثقافية وايديولوجية. لقد اعتمدوا طوال عدة سنين على حملات دعائية ارتكزت على رفض هذه الحقائق وانكارها. انها دول اخرى تلك التي كانت لها مشاركة حكومية وخدمات اجتماعية. اننا فرديون صارمون. ولذلك، فان شركة .I.B.M لا تحصل على شيء من الحكومة. وفي الحقيقة، فانها تحصل على الكثير الكثير، ولكن من خلال البنتاغون، عبر طرق اخرى عديدة، منها على سبيل المثال، اجراءات مالية انكفائية. وبعيداً عن الحملات الدعائية، فالسكان فردانيون على نحو بارع، ذوو طبيعة معارضة ولا يأخذون الاوامر بشكل جيد، بمقاييس المقارنة، ولن يكون سهلاً الاتجار بالناس من خلال الاقبال على دعم قطاعات متقدمة من الاقتصاد. وهذه العوامل الثقافية مهمة. ففي اوروبا كان هناك نوع من التعاقد الاجتماعي. وهو آخذ بالانحطاط في الوقت الراهن بفعل الاسباب التي ذكرتها، لكنه فرض بصورة عامة من خلال قوة الاتحادات، برأيي، وقوة العمل المنظمة، والضعف النسبي في مجتمع اصحاب الاعمال، والذي لم يكن مسيطرا في اوروبا مثلما كان الامر عليه هنا لاسباب تاريخية. وقد ادى ذلك إلى نوع من التعاقد الاجتماعي، ان شئت، والذي بموجبه تنظر الحكومة بشكل رئيسي إلى احتياجات الثروة الخاصة، ولكنها ايضا توجد شبكة امان خلفية وهمية لبقية السكان. وبالتالي يوجد لديهم رعاية صحية عامة، وخدمات معقولة... الخ. اننا لم نمتلك ذلك، إلى حد ما، بسبب انه ليس لدينا قوة العمل المنظمة نفسها، ولان لدينا وعيا طبقيا اكثر بكثير، ومجتمع اصحاب عمل مسيطر.

وفي اليابان، تم انجاز النتائج نفسها، لكن الاسباب كانت بصورة عامة تتمثل في الثقافة الفاشستية العليا. فالناس يقومون بما يطلب اليهم القيام به فقط. تطلب منهم خفض الاستهلاك، فيصبح لديهم مستوى حياة منخفض جداً، مع الاخذ بعين الاعتبار ثراءهم، وانهم يعملون بجد. . . الخ. ان ذلك لن يكون من السهولة جدا القيام به هنا، لانه سوف تكون هناك مشاكل عديدة.

د.ب: لقد اشرت إلى ان مصنع شركة جنرال موتورز ينتقل إلى المكسيك. هناك ايضا شركة سميث كورونا في كورتلاند، نيويورك، وهي اخر شركة آلات طابعة متوضعة في الولايات المتحدة. هي ايضا، تنتقل إلى المكسيك. هناك ممر شامل على طول الحدود، مع مستويات لا تصدق من الرواسب في الماء، ومستويات عليا من التلوث والنفايات السامة، وعمال يعملون باجر مقداره خمسة دولارات يومياً.

في الواقع، ان القضية التي اشرت اليها هي انتقال شركة جنرال موتورز إلى اوروبا الشرقية، والتي هي بشكل ما اكثر اهمية. انها تخبرك عما كانت الحرب الباردة تدور حوله. لكنك محق فيما يتعلق بالمكسيك. ان احدى القضايا الرئيسية التي يواجهها البلد في هذه الآونة، وخلال الفترة الانتخابية كلها، هي اتفاقية تحرير التجارة الامريكية الشمالية النافتا NAFTA. من الممتع تماما رؤية كيف تمت معالجة ذلك الامر. انك تعرف الكثير عن البلد والمستقبل من خلال النظر اليه عن قرب. وليس هناك شك في ان اتفاقية النافتا ستكون لها نتائج ذات حجم كبير على حياة الامريكيين والمكسيكيين ايضا. ويمكنك ان تناقش في ماهية النتيجة التي ستكون، لكن لا احد يشك في انها ستكون مهمة. وعلى الارجح، فان النتيجة التي سوف يتم استعجالها هي ما كنت تصفه، تدفق العمالة المنتجة إلى المكسيك، حيث هناك ديكتاتورية مطلقة، ووحشية وقمعية شديدة. وبناء على ذلك يمكنك ان تضمن اجوراً منخفضة. وخلال ما

يسمى «المعجزة الاقتصادية المكسيكية» اثناء العقد الاخير، انخفضت الاجور بنسبة ٦٠ بالمئة وقد قُتل مؤسسو الاتحاد. ان كانت شركة فورد موتور تريد التخلص من القوة العاملة لديها، وان تستأجر عمالة مستعبدة، فانها تفعل ذلك، ولا يوقفها احد. وينتشر التلوث بشكل فوضوي. انها (المكسيك) مكان رائع بالنسبة إلى المستثمرين. وباستطاعة المرء ان يعتقد ان النافتا ـ التي تشتمل على ارسال العمالة المنتجة إلى المكسيك ـ يمكن ان تحسن أجورهم، وربما مستوى البلدين. لكن ذلك غير مرجح على الغالب. واحد اسباب ذلك هو القمع، الذي يعوق المؤسسة التي يمكن ان تنزعم زيادة الاجور. وهناك نتيجة اخرى للنافتا تتمثل في إغراق المكسيك برأسمال المنتجات الزراعية التكثيفية القادمة من الولايات المتحدة، والمستندة كلها في النهاية على دعم حكومي كبير، سيضرب الزراعة المكسيكية. لذلك، سوف يُغرقون بمحاصيل امريكية، ستطرد ملايين الناس من الارض إلى المناطق المدنية او إلى مناطق الممرات. وهذا يعني وجود عامل رئيسي آخر يعمل على تخفيض الاجور. وليس من الواضح مطلقا ان اتفاقية النافتا سوف تؤدي إلى زيادة الاجور. وعلى الاعم فانها ستكون منجم ثراء كبيراً للمستثمرين في الولايات المتحدة ولنظرائهم من القطاعات الثرية في المكسيك الذين يستحسنون الاتفاقية، والطبقات الحرفية التي تعمل معهم. وسيكون الامر على الارجح مؤذيا جداً للعمال الامريكيين. ان الأثر الاجمالي على فرص العمل غير محدد، لكن من المحتمل جدا ان الأجور وظروف العمل سوف تتعرض للمعاناة. وسيكون العمال ذوو الاصول الاسبانية والسود هم الاكثر تضرراً.

د.ب: في الوقت الذي تضيع فيه فرص العمل، تتزايد ارباح الشركات المتحدة الامريكية فهل ذلك هو ما تقوله؟

ان الشركات تعمل بشكل حسن جداً. والسنة هذه هي واحدة من افضل

السنوات بالنسبة للارباح.

د.ب: هل ستُشكل النافتا والغات، بشكل اساسي، على المستوى المؤسسي لعلاقات الجنوب - الشمال؟

في الواقع، تلك هي الفكرة. وهي ايضا على الأعم ستحط وتخفض المعايير البيئية. ان اثرها العام سوف يتمثل في خفض الحياة إلى ادنى مستوى مع ابقاء الارباح عالية. ويمكن للمرء ان يناقش هذه القضية، ولكن ليس هناك شك في ان النتائج مهمة، ومن الممتع رؤية الكيفية التي تمت بها معالجتها. انها لم تظهر في الحملة. الجماهير ليست لديها الفكرة الاكثر ضبابية عما يحدث. وفي الواقع، انهم لا يستطيعون ان يدركوا. واحد أسباب ذلك هو ان اتفاقية النافتا سر. انها اتفاقية تنفيذية غير منتفع بها على الصعيد الجماهيري. واعطيك مؤشراً إلى مدى صحة هذا الامر. فقد تم في عام ١٩٧٤ اقرار قانون التجارة في الكونغرس. وقد نصت احدى فقراته على انه في اي قضية تتعلق بالتجارة يجب ان يكون هناك تحليل ومعلومات من قبل اللجنة الاستشارية العمالية الموجودة في النقابات. ومن الواضح انه يجب ان يكون لديهم تحليل وتقرير عن النافتا. ولقد وقع الرئيس اتفاقية النافتا. انها اتفاقية تنفيذية، وكان ذلك في منتصف شهر آب هذه السنة. وقد أبلغت اللجنة الاستشارية العمالية ان تقريرها كان مطلوبا في التاسع من ايلول هذه السنة. ومع ذلك ، فقد أعطوا النص قبل اربع وعشرين ساعة تقريبا فقط من الموعد المحدد لجاهزية التقرير، وذلك لضمان انهم لن يستطيعوا حتى ان يجتمعوا ويكتبوا تقريراً جديا. هؤلاء زعماء عماليون محافظون، لا من نوع الرجال الذين يوجهون النقد إلى الحكومة كثيراً. وبرغم ذلك، كتبوا تقريراً لاذعاً جداً. وقالوا: ضمن المدى الذي يمكننا النظر فيه إلى هذه الاتفاقية خلال الساعات القليلة التي اعطيت لنا، فان الامر يبدو انه ستكون هناك كارثة شاملة تحيق بالطبقة العاملة، والبيئة، والمكسيكيين،

وستكون نعمة على المستثمرين. وأشاروا إلى ان حقوق الملكية محمية في كل مكان، في حين ان حقوق العمال غير مشار اليها اطلاقا. وأدانوا بقسوة الازدراء المطلق للديموقراطية الذي تجلى من خلال حتى عدم السماح لهم بدراستها. وقالوا ان اجزاء منها ما تزال محفوظة طي الكتمان. والامر نفسه بالنسبة إلى اتفاقية الغات. فلا احد يعلم ما الذي يجري هناك، باستثناء بعض المختصين.

د.ب: هل اطلعت على تفصيلات هاتين الاتفاقيتين؟

يمكنك الاطلاع على التفصيلات في التعليق الثانوي عليهما، مثل تقرير اللجنة الاستشارية العمالية. نظريا، في الوقت الحاضر، يمكن الحصول على نص. لكن النقطة الحاسمة هي انه حتى لو استطعنا، انت وانا، الحصول على نص، فما الذي يعنيه ذلك بالنسبة إلى الديمقراطية الامريكية؟ بل كم هو عدد الناس الذين يعلمون ان هذا الامر يحدث؟ ان تقرير اللجنة الاستشارية العمالية لم تكتب الصحافة عنه. الناس ليسوا فقط غير مدركين لما يحدث لهم، بل انهم لا يعرفون انهم لا يعرفون. الغات ايضاً اكثر امتداداً. لقد عدت لتوي من زيارة لمدة اسبوعين في اوروبا، إذ تعتبر هذه القضية قضية كبرى، إلى حد ما، في محيط الاتحاد الاوروبي. ان احد الاهتمامات العامة الكبيرة في الاتحاد الاوروبي تم وصفها بالقومية، لكن ما له علاقة بذلك في الواقع هو، على ما أعتقد، ما يسمى في لغة الاتحاد الاوروبي «بالعجز الديمقراطي» اي الفجوة المتنامية بين القرارات التنفيذية، التي تعتبر سراً، وبين الديمقراطية، او على الاقل، المؤسسات الديمقراطية، مثل البرلمانات، التي هي اقل واقل قدرة على التأثير في القرارات المتخذة على مستوى الاتحاد. ان هذا كله حيلة مدهشة من اجل اذابة منتديات ديمقراطية خلو من المعنى. انها تعني ان قرارات حاسمة ذات اثر ضخم تُرفع إلى مستوى حيث لا يستطيع السكان التأثير فيها، حتى ولو

بطريق غير مباشر، من خلال البرلمانات، علاوة على انهم لا يعلمون عنها. وكما هو الامر عليه في هذه القضية، فانهم لا يعرفون انهم لا يعرفون، وهذا يقودنا باتجاه هدف طالما بُحث عنه، اي الحفاظ على الاشكال الديمقراطية، ولكن مع ضمان عدم وجود تدخل في السلطة الخاصة. وهذا انعكاس لعولمة الاقتصاد.

على امتداد التاريخ، انصرفت المؤسسات الحكومية ـ إلى مدى جدير بالاعتبار ـ لتعكس الشكل الذي اتخذته القوى الاقتصادية، وتنظيمها. لم يكن ذلك بنسبة مائة بالمائة، ولكن هناك ميل قوي في ذلك الاتجاه. وذلك ما نراه نحن الآن. ان الاقتصاد في مرحلة العولمة الان، اي ان الدول الصناعية الجغرافية هي الآن في مرحلة التخلي عن التصنيع لكن الشركات تعمل بشكل يبعث على الرضى. ان هذا الاقتصاد المعولم، يدار الآن وعلى نطاق واسع، من قبل شركات متخطية الحدود القومية، وبنوك متجاوزة طور الدولة، تعمل على تأسيس بناها الحكومية، مثل: الغات، والنافتا، وصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، واجتماعات مجموعة السبعة... الخ. وصحافة الاعمال العالمية سيماء رائعة لها. انهم يدعونها «حكومة العالم الواقعية» التي ستعكس هذه الاهتمامات والمصالح.

د.ب: يبدو ان ادارة كلينتون ـ غور سوف تنجر إلى نزاع خطير فيما يتعلق بتاييدها لاتفاقتي النافتا والغات، وفي الوقت نفسه ـ على الاقل على مستوى بلاغي خطابي ـ نتكلم حول التزامها بالحماية البيئية وخلق فرص عمل للامريكيين.

أكون مندهشاً جداً ان يكن هناك خلاف كبير فيما يتعلق بذلك. وأعتقد ان الكلمة التي قلتها «خطابي» دقيقة. فالتزامهم هو نحو الشركات الموجودة في الولايات المتحدة، اي الشركات متجاوزة طور الدولة. انها تشبه كثيراً جداً هذا

الشكل الخاص الذي تتخذه النافتا مع وجود حماية خاصة لحقوق الملكية ولكن ليس حماية لحقوق العمال. ومع الاساليب التي يجري تطويرها لخفض الحماية البيئية. ذلك في صميم اهتماماتهم. وأشك انه سيكون هناك خلاف في الادارة حول هذا الامر، ما لم يكن هناك ضغط شعبي كبير.

د.ب: كان هناك على الاغلب اثر دومينو، بالنسبة إلى كندا، والولايات المتحدة، والمكسيك. فالمشاريع الكندية تنتقل إلى ولايات في اعماق الجنوب، والمشاريع الامريكية تنتقل إلى المكسيك.

وتذكّر ان المشاريع الامريكية والكندية متحالفة بعضها ببعض بشكل وثيق جداً. ومرة اخرى، يجب علينا ان نكون حذرين جداً حينما نستخدم كلمات مثل «كندا» و «الولايات المتحدة» و «المكسيك». لقد كانت هذه الكلمات دائماً مصطلحات دعائية غطت الكثير. وعليك ان تنظر إلى بعض الارقام. فقبل نحو عشر سنين، حينما أتيح الاطلاع على احصائيات الامم المتحدة الاخيرة، كانت ما نسبته اربعين بالمائة من التجارة العالمية ذات طبيعة داخلية، وتحويلات داخلية بين الشركات، تحويلات تتم داخليا إلى شركة معينة. اي، انها كانت تجارة مدارة مركزيا. انها ليست تجارة حقيقية، وانما تبادلات فقط بين فروع شركة كبرى متخطية الحدود القومية. تلك هي اربعون بالمائة من التجارة العالمية. ومما لا شك فيه، فان الارقام الآن اعلى من ذلك.

ألقِ نظرة على الاقتصاديات الكلاسيكية الجديدة، الهراء الذي يفترض انك تنحني خجلاً أمامه، والذي يمتلك نظرية تتعلق بهذا، اي، هناك بحر اسواق حرة، وفيه توجد جزر قليلة التي هي شركات فردية قليلة. بالطبع، فان كل شخص قد ادرك ان مشروعاً معينا، لنقل مخزن بقالة، لا يعمل وفق اسلوب التجارة الحرة، داخليا. انه مدار مركزيا على الصعيد الداخلي. وهكذا، فان لديك جزرا مدارة مركزيا في بحر السوق الحر، لقد كان بحر السوق الحر دوما

اقل من نكتة بكثير لكن في الوقت الراهن، فان الجزر الآن هي بحجم البحر تقريبا. وهذه تجارة مدارة مركزيا على نحو متزايد من خلال البنى المشتركة الرئيسة. وقد دعيت بـ «المركنتلية المتحدة» بيناها الحكومية المتنامية، وتم تهميش الجمهور على نحو متزايد إلى مدى ملحوظ.

د.ب: لنتحدث عن الاقتصاد السياسي للغذاء، انتاجه وتوزيعه، وعلى نحو خاص ضمن إطار سياسات صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي. ان هاتين المؤسستين تقدمان القروض بموجب شروط صارمة جدا إلى الجنوب. ان من الواجب عليهما تشجيع اقتصاد السوق، وهما بحاجة إلى سداد القروض بالعملة الصعبة. عليهما زيادة الصادرات، مثل القهوة - وبذلك تتمكن من شرب الكابوتشينو - او لحم البقر - وبذلك نستطيع تناول الهامبورغر - وكل ذلك على حساب الزراعة الطبيعية.

بشكل اساسي، فان الصورة هي كما رسمتها. فالقضايا الفردية مثيرة تماماً. خذ المعجزة الاقتصادية العظيمة في امريكا اللاتينية، التي تستخدم الآن كأساس لاستخدام العلاج نفسه في اوروبا الشرقية. في الواقع، فان الناس انفسهم يذهبون. (جيفري ساكس) خبير بارز من هارفارد، والذي نجح من خلال ما يعتبر المعجزة الاقتصادية الناجحة جدا في بوليفيا، انتقل إلى بولندا واوروبا ليعلمهم القواعد نفسها. ومن المهم ان نلقي نظرة عن كثب. خذ بوليفيا. لقد كانت في مأزق. كان فيها ديكتاتورات قساة، وقمع شديد، وديون ضخمة، والمشاريع كلها. وذهب الغرب اليها. كان ساكس المستشار، مع قواعد صندوق النقد الدولي: استقرار العملة، زيادة الصادرات الزراعية، خفض الانتاج للاحتياجات المحلية، وجود الزراعة... الخ. ونجح ذلك، وبدت الارقام، واحصاءات الاقتصاد المكبر جيدة تماماً، واستقرت العملة،

وانخفضت المديونية، والناتج القومي الاجمالي آخذ بالازدياد. لكن هناك بعض الاخطاء الصغيرة في العلاج: فقد ازداد الفقر بسرعة، وكذلك سوء التغذية، وانهار الجهاز التربوي. لكن الاكثر اهمية هو ما جعل الاقتصاد مستقرا: الصادرات الزراعية، وليس القهوة، والكوكا. ويقدر بعض المتخصصين في اقتصاديات امريكا اللاتينية انها تبلغ الآن نحو ثلثي الصادرات البوليفية. والسبب واضح. خذ فلاحاً مزارعاً في مكان ما، واغمر منطقته بالزراعة المدعومة ـ ربما من خلال برنامج الطعام مقابل السلام ـ فانه لن يستطيع الانتاج او المنافسة. يحدث وضع تكون فيه الطريقة الوحيدة، التي يستطيع من خلالها ان يؤدي دوره، هي ان يكون مصدّرا زراعيا انه ليس غبياً. انه سيعود إلى المحصول الاكثر ربحية، والذي هو الكوكا.

ان الفلاحين، بالطبع، لا يحصلون على الكثير من هذا، فهم ايضاً يحصلون على السلاح وعلى طائرات الهيلوكبتر DEA. ولكنهم يحصلون على شيء آخر. فعلى الاقل يستطيعون البقاء. وتحصل على طوفان من صادرات الكوكا. وتذهب الارباح غالباً إلى النقابات الكبيرة، او إلى بنوك نيويورك. ولا احد يعرف كم من البلايين من الدولارات تمر عبر بنوك نيويورك او مؤسساتها الفرعية البعيدة، لكن الذي لا يرقى الشك اليه انها كثيرة. والكثير منها يذهب إلى الشركات الكيماوية الموجودة في الولايات المتحدة التي، كما هو معروف، تصدر الكيماويات إلى امريكا اللاتينية بعيدا عن الاحتياجات الصناعية، وفي المقام الاول، الكيماويات التي تستخدم في انتاج الكوكايين، الذي هو نشاط صناعي. لذلك، هناك الكثير من الارباح. من المحتمل انها تعطي دفعة إلى الامام للاقتصاد الامريكي ايضا. وهي تسهم بشكل محكم في وباء المخدرات العالمي، بما في ذلك هنا. تلك هي المعجزة الاقتصادية في بوليفيا. وليست تلك هي الحالة الوحيدة. ولكن نعم، فتلك هي انواع النتائج والعواقب التي سوف تنجم عما سمي على نحو لائق بـ «أصولية صندوق النقد الدولي». ان

لها نتـائج وآثاراً كارثية في كل مكان تطبق فـيه، وفيما عـدا ذلك تعتبر نـاجحة ومن وجهة نظر مرتكبـيها، فانها ناجحة تماماً. لذلك، من المفروض ان امريكا اللاتينية سـوف تعاني من شـفاء دراماتيكي، والى حـد ما، فانهـا كذلك. وفي حين تقوم ببيع موجودات عـمومية باسعار رخيصـة فان هناك مبالغ من الاموال يتم جنيها، فـالكثير من رؤوس الاموال التي هاجرت من امـريكا اللاتينية تعود الآن. وأسواق الأسهم تعمل بشكل جيد.

ألقِ نظرة على تشيلي. هناك مـعجزة اقتصـادية كبيرة اخـرى. فقد ارتفع مستوى الفقر من نحـو عشرين بالمائة خلال سنوات حكم الليندي إلى نحو اربع واربعين بالمائة في الوقت الراهن، بعـد المعجزة الكبـرى. وعلى نحو مـشابه في البلد تلو البلد. لكن قطاعات النخبة، والمهنيين، ورجال الاعمال، سعداء جداً بذلك، وهم الذين يضـعون الخطط، ويكتـبون المقالات... الخ. لـذا، فهناك الكثير من الاطراء للمـعجزة الاقتصادية هنا، ايضـاً. انها نسخة مضخـمة مبالغ فيـها اكثر بكثـير مما نراه هنا، فنحن هنا نراها بطريقة مـلطفة نسبيـا بالمقارنة مع العالم الثالث، لكن الخـواص البنيوية نفسها. القطـاع الثري يعمل بشكل رائع، والجماهير العامة في مشكلة عويصة.

د.ب: بين عـامي ١٩٨٥ و ١٩٩٢ ـ على سـبيل المثـال ـ عـانى الامريكيون فـي الولايات المتـحدة من ارتفاع في نسبـة الجوع من ٢٠ مليونا إلى ثلاثين مليون جائع، في حين ان الروائي توم وولف ـ وهو معجب كبير بلاءاتك ـ وصف سنوات الثمانينات على انها واحدة من «الفتـرات الذهبيـة الرائعة التي لم تشهـدها الانسانيـة في ايما وقت مضى».

ألق نظرة على عدد صحيفة النـيويورك تايمز ماغازين، الصادر يوم الاحد

الماضي، ففيه مقالة سياسية بالمعنى الضيق للكلمة. لكن ان تُضِفْ الخلفية السياسية، يمكنك تفسيرها. كانت المقالة حول مستشفى بوسطن سيتي، مستشفى الفقراء، الجماهير العامة في بوسطن، لا مستشفى هارفارد التعليمي المبهرج. لم يقولوا ذلك في المقالة، ولكن قبل نحو عامين، كان عليهم ان ينشئوا عيادة معنية بسوء التغذية، لانهم كانوا يصلون إلى مستويات العالم الثالث فيما يتعلق بسوء التغذية، ومواردهم المالية قليلة جداً. ذلك شيء لم يحدث من قبل على الاطلاق. ان الجزء الاكبر من المجاعة الكبرى وسوء التغذية في البلاد كان قد تم التخلص منه على نحو رائع في سنوات الستينات من خلال برامج (المجتمع العظيم). ولكن مع مطلع سنوات الثمانينات، كانت المجاعة قد بدأت تدب مرة ثانية، وتشير آخر التقديرات الآن الى أن ثلاثين مليونا او نحو ذلك يعيشون في جوع عميق. وتصبح الأمور اكثر سوءاً على امتداد فصل الشتاء لأن على الناس اتخاذ هذا القرار المعذب بين الدفء والغذاء. والنتيجة هي نوع من الاشياء وصفت في تلك المقالة: اطفال يموتون لانهم لا يحصلون على ماء فيه شيء من الارز.

د.ب: تقول مجموعة (وورلد ووتش) ان احد الحلول لمشكلة نقص الغذاء هو التحكم في السكان. هل تؤيد الجهود المبذولة لتنظيم السكان؟

بداية، ليس هناك نقص في الغذاء. هناك مشكلات في: التوزيع، مشكلات خطيرة. وبرغم هذا، مع وضع ذلك جانبا، اعتقد، وبدون شك، انه يجب ان تكون هناك جهود لتنظيم السكان. وهناك طرق مشهورة لتنظيم السكان: عزِّز المستوى الاقتصادي. ان السكان ينحدرون بشكل حاد جداً في المجتمعات الصناعية، حيث ان العديد منهم، وبشق النفس، يتناسلون سكانيا.

خذ ايطاليا، التي تعتبر دولة صناعية متأخرة، ولكنها مصنعة. ان معدل الولادة فيها الآن لا يؤدي إلى تناسل السكان، وتلك ظاهرة معيارية. الاسباب معروفة بشكل جيد تماماً. ان التنمية الاقتصادية افضل طريقة لتخفيض عدد السكان.

د.ب: مقترنة مع التربية؟

مقترنة مع التربية، و ـ بالطبع ـ وسائل تنظيم الولادة. والولايات المتحدة لها دور رهيب. انها لن تساعد على تمويل الجهود الدولية حتى لتقديم تثقيف عن تنظيم المواليد.

د.ب: ان الكرة الارضية تحترق في حين ان النيرونيين يعبثون. وقد اشارت دراسة نشرت في العدد الحالي من المجلة البريطانية الطبيعية إلى ان السخونة الكروية اخذة بالارتفاع. وهي تتنبا بحدوث ارتفاع في درجات الحرارة يتراوح بين اربع إلى ست درجات في كل مكان في العالم. ان التغير الناشيء في المناخ الارضي سيكون تمزيقيا ومن المحتمل ان تكون هناك عواقب كارثية على المجتمع الانساني وعلى الطبيعة.

ان هذا الامر معروف تماما للعلماء منذ ما يزيد على عشرين سنة. واذكر انني سمعته للمرة الاولى من رئيس دائرة الارصاد الجوية وعلوم الارض في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، وهو عالم بارز جدا، ونزاع كبير إلى الشك فيما يتعلق بالكارثية. لكن مع حلول عام ١٩٧٠ تقريبا بدا مقتنعا ان هناك مشكلة خطيرة جداً مستقبلا، ودار نقاش كثير حول التوقيت، لكن طريق التنمية ليس في الواقع موضع شك. وتبدو هذه الدراسة الجديدة انها تعمل على زيادة التقديرات. انها تضيق المدى الذي كان قد افترض وتضيف اليه المزيد من الدلائل.

وليس هناك من احد متيقنا من هذه الاشياء، طبعـا. سيكون هناك دائماً هامش من الخطأ، كـما ان الكثـير ببسـاطة، غيـر قابل للفـهـم. لكن لعب هذه الالعاب بهـذه الامكانيات هو امـر جنوني. يجب عليك ان تأخذ بجـدية تحليل الحالة الاسوأ.

د.ب: تحدث كارل ساغان في صحيفة (بولدر) قبل بضعة شهور عن تجاوز الازمات البيئية للمصالح الضيقة وقدرات الدولة على توجيهها، وبالتالي فان هذا يفتح الطريق امام التعاون العالمي. ان هذا شيء تحدثت انت عنه ايضاً.

السؤال هو: من الذي سيقوم بالتعـاون الدولي؟ هناك الكثير من التعاون يجري.

د.ب: المنقذ العالمي.

هناك ذلك، وهناك ايضـا الحكومـة العـالمـيـة، التي تعكس احـتـيـاجـات ومصالح الشـركات والبنوك العالمية. ذلك هو التعاون الدولي. مـا نحن بحاجة اليه، برغم ذلك، هو التعاون الدولي الناشيء من البنى الديمقراطية الشعبية. انه ليس مفقـوداً فقط، بل انه اخذ في الانحطاط بسبب ان البنى الديمقـراطية آخذة في الانحطاط. لذا، فان الحديـث عن التعاون الدولي ليس مفيـداً. ان التعاون الدولي بين الشركات متجاوزة حدود الامة سوف يجعل المشكلة اسوأ.

د.ب: هناك انفجار، موجه من القَبَلية في مختلف انحاء العالم: القومية، التعصب الديني، العنصرية من لوس انجلوس إلى البلقان إلى القوقاز والى الهند. لماذا الآن؟

بداية، دعنا نتذكر انها كانت تجري دائماً.

د.ب: اوافقك على ذلك، ولكنها تبدو اكثر وضوحاً.

في أجزاء من العالم هي اكثر وضوحاً. خذ اوروبا الشرقية. فحتى قبل سنتين، كانت تحت سيطرة حكم استبدادي قاس جداً. ان الحكم الاستبدادي مثل النظام السوفيتي يعمل على شل حركة المجتمع المدني، الامر الذي يعني انك تتخلص من ما هو جيد، ولكنك ايضاً تتخلص مما هو سيء. وأحد الاشياء التي كانت سيئة في ذلك المجتمع المدني، تقليدياً، هو الضغائن العرقية القاسية. ان اوروبا كلها مكان عنصري جداً، بل انها اسوأ مما نحن عليه. لكن اوروبا الشرقية كانت بشعة على وجه الخصوص. ان أحد اسباب وجودي هنا، هو ان الكثير من آبائي و أجدادي هربوا من ذلك. وقد كان ذلك محكوما بالقمع العام للمجتمع المدني، الذي قمع القوى الديمقراطية ولكن ايضا الضغائن والعداوات العرقية. الآن فان ذلك الحكم الاستبدادي ولى، وعاد المجتمع المدني، بما فيه نتوءاته، والتي يوجد منها الكثير. في اي مكان في العالم، لنقل في افريقيا، هناك كل صنوف الفظاعات. لقد كانت موجودة على الدوام. ان احدى اسوأ الشناعات وقعت خلال سنوات الثمانينات. فشناعات جنوب افريقيا ـ الشناعات المدعومة امريكيا من سنة ١٩٨٠ وحتى ١٩٨٨ ـ كانت مسؤولة عن مقتل نحو مليون ونصف المليون تقريبا، اضافة إلى فقدان نحو ستين مليون دولار امريكي كاضرار، وكل ذلك في المنطقة التي تحيط فقط بجنوب افريقيا. ولا احد هنا رفّ طرفه من اجل ذلك، لان الولايات المتحدة كانت تدعم ذلك. ان تعد بذاكرتك إلى سنوات السبعينات في (بوروندي) ستجد هناك مذبحة كبرى. مئات الآلاف من الناس لقوا مصرعهم، ولم يهتم احد.

في اوروبا الغربية، تجد زيادة في الاقليمية وهذا انعكاس للانحطاط في

الشخصية التمثيلية للمؤسسات الديمقراطية. لذلك، وفي حين ان الاتحاد الاوروبي يتوحد ببطء نحو السلطة التنفيذية، عاكساً بذلك حشودات اقتصادية كبيرة، يحاول الناس ايجاد طرق اخرى للحفاظ على هويتهم، وذلك يقود إلى شيء من الاقليمية. ليس هذا هو العامل كله، لكنه جزء منه. وعليك ان تكون حذراً تجاه ما يسمى بـ «العنصرية» في الولايات المتحدة. خذ لوس انجلوس. فهناك الكثير من العنصرية، ولكن تذكر ان في الولايات المتحدة كلمة مؤلفة من خمسة حروف غير قابلة للافصاح عنها، وأعني «الطبقية» وان جزءاً من الصراع هو في الواقع طبقي. هناك تباينات هائلة بين السكان البيض والسود في: الصحة، ووفيات الاطفال... الخ. لكن العامل الرئيسي لذلك، هو في الحقيقة، عامل طبقي. ففي كل مستوى طبقي، من المشردين وحتى المدراء التنفيذيين، فان أوضاع السود اسوأ من البيض. وبرغم ذلك، فان جزءاً من التفاوت بين السود والبيض يتبدى في ان الفقراء البيض ليسوا احسن بكثير من الفقراء السود. ان العرقية والطبقية مترابطتان إلى حد كبير، ولذلك ترى الاضطراب. وفي حين ان السكان ينتقلون نحو طبيعة شخصية العالم الثالث، يصاب الناس بالمرارة واليأس، وكلما تصبح المؤسسات الديمقراطية مفرغة من المحتوى اكثر واكثر، يتطلع الناس إلى اشياء اخرى. ربما يتطلعون إلى مخلّص، إلى رجل من المريخ مثل (روس بيرو) او من المحتمل ان يتجهوا نحو التعصب الديني، او اشياء اخرى.

د.ب: او يقومون باحياء اسطورة كيندي؟

تلك قضية اخرى، برأيي.

د.ب: المانيا هي الدولة التي يحب كل شخص ان يكرهها.

انها هدف مريح جداً. ان من المهم معرفة رد فعل الحكومة الالمانية على

الحوادث التي وقعت في ذلك البلد فيما يتعلق بتقييد الهجرة، ففيها سياسات اللجوء الاكثر ليبرالية في العالم، حريات مدنية مقيدة، وحظر الاحزاب السياسية.

حينما يحدث اي شيء في المانيا، يصبح الناس قلقين، وهم محقون في ذلك، فهناك تاريخ برغم كل شيء. ومع هذا ،يجب علينا ان نتذكر بضعة اشياء. كما قلت، فالمانيا فيها اكثر السياسات ليبرالية. علاوة على ذلك، فيها إلى حد بعيد، اكبر عدد من اللاجئين. واوروبا مكان مفرط العرقية. والى المدى الذي نادراً ما تجده هنا، فان الناس ينزعون إلى العيش بالقرب من المكان الذي نشأوا فيه، ويكرهون الناس في القرية المجاورة. هناك الكثير من الاحاديث عن العرقية الالمانية، وهي سيئة بما فيه الكفاية. على سبيل المثال، فان طرد الغجر، وارسالهم إلى رومانيا هو فضيحة لا يمكنك حتى وصفها. فقد عومل الغجر تماماً مثلما عومل اليهود في الكارثة، ولم يرمش لأحد جفن. ولكن يجب علينا ان نتذكر ان هناك اموراً اخرى تدور ايضاً، ولكن بعلانية اقل. خذ اسبانيا. فقد تقدمت إلى المجموعة الاوروبية ببعض الشروط، كان احدها ان تكون ما سمي علانية «حاجزاً» امام تلك القبائل الرحل في شمال افريقيا الذين يخشى الاوروبيون من اندفاعهم إلى اوروبا. انها مسافة ضيقة، وهناك الكثير من القوارب التي يحاول الناس العبور بواسطتها من شمال افريقيا إلى اسبانيا، مثلما هو الامر عليه بين هايتي وجمهورية الدومنيكان. وتغرق القوارب في البحر الابيض المتوسط، اما اذا نجح الناس في العبور فانه يتم طردهم على يد الشرطة الاسبانية، والبحرية الاسبانية. انه امر بشع جداً. هناك بالطبع اسباب تفسر لماذا يذهب الناس من افريقيا إلى اوروبا وليس إلى وجهة اخرى. هناك خمسمائة سنة من الاسباب، ولكنها تحدث، واوروبا لا تريدها. فالاوروبيون يريدون الحفاظ على ثروتهم، وابقاء الناس الفقراء خارجاً.

المشكلة نفسها تحدث في ايطاليا. فقد انتصرت هناك مؤخراً مجموعة (لومبارد) في الانتخابات وهي مجموعة يبدو ان لديها نوعاً من العنصر الفاشستي الحديث. وهي تعكس مصالح الايطاليين الشماليين، فجزء من اهتمامهم هو الشيء نفسه: شمال الافريقيين الذين يتقلون عبر صقلية إلى ايطاليا، ويأتون من الجنوب إلى الشمال. انهم لا يريدونهم، بل يريدون اناساً من البيض اغنياء. واوروبا لم تكن مجتمعاً متغاير الخواص بالنسبة إلى اي شيء مثلما وصلت اليه الولايات المتحدة. كذلك، فانها لم تكن مجتمعاً متحولاً مثلما هو الامر عليه بالنسبة إلى المجتمع الامريكي. لقد بقيت هذه القضايا مخفية لفترة، لكن من الصعوبة بمكان ابقاؤها كذلك.

د.ب: ماذا عن كتابيك الجديدين؟

الاول يدعى Year 501 وكما يشير العنوان، فانه محاولة للنظر إلى الوراء واعادة التفكير في المواضيع الرئيسة للخمسمائة سنة المنصرمة. فترة الفتح الاوروبي للعالم، والنظر إلى الاشكال التي اتخذها، المباديء والموضوعات التي يبطنها، والسؤال عما تطرحه فيما يتعلق (بالسنة ٥٠١) اي المستقبل.

اما الكتاب الثاني فهو Rethinking Camelot والبؤرة الاساسية فيه تركز على سنتي ١٩٦٣ ـ ٦٤، التحول الرئاسي والتخطيط لحرب فيتنام. انها فترة مدهشة بحيث من المحتمل ان نعلم عنها اكثر مما نعلم عن اي شيء تقريبا في التاريخ الامريكي. هناك توثيق هائل. انه هام للغاية. انه يتحدث عن واحدة من اكبر الفظائع في فترة الخمسمائة سنة كلها، وأعني، حرب الهند الصينية، التي كانت لها عواقب هائلة. فقرارات رئيسة كانت تتخذ في ذلك الوقت. وهي تكتسب قيمة مضافة بسبب حقيقة انه كان هناك تحول رئاسي، واغتيال، والذي ادى إلى شيء، برأيي، من الخيالات الجامحة، ولكن يعتقد على الاقل

ان شيئـا ما عصيبا حـدث، وان تغيراً رئيساً بعض الـشيء في التاريخ الامريكي قـد حـدث إبان اغـتيـال كـيندي، والذي القى ظـلالاً قاتمة عـلى كل شيء تبع ذلك. ولقد تم تشجيع هذا إلى حد كبير على يد مفكري كيندي. إن تلق نظرة على الناس الذين لديهم مذكـرات مكتوبة، اصدقاء كيندي، تجدهم قـد خرجوا بروايات جديدة، تختلف كلية عن تلـك الاولى القديمة، والتي تثبت ان كيندي كان حـمامة سرية وكـان يحاول الانسحـاب. لم تكن هناك اي اشارة إلى ذلك في الروايات الاولى، او في السـجل السري، او في اي مكان آخـر. لكن كان لديهم رهان واضح في محاولة لانقـاذ صورة كاميلوت، وجعلها تبـدو جميلة. وآرثر شليزنجر هو المثال الاكـثر شهرة. ايضاً، فان قطاعات كبـيرة من الحركات الشعبيـة كانت منهمكة في هذا، إلى مدى معين، برغم انهـا مشلولة بفعل هذه الافكار، خاصة في السنة او السنتين الاخيرتين.

العرقية

١٤ كانون الثاني ١٩٩٣

د.ب: تقول آخر النشرات الاخبارية ان القاذفات المتحالفة تقوم حالياً بمهاجمة انقرة، وجاكرتا، وتل ابيب، وحتى واشنطن د.سي. بسبب تحديها لقرارات الامم المتحدة، فهل انت معني بالتعليق؟

ليس بورت او برينس؟

د.ب: لقد اصدرت لتوك كتابا اسمه السنة ٥٠١، وهو يبدا بالطريقة نفسها التي بدات فيها السنة ٤٩٩، بقصف العراق، الذي توقعته انت الى حد بعيد.

وبرغم ذلك فان هذا القصف ذو اسلوب مختلف جداً. فالقصف هذه المرة هو قضية جورج بوش وصدام حسين وهما يمثلان امام جماهيرهما الخاصة، وكل منهما يقدم للآخر مساعدة ملائمة في العمل. ومن الصعب إخفاء ذلك. لقد لاحظت بوب سيمون على شاشة CBS في الليلة التي تلت القصف، يتحدث من بغداد، وهو يقول هذه افضل هدية يمكن لبوش ان يقدمها لصدام حسين. وعلى نحو معاكس، وعلى الرغم من ان ذلك لفترة قصيرة فقط، فان صدام حسين سيكون الآن مرة ثانية، قادراً على الاستغاثة ليس بمواطنيه فقط، ولكن بجزء جدير بالاعتبار من العالم العربي، وبجزء من العالم الثالث، كانسان يتحدى العنف الامبريالي. وتم على الفور شجب

القصف من قبل الجامعة العربية باعتباره عملاً عدوانياً ضد بلد عربي. ولم تشارك الدول العربية. وبالتأكيد، فانه في بلده كان قد ضمن ترحيباً مبجلاً من قبل اولئك الذين ينقلون صور العالم الى الجمهور. والامر نفسه عند بوش: ترحيب مبجل في موطنه، عمل سهل، وقوة ساحقة ضد أناس عاجزين، وباستطاعتك التبختر حول خشبة المسرح وأخذ وضعية بطولية. انها تؤكد ما يريده ان يمتد في التاريخ كانجازه الوحيد، اي قتل مجموعة من الناس.

د.ب: كانت هناك ليبيا في سنوات الثمانينات، والآن العراق في سنوات التسعينات، اكياس ملاكمة معقولة.

القذافي سفاح بسيط. لكن صدام حسين سفاح كبير. من ناحية ثانية يجب عليك ان تتذكر دائماً ان النذالة لا علاقة لها بالموضوع. لقد كان نذلاً كبيرا قبل الثاني من شهر آب ١٩٩٠، وكانت اسوأ جرائمه خلال الفترة التي كان فيها محط إعجاب الولايات المتحدة، وحليفاً لها، ومدعوما منها بقوة كبيرة لدرجة انه اقترب تقريباً من مستوى اسرائيل. لقد كنت اعتقد ان اسرائيل هي البلد الوحيد في العالم التي استطاعت ان تقصف سفينة امريكية (ليبرتي) وان تقتل دزينتين من البحارة الامريكيين، دون ان تتعرض لعواقب وخيمة. لكنني كنت مخطئاً. فقد كان باستطاعة العراق القيام بذلك ايضاً، اذ قام بقصف الباخرة الامريكية ستارك في الخليج، فقتل امريكيين، دون ان يتعرض لأي عواقب وخيمة، لانه كان حليفاً مقرباً. كان ذلك سنة ١٩٨٧، وهي الفترة التي كانت فيها الولايات المتحدة تميل بقوة نحو العراق في محاولة للتأكد من انه ربح الحرب العراقية ـ الايرانية. واستمر الامر كذلك حتى وقعت الجريمة التي لم يكن بالمستطاع الصفح عن صدام حسين بسببها. فقد عصى الأوامر في الثاني من شهر آب. بعد ذلك مباشرة، وخلال بضعة شهور كانت الولايات المتحدة تدعمه مرة ثانية. ولم يكن الامر سراً. ففي شهر آذار، بعد ان توقف

القتال مباشرة، وحينما اتجه صدام حسين لضرب الشيعة في الجنوب ثم الاكراد في الشمال، وقفت الولايات المتحدة بهدوء، وساعدته. وفي النهاية حصل الاكراد على شيء من الشعبية. انهم ذوو عيون زرقاء وآريون. لكن الشيعة لم يحصلوا على شعبية، وضربوا اكثر. كان ذلك امام عيون القوات الامريكية.
كان العراقيون يستغيثون بالقوات الامريكية للسماح لهم بامتلاك بعض الاسلحة حتى يتمكنوا من مقاتلة جنود صدام حسين. وكان (ستورمين نورمان) جالساً هناك ويراقب، وربما يكتب مذكراته في الوقت نفسه. هذا ما نشر. قوبل باستقبال هادىء في الصحافة: نعم، نحن لا نحب صدام حسين، ولكن يجب علينا ان ندعمه من اجل الاستقرار، اي الاحتفاظ بقوتنا في المنطقة. وفي الواقع، في ذلك الوقت، فان الحكومة كانت لطيفة بما فيه الكفاية لكي تشرح، لمرة واحدة، بالضبط ما الذي كانوا يقومون به. انه لامر يستحق ان يُهتم بالكلمات، التي قيلت من خلال الناطق باسم الحكومة في صحيفة نيويورك تايمز (توماس فريدمان) الذي وصف سياسة الولايات المتحدة بان الولايات المتحدة تسعى الى «خير العالم». طغمة عراقية ذات قبضة حديدية استطاعت ان تستخدم القبضة الحديدية في العراق بنفس الطريقة التي استخدمها بها صدام حسين قبل غزو الكويت، من اجل ارضاء حليفي الولايات المتحدة: تركيا والعربية السعودية، وعلى نحو بين، الرئيس في واشنطن. ذلك هو ما يريدونه. وهذا يجعلها شديدة الوضوح. لا يمكنك ان تخطيء الرسالة، فهي جلية وواضحة ومشرقة. انهم يريدون (صدامَ حسين) وبما انه الآن عائق، فانهم يريدون كائناً، شخصاً مكافئاً لصدام حسين قادراً على استخدام القبضة الحديدية مرة ثانية مثلما فعل. لذلك، فان الجرائم لا علاقة لها بالموضوع. صحيح انه عفريت، لكن ذلك لا علاقة له بالموضوع. وما له علاقة هو الطاعة. ذلك انموذج قديم في التاريخ. لقد ايدنا موسوليني وهتلر لأسباب مشابهة.

د.ب: لا ضجة من مراكز الخدم؟

نعم.

د.ب: مـاذا ترى في هذا المضمـون الجـديد من فن الحكم «منطقة حظر جوي»؟

ان أي شخص سيحاول ان يتعـايش مع قوتهم، وقوة الولايات المتحدة تكمن في القـدرة العسكرية ذات التقنية العاليـة. ان حكومة الولايات المتحدة تعترف ان التدخل الكلاسي لم يعد خياراً قـائماً. وهذا هو احـد التغيـيرات الرئيسة التـي حدثت منذ سنوات الستينات. وفي الحقيقة، انه تغيـير في تاريخ العالم. اعـتقد انـهم سيدركـون ان السكان لن يتسامحوا اتجـاه أشكال التدخل الكلاسيـة. ويجب علينا ان نتذكـر ما الذي يعنيه ذلك. ان التدخل الكلاسي، على سبيل المثال، هو حينما ارسل وودرو ويـلسون قوات المارينز لمهاجمة هايتي وجـمهـورية الدومنيكان، والتـغلب عليهـما، قـاتلاً آلاف الناس، ممزقـاً النظام الدستوري، مـعيداً عـبودية فعلية، مسلمـا البلدين الى مسـتثـمرين غـربيين، ومـحولاً البلدين الى مـستـعـمرات. ولم ينتـعش اي من البلدين. فـفي هايتي مكثنا هناك نحو عشرين سنة تقريبـاً. او غزو نيكاراغوا. بحثا عن ساندينو. او شكل آخـر من التدخل الكلاسي ـ فـعلياً، ذلك الذي وضع بعض الاسـبقـيات الجـديدة ـ كـان قـبل ثلاثين سنـة مـضت، حـينمـا ارسل كـيندي سـلاح الجـو الامريكي ليـبدأ بقصف القرى، مصـرحاً لها باستـخدام النابالم، واتلاف اوراق النبـاتات، وحينـما ارسل القـوات العسكـرية الامريكيـة كخبـراء ومستشـاري معارك. ان ذلك كله هو تدخل كلاسي. وقد انـتهى. وليس هناك أحد يفترض ان ذلك امر ممكن الحـدوث بعد الآن. انهم يستطعيـون تنفيد ما جـاء في وثيقة التخطيط ذات المستوى العالي التي وضـعتها ادرة بوش منذ وقت مـبكر: فقط تدخل حاسم وسريع ضد الاعداء الاكثر ضعـفاً، والذي سيقود الى نصر سريع

جداً، دون قتال. وأي شيء آخر، سوف يقتطع الدعم السياسي، وليس هناك اي دعم سياسي بعد ذلك.

وهذا يعود بنا الى المناطق محظورة الطيران التي لا احد يعرف عنها. انها مناطق عازلة. الناس الوحيدون فقط الذين يُقتلون هم اناس آخرون. ليس هناك على الاطلاق اي تفاعل بين القوات العسكرية. ولذلك، فان ما كان يسمى معركة بين الولايات المتحدة والطائرات العراقية لم يكن معركة. انها لن تكون معركة اذا جلستُ انا هنا أضغط على زر فتنطلق قذيفة قاطعة نصف مسافة العالم. ان الطائرات العراقية تكون «في معركة» فقط حينما تكون الطائرات الامريكية خارج مداها. لذلك هناك حروب رخيصة. باستطاعتنا ان نهاجم، لكننا لا نستطيع ان نرمي. ذلك هو ما سيبقى الرأي العام يتسامح باتجاهه. ذلك هو ما يتعلق بالمناطق محظورة الطيران.

د.ب: ماذا عن دور الامم المتحدة في هذه التدخلات المتعددة الآن، هل تعطي موافقتها؟

بداية، فان الامم المتحدة لا تعطي فعلياً موافقتها. انها تبقى في الخلف. لذلك، وخلال حرب الخليج، لم تعط الامم المتحدة موافقتها، وقد كانت محيدة. كانت هناك سلسلة من القرارات. فحينما غزا العراق الكويت، اقر مجلس الامن القرار رقم ٦٦٠، والذي هو من النوع العادي للقرارات التي تقدم بعد اي عمل من اعمال العدوان. وقد دعا القرار العراق الى الانسحاب. وكان له جزء ثان، وتم نسيانه مباشرة، لأن الولايات المتحدة لن تحتمله. كان الجزء الثاني ينص على انه يجب على العراق والكويت البدء فوراً بالتفاوض لتسوية القضايا العالقة بينهما. ولم تكن الولايات المتحدة لتحتمل ذلك، لانها لم تكن تريد المفاوضات. ولقد أسقط الجزء الثاني من التاريخ، في حين بقي الجزء الاول: يجب على العراق ان ينسحب. والفارق الوحيد بين ذلك القرار

وأي قرار آخر صادر عن الامم المتحدة انه في هذه المرة لم يُنقض القرار. فقبل بضعة اشهر من ذلك التاريخ كان قد تم تقديم قرار مشابه، حينما غزت الولايات المتحدة بنما. وبالطبع، ففي ذلك الحين نُقض القرار. لقد قامت الولايات المتحدة بنقض عشرات القرارات المشابهة، والامر نفسه حينما غزت اسرائيل لبنان.

ثم جاءت سلسلة من القرارات التي أدت في النهاية الى القرار الاخير ذي الرقم ٦٧٨، والذي نفضت فيه الامم المتحدة يديها من القضية بكل بساطة. ففي اواخر شهر تشرين الثاني ١٩٩٠، قالت الأمم المتحدة ببساطة: انظروا، ان الامر خارج عن سيطرتنا، وباستطاعة اي دولة ان تقوم باي شيء تشعر انه يرضيها. ان ذلك واحد من اكثر الهجمات تدميرية ضد الامم المتحدة والتي لم يسبق ان وقعت على الاطلاق. لقد قالت الامم المتحدة ببساطة: اننا لا نستطيع القيام بوظيفتنا. ان ميثاق الامم المتحدة واضح جداً، بحيث ان اي دولة لا تستطيع استخدام العنف ما لم تفوض بذلك صراحة من قبل مجلس الامن. ولم تفعل الامم المتحدة ذلك، لكنها قالت ببساطة: يجب علينا ان ننفض يدينا من القضية. والسبب هو ان الولايات المتحدة ستقوم بما تشعر انه يرضيها.

د.ب: اذن، فالقصف الذي جرى يوم امس ليس قانونياً؟

ليس فيه اي تفويض على الاطلاق، ولا يمكن لاحد ان يدعي انه كذلك. علاوة على هذا، فايا ما كان العراقيون يفعلونه مع الصواريخ، وايا كانت الالعاب التي يلعبونها، صواباً ام خطأ، فباستطاعتك مناقشة ذلك على بعض المستويات الاخرى. وحينما يتعلق الأمر بالاشياء الاخرى، فان إعاقة وصول مفتشي الامم المتحدة والانتقال الى ميناء ام قصر لالتقاط معداتهم، هو امر قابل للنقاش من حيث خرق القرارات من الناحية الفنية. لكن الامم

المتحدة صرحت ـ لم تشجبهم كما شجبت الكثير من الاشياء ـ بعدم اجازة اي شيء. لقد كان القصف عملية احادية الجانب كلية، قراراً احادياً اتخذته الولايات المتحدة، والذي كان على ما يبدو قد تم اتخاذه حتى قبل اجتماع الامم المتحدة، وكانت حاملة الطائرات (كيتي هوك) جاهزة. اما السبب الوحيد الذي منعهم من شن الهجوم قبل يوم واحد من اليوم المحدد للهجوم فقد كان سوء الاحوال الجوية، الامر الذي يعني ان الهجوم كان سيقع حتى قبل اجتماع الأمم المتحدة. لقد كان مستقلاً عن ذلك. والامم المتحدة لم تجز ابداً القيام بمثل هذا العمل.

وبعيداً عن كل هذا، فان الامم المتحدة كانت محيدة في مجال آخر. فعلى امتداد فترة طويلة، عدة حقب، بدءاً من نهاية سنوات الستينات تقريباً، وحتى نهاية سنوات الثمانينات، كانت الولايات المتحدة تتعمد تدمير الامم المتحدة، لانها ببساطة، لم تكن اداة طيعة بيد السياسة الامريكية. فخلال عهد ريغان، لم تقم الولايات المتحدة بدفع ما يستحق عليها. كانت مبرزة في نقض قرارات مجلس الامن خلال الربع الاخير من القرن. وكان تفعل كل ما يمكنها فعله لتقويض المنظمة والتخلص منها، وعلى نحو خاص تلك الاجزاء منها التي كانت معنية بقضايا العالم الثالث، مثل اليونسكو. وبرغم ذلك، ومع حلول عامي ١٩٨٩ او ١٩٩٠، تغير الوضع. فقد عادت الامم المتحدة الى موضع الرعاية. خلال حرب الخليج كانت هناك سلسلة طويلة من المقالات المرهبة عن «التغير الرائع» في الامم المتحدة. ما حدث هو انها عادت الى الصف. الامم المتحدة وبشكل اساسي هي الاعضاء الخمسة الدائمون في مجلس الامن، وهم الذين يديرونه. اما الجمعية العامة فباستطاعتك صرف النظر عنها. والقوة العظمى لا تلقي اليها بالاً. وعلى الدوام، كان للولايات المتحدة صوتان تلقائيان في مجلس الامن، وعادة ثلاثة اصوات. فبريطانيا هي نوع من المستعمرة. اما فرنسا فستقوم بشيء من الضوضاء، ولكنهم يتعاونون. وبذلك

فانهم امتلكوا ثلاثة اصوات من اصل خمسة. ومع انهيار الاتحاد السوفييتي اصبح لهم اربعة اصوات، اذ اصبحت روسيا تابعاً اكثر ولاء من بريطانيا، وهو امر يصعب تصوره. ان ذلك يعطي اربعة اصوات تلقائية. اما الصين فانها تعتمد كثيرا على التجارة الامريكية، وهي في الغالب تأخذ موقف الامتناع، وهذا يعني ان الولايات المتحدة تضع مجلس الامن في جيبها.

ان اختفاء الاتحاد السوفييتي هو واحد من بين عدة عوامل، كان لها اثرها في تجاهل اصوات العالم الثالث. فما دام الاتحاد السوفييتي هناك ـ قاطعا طريق كبيران يعرضان قوتهما ـ كان هناك بعض المكان للقوى المستقلة، وكان هناك مكان لعدم الانحياز. باستطاعتك ان تثير قوة ضد الاخرى، او بامكانهما ان تتشاجرا مع بعضهما. ومع زوال الاتحاد السوفييتي ومغادرة قاطع طريق واحد، انتهى ذلك الوضع. علاوة على ذلك، فان من المهم جدا تذكر انه كانت هناك ازمة ضخمة للرأسمالية اكتسحت غالبية العالم الرأسمالي خلال سنوات الثمانينات، وبخاصة العالم الاستعماري السابق، الذي كان قد دُمر. اما المناطق الوحيدة التي نجت فقد كانت تلك الواقعة في المنطقة المحيطة باليابان، والتي لم تستسلم امام الارثوذوكسية الليبرالية الجديدة والمبادىء الاقتصادية القياسية التي كان لها اثر مدمر على افريقيا، وامريكا اللاتينية، واجزاء من آسيا التي لم تكن تدور في فلك اليابان، مثل الفلبين.

وقد عمل ذلك ايضا، وبشكل قوي جدا، على تقويض اي شكل من اشكال استقلال العالم الثالث. وهناك عوامل اخرى، لكن النتيجة النهائية هي ان الأمم المتحدة عادت لتصبح في جيب الولايات المتحدة، الامر الذي يعني انها تصبح اكثر محاباة في هذه النقطة. بالطبع، ليس حينما تقوم باشياء لا تريدها الولايات المتحدة. على سبيل المثال، كانت هناك ادانة للعراق، على الرغم من انها لم تجز القصف. وكانت هناك ادانة متزامنة لاسرائيل بسبب

ابعادها ٤١٥ رجلاً زعم انهم من حركة حماس من غزة. لقد ابعدوا في المقام الاول المثقفين، الطبقة المحترفة. وفي احدى الجامعات، وصل الامر الى انه تم طرد الكادر كله. وكانت هناك ادانة لذلك العمل. وبالطبع، فان الولايات المتحدة لم تمانع في ذلك، وبالتالي فان هذا ليس موضع خلاف. انها القصة المعتادة: ما دام ان الامم المتحدة سوف تكون اداة لقوة الولايات المتحدة، او باستطاعتها على الاقل ان تكون متفقة معها، فانها منظمة مفيدة. وحينما لا تفعل ما تريده الولايات المتحدة، فانها حينئذ يمكن ان تختفي.

د.ب: هل عملية اعادة الامل في الصومال تمثل انموذجاً جديداً للتدخل؟

اعتقد انها تمثل محاولة اخرى، ولا اعتقد انها يجب ان تصنف حقيقة على انها تدخل، بل يجب ان تصنف على انها عملية علاقات عامة للبنتاغون. فالولايات المتحدة لديها بعض المصالح في الصومال، ولكنني لا اعتقد انها أساسية. لقد كانت الولايات المتحدة، بالطبع، متورطة بعمق في الصومال، وهذا امر تجب معالجته بالحيلة من قبل الصحافة في الوقت الراهن، لانها ليست قصة رائعة. فخلال الفترة من ١٩٧٨ وحتى ١٩٩٠ ـ ليست تاريخا قديماً ـ كانت الولايات المتحدة الداعم الرئيسي (لسياد باري) الذي كان من نوعية صدام حسين، ومزق البلاد الى أجزاء. من المحتمل انه قتل خمسين او ستين الفاً من الناس وفقاً لـ (Africa Watch). دمر البنية الاجتماعية والمدنية، وأرسى أسس ما يحدث الآن. كانت الولايات المتحدة تدعمه، ومن المحتمل، الى حد كبير، انها ما تزال كذلك. اننا لا نعلم على وجه الدقة. اننا نعرف ان القوات الموالية في غالبيتها له كانت تحصل على الدعم من خلال كينيا، الواقعة الى حد كبير تحت النفوذ الامريكي. ومن المحتمل ان ذلك الدعم مستمر. وعلى اي حال، فاننا فعلنا ذلك بشكل مؤكد، خلال نهاية عام ١٩٩٠.

كانت الولايات المتحدة هناك لسبب واحد: توجد هناك قواعد عسكرية، وهي جزء من نظام موجه لمنطقة الخليج. ان قوات التدخل الامريكية الرئيسة، وعلى نحو شامل، كانت دائماً موجهة نحو الشرق الاوسط، وهذا جزء من نظام القواعد المحيطة به. ومع هذا، فانني اشك في ان هذا الاهتمام الوفير هو من اجل هذه القضية. فهناك الكثير الكثير من القواعد الآمنة، والمناطق الاكثر استقراراً. ما هو مطلوب بالحاح الآن، وجود طريقة ما تجنب ميزانية البنتاغون الانهيار. وفي الحقيقة، انه نوع من التآمر العلني تقريباً هذه المرة. لذا، فان (كولن بوول) رئيس هيئة الاركان المشتركة ادلى ببيان اوضح فيه كيف ان هذا العمل كان عمل علاقات عامة للجيش. وكتبت صحيفة واشنطن بوست افتتاحية وصفت فيها الامر على انه منجم ثراء بالنسبة للبنتاغون. لقد استطاع الصحفيون بشق النفس رؤية ما كان يحدث. ومع ذلك، حينما يتصل البنتاغون مع كل المكاتب الاخبارية، وشبكات التلفزة الرئيسة، ويقول: انظروا، كونوا عند شاطيء كذا وكذا، عند الساعة كذا وكذا، وكاميراتكم معكم موجهة نحو هذا الاتجاه لانكم ستشاهدون غواصات تصعد من الماء، وستكون مثيرة حقاً، فان لا احد يمكنه ان يعجز عن رؤية ذلك على انه عمل علاقات عامة للبنتاغون، وهو امر مطلوب. وافضل تعليل للتدخل، برأيي، قدم في مقالة نشرت في صحيفة الفايننشال تايمز في لندن في اليوم الذي حدث فيه التدخل، والتي لم تذكر الصومال. كانت تتحدث عن الركود في الولايات المتحدة، ولماذا هي عملية العودة الى الوضع السوي بطيئة. وقد استشهدت بأقوال عدد من الاقتصاديين من شركات استثمارية، وبنوك، وغير ذلك، من الرجال الذين لا يقومون بتصميم النماذج للمجلات الرياضية فحسب، ولكن ايضا يهتمون بالاقتصاد. وكان الاجماع يتمثل في ان مشكلة الانتعاش من الركود هي ان الاساليب المعيارية للتحفيز الحكومي للاقتصاد لم تكن متوافرة. ان شعلة الضخ عبر جهاز البنتاغون ـ احد الادوات الحكومية الرئيسة لادارة الاقتصاد ـ كانت

غيـر متوافـرة الى الحد الذي كـانت عليه في الماضي. وبالتـالي، كان الاقتـصاد بطيئاً جداً، بسبب ذلك، ولأسباب اخرى.

تلك مـشكلة كبـيرة، فجـهاز البنتـاغون كـان صمـيم السيـاسة الصناعـية العامة. وهو آخـذ في الانحطاط، وكانت هناك على امتداد سنـوات الثمانينات محاولات متـعددة لمنحه حياة جـديدة. وقد أوضح بوش ذلك بأمانة في خطابه الوداعي حينمـا شرح اسباب تدخلنا في الـصومال وليس في البوسنة. فـما يتم التوصل اليه هو ان في البوسنة شـخصا ما يمكن ان يطلق النار عليك، في حين ان الامر في الصومال هو مجرد مجموعة اطفال مراهقين، ونقدر ان ثلاثين الفا من قوات المارينز يـمكنهم معالجة ذلك. لذا، فان الامـر مجرد عمليات تصوير ليس الا. ان المرء يأمل في ان ذلك سيـساعد الصوماليين اكـثر من ان يؤذيهـم. انهـم مجرد دعـامة (ادوات) يستعان بها في منـاسبات التصوير للعلاقـات العامة للبنتاغـون، والتي هي شيء حاسم. حـينما تقول الصـحافة والمعـلقون انه ليس لدى الولايات المتحدة اي مـصالح هناك، فان ذلك يأخذ رؤية مضللة وضـيقة. ان تقوية جهاز البنتاغون مصلحة رئيسة لسادة الاقتصاد الامريكي.

د.ب: هناك كتاب ابيض صادر عن قيادة البـحرية والمارينز في شـهر ايلول ١٩٩٢، عنوانه (من البـحر) وهـو يتـحـدث عن تحـول الاهتـمام العسكري من الاخطار العسكرية العالمية الى «التـحديات والمناسبات الاقليمية، بما فيها «مساعي المساعدة الانسانية وبناء الامة في العالم الثالث».

لكن ذلك كـان دائمـاً هو البؤرة واللـغة المنمـقـة على حـدة. ان الميزانيـة العسكرية هي بشكل اسـاس من أجل التدخل. وفي الحـقـيقـة، حتى القـوات النووية الاستـراتيجيـة هي من اجل التدخل. لم يكن بنيـتنا استخـدام الاسلحة النووية ضد غرينادا، لكن القضية هي انه يجب عليك ان تفكر في الطريقة التي

تعمل الاستراتيجية بها. ان الولايات المتحدة قوة عالمية، ولم تكن مثل الاتحاد السوفييتي، الذي قام بالتدخل بشكل مباشر فيما حول حدوده، حيث كان يمتلك قوات تقليدية بشكل شمولي. ان الولايات المتحدة قوة عالمية، وتقوم بالتدخل في كل مكان: جنوب شرقي آسيا، الشرق الاوسط، وفي اماكن اخرى لا يوجد لها مصلحة تقليدية فيها. وطبقاً لذلك، كان يجب عليها دائما ان تكون لديها وقفة مرعبة الى ابعد حد، لتضمن انه ما من احد يقف في الطريق. وقد تطلب ذلك وجود ما سمي بـ «المظلة النووية»: قوات ذات اسلحة استراتيجية قوية لالقاء الرعب في قلب كل شخص، وبذلك يمكن ان تكون القوات التقليدية أداة للقوة السياسية. وفي الحقيقة، فان الجهاز العسكري كله في النهاية ـ جانبه العسكري لا الاقتصادي ـ كان معدا للتدخل، وكان ذلك مغطى بـ «بناء الدولة». في فيتنام، وفي امريكا الوسطى. دوما نحن انسانيون. لذلك، حينما تقول وثائق قوات المارينز ان لدينا الآن مهمة جديدة، بناء دولة انسانية، فان تلك بالضبط هي المهمة القديمة. ويجب علينا الآن تأكيد ذلك اكثر من ذي قبل لان الحجة التقليدية استنفدت. كان هناك وعلى الدوام اطار ايديولوجي يمكنك من خلاله ان تقوم بهذا، واعني الصراع مع الروس. ان كان عليك ان تقوم ببناء امة ـ مساع انسانية من خلال مهاجمة وتدمير جنوب فيتنام ـ فان ذلك كان من اجل محاصرة الامتداد السوفييتي. لقد انتهى ذلك الدور، اذ لم يعد باستطاعتك بعد الآن محاصرة المد السوفييتي. لذا، فاننا الآن نركز على ما تبقى، البناء الانساني للامة. لكنه نفس ما كان عليه دائماً. انه على وجه الدقة الشكل الحالي من الشأن الامبريالي.

د.ب: اي نوع من الاثر سيتركه دخول القوات المسلحة الامريكية الى الصومال على المجتمع المدني؟ لقد وصفت الصومال من قبل احد المسؤولين العسكريين بانها «دودج سيتي» وقوات المارينز بانهم «يات ايرب». ماذا يحدث حينما يغادر الجنرال المدينة؟

بداية، فان ذلك الوصف لا علاقة له بالصومال. ان احد المظاهر الملفتة للنظر او الحاسمة لهذا التدخل انه ليس هناك اي اهتمام بالصومال. لم يكن هناك احد ممن يعرف كل شيء عن الصومال قد شارك في التخطيط للتدخل، وليس هناك اي تفاعل مع الصوماليين بقدر ما نعلم. ومنذ ان دخل المارينز على الشعب، فانهم كانوا يتعاملون مع ما يدعون بـ «القادة العسكريين» وهم اكبر قطاع الطرق في البلاد. وهم يتعاملون معهم. لكن الصومال بلد. هناك اناس يعرفونها، ويهتمون بها. لقد وصفوها. ليس لديهم صوت مؤثر هنا. من بين الناس الاكثر حسن اطلاع امرأة صومالية اسمها (رقية عمر) وقد كانت مديرة تنفيذية لهيئة Africa Watch. وقد قامت بالكثير من العمل في مجال حقوق الانسان، وكانت تكتب، . . . الخ. الى ان حدث التدخل، الذي عارضته بشدة، فتم طردها بعد ذلك من الهيئة. انها تعرف الصومال جيدا، وهناك شخص آخر هو المدير المساعد لها(الكس دي وول) الذي استقال من الهيئة محتجا على طردها. وبعيدا عن عمله في مجال حقوق الانسان، فانه ايضا اكاديمي متخصص بشؤون المنطقة. فقد اصدر كتابا هاما بالتعاون مع (اوكسفورد يونيفرستي برس) عن المجاعة في السودان، بالاضافة الى عدة مقالات كتبها حول الموضوع نفسه. انه ليس ملما بالصومال فقط، وانما بالمنطقة كلها، وبشكل جيد جداً. وهناك آخرون انطباعاتهم مختلفة تماماً الى حد بعيد. في الحقيقة، هناك اشياء عديدة ليست مثيرة للجدل والخلاف، فالجزء الاعم من الصومال تعافى من هجوم سياد باري المدعوم من الولايات المتحدة. وقد وقعت فظائع سياد باري الرئيسة في القسم الشمالي من الصومال، الذي كان سابقاً مستعمرة بريطانية. كان يتعافى، وهو الآن منظم على نحو حسن جداً. فهو يعيش حالة نشوء مجتمع مدني خاص به اكثر من كونه تقليديا، فيه المعمرون التقليديون، والكثير من المجموعات الجديدة، مجموعات النساء، والتي نشأت في هذه الازمة. باستطاعتهم الاستفادة من المعونة، بدون شك، ولكنه نوع من الانتعاش.

ان منطقة الازمـة الحقيـقية هي الاقليم الواقع فـي الجنوب، وذلك بسبب قوات الجنـرال محمـد حيـرسي ـ المسمى مـرجان ـ صـهر باري، المدعـومة من كينيا. لـقد كانت ترتكب اسوأ الفظائع. ايضـاً، فان قوات الجنرال محـمد فرح عـيديد وعلي مـهـدي كانت ثـائرة. وأدى ذلك الى انحلال خـطير كـان الناس خلاله يمسكون بالبنادق من اجل البقاء. كان هناك الكثير من السلب والنهب.

ويحـدث ذلك حـينمـا يهيء قطاع الطرق المـراهقين هؤلاء. ذلك وصف لمنطقة بعينها. كانـت في اسوأ حالاتها في النصف الاول من عام ١٩٩٢. ومع حلول شهري ايلول وتشرين الاول كـان قد تم التغلب على الوضع، وكان هذا الجزء من الصـومال ينتعش ايضاً. ان تلق نظرة على مـجموعات المعـونة الجدية -ليس منظمـة الرعايـة الامريكيـة، وليس الامم المتحـدة، ولكن المنظمـات التي تقـوم بغـالبـية العـمل، مـثل: الصليـب الاحمـر الدولي، وأنقـذوا الاطفـال، والمجمـوعات الاصـغر الـتي تقوم بتنفـيذ مـشاريع التنمـية، مـثل: لجنة خـدمة الاصدقاء الامريكيين، او الرعاية الاستراليـة، التي كانت مزوداً رئيساً ـ تجد انها كانت تقدم غـالبية المعونة من البدايـة والى النهاية. كانوا يقدمون ارقـاماً تقارب نحو ثمـانين او تسعين بالمائة من المسـاعدة المقدمـة بحلول شهر تشـرين الثاني. والسبب في ذلك انها كانت تعمل مع المجتمع الصومالي الذي يُعاد تشكله. في هذه الزاوية من العنف والمجاعة الحقيقين كـانت الامور قد بدأت بالانتعاش اكثر من الاتجاه الذي كان قد حدث في الشـمال، كانت هناك الكثير من المشكلات، لكنها كانت آخذة في الانتعاش.

وكـان جزء مـن ذلك يتم بمبـادرة من مفـاوض الامم المتـحـدة، مـحمـد سحنون ـ وهو جزائري ـ الذي كان نـاجحاً الى حد بعيد ويحظى باحتـرام كبير من قبل الاطراف جميعهم. كان يعـمل مع المسنين التقليديين، ومع المجموعات المدنية الناشئة حديثاً، وخاصة المجمـوعات النسائية. كانوا يعودون للتوحد تحت

قيادته، او مبادرته على الاقل، وكانت له علاقات جيدة في كل مكان. لكنه طرد على يد بطرس غالي في شهر تشرين الاول لانه انتقد علانية عدم فاعلية الامم المتحدة، وفسادها، واستبدلوا به شخصاً عراقياً، من المحتمل ان يحقق شيئاً ما، وربما لا. وانتهى ذلك بسبب تدخل قوات المارينز. ان تدخل الولايات المتحدة كان ـ ظاهرياً ـ مخططاً له بعد الانتخابات بوقت قصير. وتقول الرواية الرسمية ان ذلك تقرر بعيد نهاية شهر تشرين الثاني، حينما شاهد جورج بوش على شاشة التلفزيون صوراً تفطر القلب. ولكن في حقيقة الامر، شاهد المراسلون الصحفيون الامريكيون في بايدووا في مطلع شهر تشرين الثاني ضباطاً من المارينز يرتدون ثياباً مدنية، وهم يجوبون المنطقة، ويستطلعونها بحثاً عن المكان الذي سيقيمون فيه قاعدتهم. كان ذلك توقيتاً منطقياً. فالازمة الأسوأ كانت قد انتهت، والمجتمع كان قيد إعادة التشكل. كان بامكانك ان تحقق بشكل جيد نجاحاً يبعث على الرضى في الحصول على الغذاء، باعتبار انه كان يحصل عليه باي طريق. ثلاثون الفاً من الجنود يرسلونه بمدة قصيرة. ليس هناك الكثير من القتال، لان ذلك الأمر كان مدعوماً. انه توقيت جيد بالنسبة الى بوش، ايضاً، لان ذلك يعني انك تحصل على مناسبات التصوير ثم تغادر، ويواجه شخص آخر المشاكل فيما بعد، والتي من المحتم بروزها.

لذا، فانها لم تكن Dodge City. كانت هناك منطقة مرعبة، وأخذت بالانتعاش. ما سيفعله هذا التدخل الكثيف هو قضية من الصعوبة بمكان التنبؤ بها. فقد يجعلها اسوأ، وقد يستطيع ان يجعلها افضل. ان الامر يشبه ضرب مريض عليل الى حد خطير بمطرقة ثقيلة، ربما يساعد ذلك، وربما لا. لكن ذلك التعليق حول Dodge City يعكس ببساطة ما هو واقعي: لا أحد مهتم. انهم لم يحاولوا اكتشاف ما هي الصومال، لانهم لم يكونوا مهتمين. الصوماليون دعامات يستعان بها. وما يحدث لهم امر عرضي. فان ينجح

التدخل، فاننا سوف نصفق استحساناً، ونبهج نفوسنا، وننعم بالتهليل للذات. فان يتحول الى كارثة، سنعالجه بالطريقة نفسها التي نعالج بها التدخلات الاخرى التي تتحول الى كوارث. وبرغم ذلك، هناك سلسلة طويلة منها. خذ غرينادا. كان ذلك تدخلا انسانيا. كنا ذاهبين لانقاذ الناس هناك من مأساة، ولنحولها الى ما سماه ريغان بـ «مَرْوعة من اجل الديمقراطية» او «مروعة من اجل الرأسمالية». وفي الحقيقة، فانهم سكبوا مساعدة هناك، وكانت اعلى معدل مساعدة للشخص الواحد في العالم، في السنة التالية، بعد اسرائيل، التي لها تصنيف آخر. وتحول الامر الى كارثة كاملة. المجتمع في انهيار كلي، اما الشيء الوحيد الذي كان يعمل هناك فهو غسيل اموال المخدرات. لكن احدا لا يسمع عن ذلك. وقد طلب الى كاميرات التلفزيون ان تنظر في اتجاه آخر. وهكذا، ان يتحول تدخّل قوات المارينز إلى نجاح ـ وهو أمر ممكن تصوره ـ سيكون هناك الكثير من التركيز عليه وكم نحن مدهشون، ويجب علينا القيام بذلك مرة ثانية. اما ان يتحول الى كارثة، فيتم محوه عن الخارطة، وعليك ان تنسى ذلك، وفي اي من الحالتين لا يمكنك ان تخسر.

د.ب: يوجد عنصر اخر فعال هنا اود ان تعلق عليه: ان النية للتدخل على ارضيات انسانية هو زعم يقوم به دائما القوي ضد الضعيف. انك لا تطلب من بنغلادش ارسال جنود للمساعدة على تهدئة الوضع في امريكا الجنوبية (اللاتينية).

ليس ذلك فقط، ولكنه امر روتيني جدا ان يكون كذلك تماما، مثل قول كلمة «مرحباً» حينما تدخل الى الغرفة. خذ التاريخ الامريكي. فحينما كانت الولايات المتحدة تقوم بطرد او إبادة السكان الاصليين قبل الثورة مباشرة، كان ذلك الأمر دائماً يوصف بانه «انساني». اننا محسنون اليهم. وحينما اعلن (آندرو جاكسون) قانون نقل الهنود، الذي احدث ابادة جماعية فعلية، وصفه

امام الكونغرس بتهليل للذات رائع، وبصوت مسيل للدموع: اي محسن كبير للهنود كان. وقال ان الناس البيض تمنوا لو انهم يحصلون على مثل هذه الفوائد. وبرغم ذلك، فان المستوطنين البيض، حينما يتجهون نحو الغرب، لا يحصلون على منح حكومية ضخمة، ولا يرشدهم الجيش الامريكي الى الطريق. ولكن حينما كان الهنود الأمريكيون يُرسلون نحو ما كان يسمى «ممر الدموع» حيث مات نصفهم، كانوا مصحوبين بالجيش الامريكي، بل انهم اعطوا بضع بنسات ليبدأوا هناك. لقد كانت هدية هائلة. لقد كنا كرماء جداً. وفي الحقيقة، وبعد قيام الثورة الامريكية عام ١٧٨٣ مباشرة، تم تشكيل لجنة لمحاولة تقرير ما الذي يجب فعله بالهنود. وكان السؤال هو: كيف نطردهم من ارضهم التي ظفرنا بها؟ وقرروا طردهم، ونقلهم من منطقة الى اخرى، وسلبهم اراضيهم. وانه لتجدر قراءة ما كتبوا: قالوا انه يجب علينا ان لا نتجاوز الحدود في الكرم. وسخاؤنا الطبيعي يجب ان تكون له حدود معينة، لان الكرم اذا بولغ فيه، يصبح مضراً بكل شخص. لذا، يجب ان نكون أسخياء، كما كنا دائماً، ونحن نقوم بسلبهم اراضيهم، ولكن ليس اسخياء جداً.

هذه لازمة، وهي مثل عنصر عميق للثقافة القومية يشار اليه في هذه القضية، وهي مضللة. ليس هناك من وحشية ارتكبت ولم توصف بانها انسانية ومفيدة للضحايا.

د.ب: تعليق على الاحداث في يوغسلافيا السابقة. ان هذا يشكل اكبر انفجار للعنف في اوروبا خلال الخمسين سنة الماضية. عشرات الاف القتلى، ومئات الآلاف من اللاجئين. هذا ليس شرق تيمورلنك الذي نتحدث عنه. هذه اوروبا. انها حرب نعيشها في نشرات الاخبار كل ليلة.

من ناحية معينة، فما يجري هو ان اليمينيين الامريكيين والبريطانيين

يحصلون على ما أرادوه. منذ سنوات الاربعينات كانوا يشعرون بالمرارة الشديدة فيما يتعلق بحقيقة ان الدعم الغربي تحول لفترة قصيرة الى تيتو والانصار وضد ميخائيلوفتش واتباعه الطاشناق والكرواتيين المعادين للشيوعية، بما في ذلك الاوستاش الذين كانوا نازيين تماماً. كذلك، فان الطاشناق كانوا يتلاعبون بالنازيين، يحاولون بشكل رئيسي التغلب على الانصار. وقد ظفروا. ان انتصار الانصار فرض ديكتاتورية شيوعية، لكنه ايضا وحد البلاد، وعمل على وأد العنف العرقي، وخلق اسس المجتمع العامل، والذي كان للاحزاب دورها فيه. وقد انهار ذلك لعدة اسباب، وها نحن الآن نعود الى سنوات الاربعينات، ولكن بدون الانصار. اما صربيا فقد ورثت الآن ايديولوجية الطاشناق، في حين ورثت كرواتيا بعضا من ايديولوجية الاوستاش ـ اقل ضراوة بكثير من الاصلية النازية ـ ولكنها تشبهها في بعض الوسائل.

بالطبع، فان قيادة صربيا وكرواتيا أتت من الحزب الشيوعي، لكن ذلك كان بسبب ان اي سفاح في المنطقة كان جزءاً من الجهاز الحاكم. (لقد كان يلتسين مثلاً رئيسا جلفا للحزب الشيوعي). ومن المثير، ان الجناح اليميني ـ على الاقل عناصره الاكثر صدقاً ـ يقبلون بذلك. وعلى سبيل المثال، كتبت (نورا بيلوف) ـ وهي معلقة بريطانية من الجناح اليميني ومعنية بشؤون يوغسلافيا ـ رسالة في مجلة الايكونومست تدين فيها الناس الذين يشجبون الصرب في البوسنة. وتقول: انها غلطة المسلمين. فهم يرفضون التسوية مع الصرب الذين يدافعون عن انفسهم. وكانت مؤيدة للطاشناق، ولا احد يعلم سبب تخليها عن تأييد عنف الطاشناق. وبالطبع، هناك سبب آخر، فهي صهيونية متعصبة الى حد بعيد جداً، وحقيقة ان المسلمين متورطون اصلاً تجعلهم في عينيها مذنبين.

د.ب: يقول البعض انه مثلما على الحلفاء ان يقصفوا

خطوط السكة الحديدية الموصلة الى اوزشفتش للحيلولة دون موت العديد من الناس في معسكرات الاعتقال، فانه ايضا يجب علينا قصف مواقع الاسلحة الصربية المحيطة بسراييفو التي ابقت تلك المدينة تحت الحصار. هل تدافع عن استخدام القوة؟

بداية، هناك نقاش كثير حول الحرب العالمية الثانية، وكم كان للقصف من نتائج. ضع ذلك جانبا. يبدو لي ان التهديد الحكيم بالقوة ـ ليس بواسطة القوى الغربية، ولكن من خلال بعض المجموعات متعددة الجنسيات والدولية ـ يمكن ان يعمل في مرحلة مبكرة على وأد العنف الى حد كبير، وربما محاصرته. اما فيما اذا كان ذلك يعني قصف مواقع الاسلحة ام لا، فتلك مسألة لا تستطيع اتخاد قرار بشأنها بسهولة. فمن جانب، عليك ان تتساءل ليس عن اخلاقيات ذلك العمل فحسب، وانما ايضا عن عواقبه. ان العواقب يمكن ان تكون معقدة جدا. فالقوات العسكرية المحافظة داخل روسيا يمكن ان تتحرك مثلا. انهم اصلاً موجودون هناك لدعم اخوانهم السلافيين في صربيا، ومن الممكن ان يقرروا التحرك على نطاق واسع. (بالمناسبة، كان ذلك امرا تقليديا. عد الى روايات تولستوي، وباستطاعتك ان تقرأ عن كيفية انقاذ الروس لاخوانهم السلافيين من الهجمات التي تعرضوا لها. ان ذلك يعاد تمثيله ثانية). عند تلك النقطة، فانك تضع الاصابع على الاسلحة النووية. ايضا، من المحتمل ان شن هجوم على الصرب الذين يشعرون انهم الطرف المظلوم سوف يدفعهم للتحرك بعدوانية اشد في كوسوفو، المنطقة الالبانية، الامر الذي يمكن -الى حد بعيد- ان يشعل حربا على نطاق واسع، مع توريط تركيا واليونان. لذا، فان الامر ليس بهذه السهولة.

ايضا ماذا لو قام صرب البوسنة ـ بدعم وتأييد من كل من: المناطق الصربية وربما ايضا السلافية ـ بشن حرب عصابات؟ لقد اشار خبراء عسكريون غربيون الى ان ذلك ربما يتطلب مائة الف من الجنود لضبط المنطقة. وهكذا،

فان قصف مـواضع الاسلحة الصربية يبدو سـهلا، لكن على المرء ان يسأل عن العواقب. ان ذلك ليس بهذه السهولة.

د.ب: انتخب زيلجكو رازنجاتوفيك - المعروف باسم اركان، وهو ســارق بنك لاجيء، ومطلوب في الســويد - عــضــواً في برلمان الصرب في شهر كانون الاول ١٩٩٢. اما ميليشيا النمور التابعة له فقد اتهمت بقتل المدنيين في البـوسنة، وقد وضع اسمـه مع عشـرة اشخـاص على قـائمة اعدتهـا وزارة الخارجـية الامـريكية على انهم مجرمي حرب. وقد نفى آركان التهم، وقال: «هناك كثير من الناس في الولايات المتـحدة بـاستطاعـتي ان اضع قائمة باسمـائهم كـمجـرمي حرب».

ذلك صحـيح تماماً، فـوفقـا لمعايير نورمـبرغ، هناك الكثـر من الناس في الغرب الذين يمكن ان يُعـتبروا مجـرمي حرب. ان ذلك لا يغفـر له باي وجه، طبعاً.

د.ب: جاء عيد الميلاد مبكراً عام ١٩٩٢ بالنسبة الى ستة على الاقل من المسؤولين السابقين في ادارة ريغان وهم متورطون في فضيحة ايران – الكونترا، وكان هناك عفو رئاسي عشية عيد الميلاد، وقـال بوش عن الذين شـملهم الـعفـو: «ان القـاسم المشـترك لحـافـزهم سواء اكانت اعمـالهم مصيبة ام مخطئة، كان حب الوطن». ان ذلك لا يبدو مشابها لموقف محامي الدفاع الالمان في نورمبرغ.

لا، فـهم لم يستطيـعـوا ان يفعلوا ذلك من غـيـر ان يتعـرضوا لعـواقب وخيـمة، لكن ذلك صـحيح تمامـاً. من المحتمـل ان (هيملر) و (جويـرنغ) كانا يتصـرفان كالمانيين وطنيين. وانـا بصراحة لم آخـذ ذلك العفو كله على مـحمل الجد. لقد كانت مقـاضاة انتقائية، انهم لم يلاحقوا اناساً كـباراً او قضايا هامة.

وما كانت التهم تدور حوله هو قضايا صغيرة. ان القيام بالكذب على الكونغرس امر سيء، وهو انتهاك خطير للقانون، عقوبته خمس سنوات سجن. لكن بالمقارنة مع شن عمليات ارهابية دولية ضخمة، فانه يعتبر شيئاً تافهاً. ولم يُتهم احد بالقيام بحرب غير قانونية ضد نيكاراغوا، وكل ما اتهموا به هو الكذب على الكونغرس فيما يتعلق بذلك. وهذا يشير الى القيم والدلالات التي تقع خلف اقامة الدعوى. وبكلمات اخرى، اقتل وعذب من تشاء، ولكن عليك ان تخبرنا. نريد ان يكون لنا دور ايضاً. ان تفكر في ذلك، فان هذا بالضبط هو ما حصل في ووترغيت. الاتهامات ضد نيكسون لم تتضمن على الاطلاق قصف كمبوديا. لقد ظهرت في جلسات الاستماع، لكن النقطة الوحيدة التي ظهرت فيها كانت ان نيكسون قد كذب على الكونغرس فيما يتعلق بذلك. ولم تكن هناك اي تهمة حتى حول انه كان قد ارسل قاذفات امريكية لتدمير مجتمع كمبوديا الفلاحي، وقتل عشرات الآلاف من الناس. ان ذلك لم يعتبر على الاطلاق جريمة. لذلك، فان العفو عن الناس لكذبهم على الكونغرس يكون معقولا الى حد معين نفهمه على انه يعني انه حتى الجرائم الرئيسة لا يتم بحثها ابداً. انها تشبه القاء القبض على آل كابوني بسبب قضية ضريبة الدخل.

د.ب: لم اسمعك ابداً تتحدث عن غاندي، وقد كتب اورويل عنه: «بالمقارنة مع الشخصيات السياسية القيادية الاخرى في زماننا، فاي رائحة طيبة قد عمل على تركها خلفه». ما هي تصوراتك عن المهاتما؟

انني اتردد في الحديث دون ان أباشر في تحليلات اكثر لما قام به ولما انجزه. لقد كانت هناك بعض الاشياء الايجابية. فعلى سبيل المثال، ان غاندي يشدد على مشاريع تنمية القرية، والاعتماد على الذات، والمشاريع المشاعية. ولقد كان ذلك امرا صحياً جدا بالنسبة الى الهند. ومن ضمن ما كان يقترحه،

ان هناك انموذجاً تنموياً للهند، استطاع ان يكون الى حد بعيد اكثر نجاحا وانسانية من الانموذج الستاليني الذي تم اعتماده ـ تطوير الصناعة الثقيلة، وتنميتها. . . الخ. اما الحديث عن اللاعنف، فان عليك في الواقع ان تتفكر فيه. بالتأكيد، فان كل شخص يقف الى جانب اللاعنف وليس الى جانب العنف، ولكن تحت اي شروط، ومتى؟ هل هو مبدأ ثابت؟

د.ب: انت تعرف ما الذي قاله للويس فيشر عام ١٩٣٨ عن اليهود في المانيا. لقد قال انه يجب على يهود المانيا ان يقوموا بعملية انتحار جماعي من شانها «ان تستثير العالم وشعب المانيا على عنف هتلر».

ان ذلك اقتراح تكتيكي، لا مبدئي. انه لا يقول انه كان يجب عليهم التوجه الى غرف الغاز بابتهاج لان ذلك هو ما يمليه اللاعنف. انه يقول: ان تفعل ذلك ربما يكون افضل. لذلك، فان هذا اقتراح تكتيكي. وهو لا يعكس مبدأ اخلاقياً. انه يجب ان يقيَّم على فضائله. فان تقيمه وفق ذلك، من وجهة النظر تلك، فاصلاً اياه عن اي اهتمام مبدئي، الا بمقدار كم من الارواح الانسانية يمكنك الحفاظ عليها من خلال القيام بذلك، فان الامر يمكن تخيله على انه حقيقة. ولا اعتقد ان الامر على هذا النحو. ولكن يمكن تخيله، وليس مستحيلاً، من حيث انه قد اثار اهتمام العالم بطريقة لم تفعلها المذبحة النازية بالتأكيد. واعتقد ان البرهان على ذلك ضعيف جداً.

د.ب: يضيف اورويل انه بعد انتهاء الحرب، برر غاندي موقفه قائلاً: «لقد قُتل اليهود على اية حال، وربما قد ماتوا على نحو له دلالته البالغة».

مرة ثانية، فانه يدلي بتصريح تكتيكي لا مبدئي. ويمكن للمرء ان يطرح سؤالاً عن النتائج التي ترتبت على الاعمال التي اوصى بالقيام بها. انه تفكُّر

مستند على دليل بسيط. بالنسبة اليه، من اجل اصدار تلك التوصية في الوقت المحدد، فان ذلك نوع من الغرابة. وما كان يجب عليه ان يؤكده، هو: دعنا نفعل شيئا للحيلولة دون ذبحهم. والموقف الصحيح الذي يجب اتخاذه في ذلك الوقت كان انهم لا يستطيعون القيام باي شيء. وبالتالي، فان الامر عائد الى آخرين للقيام بشيء ما لأجلهم. ان اعطاءهم نصيحة عن الكيفية التي يجب ان يذبحوا بها ليس امراً اصلاحياً، وعليك ان تقوم بذلك بلطف. ويمكن ان تقول الشيء نفسه عن اشياء اخرى طوال الوقت. خذ الناس الذين تم تعذيبهم وذبحهم في هايتي. انك تريد ان تخبرهم، ان الطريقة التي يجب القيام بها هي ان تسير باتجاه القتلة، وتضع رقبتك تحت السكين، وربما سيراقب ذلك الناس الذين بالخارج. يمكن ذلك. لكن الاكثر اهمية سوف يكون اخبار الناس الذين يقدمون السكاكين للقتلة انه يجب عليهم القيام بشيء ما مختلف.

د.ب: الهند اليوم ممزقة إرباً من خلال حركات انفصالية متعددة. كشمير، فوضى لا تصدق، فهي محتلة من الجيش الهندي، وهناك عمليات قتل واعتقال، وانتهاكات جماعية لحقوق الانسان في البنجاب، وفي كل مكان. اود منك التعليق على نزعة في العالم الثالث لتوجيه اللوم الى سادة الاستعمار بسبب المشاكل التي تقلق تلك البلدان اليوم، يبدو انهم يقولون: «اجل، فالهند لديها مشكلات، ولكنها مسؤولية البريطانيين، وكان الهند كانت في السابق مكاناً سعيداً جداً.

كيفية تقييم مسؤولية خطأ الكوارث التاريخية هي قضية صعبة. باستطاعتك ان تسأل الشيء نفسه حول الحالة الصحية لشخص مريض ويتضور جوعاً. هناك مجموعة من العوامل المختلفة تدخل فيه. فان كان هناك شخص يعذبهم فان ذلك بالتأكيد كان له دور. ولكن بعد ان ينتهي التعذيب، من المحتمل ان الشخص يأكل الوجبة الخطأ، ويعيش حياة فاسقة، ويموت جراء

ذلك. هذا هو ما نتحدث عنه هنا. انه ليس من السهولة تحديد حجم المسؤولية واللوم. وليس هناك ريب في ان الحكم الامبريالي كان كارثة كلية، وخذ الهند. فالبنغال كانت واحدة من اكثر المناطق غنى في العالم حينما وصل اليها اوائل التجار البريطانيين. وقد وصفوها بانها تشبه الجنة. واليوم، فان هذه المنطقة هي بنغلادش وكلكتا، وهي رمز لليأس والقنوط. ان هذه المناطق الزراعية الغنية كانت تنتج القطن الناعم، وهو اهم سلعة في تلك الفترة، وكانت فيها ـ وفقا لمعايير اليوم ـ مصانع متطورة. وكانت دكا، عاصمة بنغلادش، تقارن مع لندن، من قبل الفاتح البريطاني (كليف).

وبعد مرور نحو قرن، وخلال نقاش في مجلس اللوردات، وصف السير (تشارلز تريفيليان) كيف انهارت دكا من مركز صناعي رئيس ومدينة مزدهرة الى حي فقير هامشي تحت تأثير الحكم البريطاني. في البنغال، وعلى امتداد المناطق الهندية التي سيطروا عليها، قوض البريطانيون، وحاولوا تدمير نظام التصنيع القائم، الذي كان بالامكان مقارنته مع نظامهم الصناعي في مجالات عدة. وفي الوقت الذي كانت فيه الثورة الصناعية تعمل على تمدين انجلترا وتحديثها، كانت الهند آخذة في التريف، لتصبح بلداً زراعياً فقيراً. وقد استنكر (آدم سميث) قبل ما يزيد على مائتي سنة، عمليات السلب والنهب التي قام البريطانيون بها في البنغال، والتي ـ كما قال ـ دمرت، في المقام الاول، الاقتصاد الزراعي، ثم حولت «القحط الى مجاعة». بل ان المشرفين البريطانيين أخذوا الاراضي الزراعية وحولوها لانتاج الخشخاش لصالح تجارة الافيون الى الصين. وكانت البنغال احد الاماكن حيث انتجوه. كانت هناك مجاعة ضخمة.

كان التصنيع الهندي في مناطق اخرى جديراً بالاعتبار. فعلى سبيل المثال قامت شركة هندية ببناء احدى بوارج الاسطول الانجليزي خلال فترة الحروب

النابوليونية. وفرض البريطانيون انظمة جمركية قاسية، بدأت حوالي سنة ١٧٠٠، لمنع المصنعين الهنود من منافسة صناعة النسيج البريطانية. تلك هي بداية الثورة الصناعية، البدء بانتاج النسيج ثم التوسع الى اشياء اخرى. كان عليهم منافسة صناعة النسيج الهندية وتدميرها لان الهند كانت تمتلك ميزة تنافسية، اذ كانوا يستخدمون نوعية من القطن ذات مواصفات افضل، وصناعة متقدمة نسبيا، وفق معايير ذلك الوقت.

ولم يستمر الامر لما بعد عام ١٨٤٦ حينما اكتشفت بريطانيا فجأة حسنات التجارة الحرة. فمع حلول تلك الفترة، كان منافسوهم قد دُمروا، ومضوا في طريقهم قدما. كانوا مدركين لذلك تماماً جداً. يقول المؤرخون الليبراليون البريطانيون، المدافعون الكبار عن التجارة الحرة في تلك الفترة: «ان ما نفعله بالهند ليس امرا حسنا، ولكن ليست هناك طريقة اخرى للابقاء على مصانع لانكستر. يجب علينا ان ندمر المنافسة».

وتواصل الامر. وكتب نهرو عام ١٩٤٤ في سجن بريطاني كتابا هاما بعنوان The Discovery of India اشار فيه الى العلاقة التبادلية بين طول المدة التي سيطر فيها البريطانيون، وفرضوا نفوذهم على كل منطقة، وبين مستوى الفقر. فكلما طال وجود البريطانيين في منطقة، يزداد فقرها. وبالطبع، فقد كانت البنغال ـ حيث وصل البريطانيون اولاً ـ هي الاسوأ.

في كندا، وامريكا الشمالية، كانوا قد أبادوا السكان. ولا يتوجب عليك ان تبدأ بالمراقبين «السياسيين المضبوطين الحاليين» لوصف هذا، بل يمكنك العودة مباشرة الى الآباء المؤسسين، فأول وزير للدفاع (الجنرال هنري نوكس) الذي كان مسؤولاً عن تهجير الهنود اعتبارا من سنة ١٧٨٤ وما بعدها، قال: ان ما نفعله بالسكان الاصليين اسوأ مما فعله الفاتحون في بيرو والمكسيك. وقال: ان مؤرخي المستقبل سوف ينظرون الى هذه الافعال على انها ما يمكن تسميته في

علم المصطلحات الفنية الحديث بـ «الابادة الجماعية» ويلونونهم بـ «الوان سوداء». انهم لن يبدوا جيدين في التاريخ.

أما (جون كوينسي آدامز) فقد اصبح معارضاً للعبودية، وللسياسة الموجهة ضد الهنود، بعد ان ترك السلطة. وقد شعر انه نفسه كان متورطا في جريمة ابادة بمثل تلك الشناعة لدرجة انه اعتقد ان الرب سوف يعاقب البلاد على هذه الافعال الخاطئة. ايضاً في امريكا الشمالية، عملنا بشكل رئيس على ابادة وطرد السكان.

اما امريكا اللاتينية فقد كانت اكثر تعقيداً، لكن السكان الاصليين كانوا قد قضي عليهم فعلياً خلال مائة وخمسين سنة. وما تبقى كان خليطاً. في غضون ذلك، كان الافارقة قد جُلبوا كعبيد، الامر الذي كان له اثر رئيسي في تدمير افريقيا حتى قبل الفترة الاستعمارية. ان الاستيلاء على افريقيا اعادها الى الوراء كثيرا. وبعد ان قام الغرب بسرقة المستعمرات ـ ولا شك في ذلك، وايضاً لا شك في ان هذا قد ساهم في عملية التنمية عندهم ـ غيروا نمط العلاقة الى ما يسمى بـ «الاستعمار الجديد» اي السيطرة دون ادارة مباشرة، والتي كانت ايضاً وبشكل عام كارثة.

كيف نصنف الذنب فيما يتعلق بهذه النقطة بالذات؟ ان تكن اسرائيل ترتكب جرائم ضد الفلسطينيين، فهل يبرر ذلك الكارثة (الهولوكوست)؟ افترض ان بعض النازيين المتمسكين بمبادئهم وعقائدهم البالية يقولون: انظروا الى ما يفعله هؤلاء الرجال حالما تسمحون لهم بالذهاب. ان الامر بالضبط يعني اننا لم نفعل اي شيء. ان الامر كله خطيئتهم.

د.ب: لاستكمال الحديث عن الهند: لنتحدث عن سياسة فرِّق تَسُدْ التي ينتهجها الحكم البريطاني، تحريض الهندوس ضد المسلمين. انك ترى نتائج ذلك اليوم.

ذلك لا يعني القول ان الامر كان افضل في السابق، لانه لم يكن. ان الغزوات التي شنها المراثاويون* كانت بشعة ووحشية. لكن الحقيقة هي ان مستوى الوحشية الذي قام به الاوروبيون كان غير مألوف في كل مكان في العالم تقريبا. من الطبيعي، ان اي فاتح سوف يعمد الى تحريض فئة ضد اخرى. وفي الهند، على سبيل المثال، اعتقد ان نحو تسعين بالمائة من القوى التي استخدمها البريطانيون للسيطرة على الهند كانت هندية.

د.ب: هناك إحصائية تبعث على الدهشة وهي انه في اوج القوة البريطانية في الهند، لم يكن لديهم اكثر من ١٥٠٠٠٠ نسمة هناك، على الدوام.

لقد كان ذلك صحيحاً في كل مكان. كان صحيحاً حينما استولت القوات الامريكية على جزر الفلبين، وقتلت مائتي الف من المواطنين، وقد ساعدتهم القبائل الفلبينية، مستغلين النزاعات القائمة بين الفئات المحلية. وهناك دائماً الكثيرون من الذين يقفون الى جانب الفاتحين. الق نظرة على الاستيلاء النازي على اوروبا، وخذ اوروبا الغربية ـ ودعنا ننسى العالم الثالث ـ اوروبا الغربية المتحضرة البهيجة. اماكن مثل بلجيكا وهولندا وفرنسا. من الذي كان يجمع شتات اليهود؟ الناس المحليون. لو ان الولايات المتحدة فتحت على يد الروس، لكان (جورج بوش) و(إليوت آبرامز) والبقية الباقية منهم سيعملون جميعا لصالح الغزاة، ويرسلون الناس الى معسكرات الاعتقال. ولكان (رونالد ريغان) سيقرأ اعلاناتهم على شاشة التلفاز. ذلك هو الانموذج التقليدي. ان الغزاة وبشكل طبيعي جداً يلعبون على اي نوع من التنافسات والعداوات التي يجدونها ليتخذوا فئة تعمل لصالحهم ضد الآخرين.

---

* المراثاويون: شعب هندي يسكن اقليم بومباي، ومنطقة الدكن الغربي.

ويمكنك ان ترى ذلك الآن لدى الاكراد. فالغرب يحاول حشد الاكراد العراقيين لتحطيم الاكراد الاتراك، الذين هم الى حد بعيد الاكثر عدداً، وتاريخاً، وهم الاكثر عرضة للاضطهاد. ان الامر هذا لم تتم تغطيته اعلامياً كثيرا في الغرب لان تركيا حليف، ولذلك فانك لا تغطي الفظائع التي ارتكبوها. لكن بعد حرب الخليج مباشرة كانوا يقومون بقصف المناطق الكردية، وتم تشريد عشرات الآلاف من الناس. لكن الهدف الغربي الآن هو استخدام الاكراد العراقيين كسلاح في محاولة لاستعادة ما يسمونه «الاستقرار» في العراق، واعني نوعية النظام الذي يريدون.

في شهر تشرين الاول الماضي كانت هناك حادثة بشعة جداً، اذ كان هناك ما يشبه حركة الكماشة بين الجيش التركي وقوات الاكراد العراقيين لتدمير رجال العصابات الاكراد وطردهم من تركيا. وبغض النظر عما يمكن ان نعتقده في رجال العصابات هؤلاء، فانه لا ريب في انهم يحظون بتأييد شعبي كبير في جنوب شرقي تركيا. لكن زعماء الاكراد العراقيين وبعض فئات السكان الاكراد كانوا يتعاونون لانهم اعتقدوا ان باستطاعتهم الحصول على شيء من خلال ذلك. وباستطاعتك ان تتفهم موقفهم، وليس بالضرورة ان توافق عليه، فتلك قضية اخرى. ان هؤلاء هم اناس عرضة للسحق والتدمير من كل اتجاه. فإن يقبضوا على قشة من اجل البقاء، فان ذلك لا يثير الدهشة حتى وان كان القبض على ذلك القش يعني المساعدة على قتل ابناء عمومتهم فيما وراء الحدود. وتلك هي الطريقة التي يعمل بها الفاتحون، وقد عملوا على الدوام بتلك الطريقة. وقد عملوا بالاسلوب ذاك في الهند.

لم تكن الهند مكانا يعمه السلام قبل وصول البريطانيين، لا ، ولم يكن نصف العالم الغربي يوتوبيا (مدينة فاضلة) مسالمة. ولكن في كل مكان ذهب الاوروبيون اليه فانهم رفعوا مستوى العنف الى درجة غير اعتيادية. ولا تراود

الشكوك المؤرخين العسكريين حول ذلك. وكما يقول مؤرخ (ايست انديا كومباني): «الحرب في الهند كانت ما تزال لهوا، في حين انها اصبحت في اوروبا علماً».

كانت اوروبا تخوض حروبا داخلية مهلكة ووحشية، وقد طورت ثقافة العنف، بالاضافة الى وسائله، والتي لا يشق لها غبار. كانت ثقافة العنف استثنائية. كانت الحروب الاوروبية حروب ابادة. ففي كل مكان كان الاوروبيون فيه ـ سواء أكان برتغاليا، ام اسبانيا، ام انكليزيا، ام هولنديا ـ فانهم حاربوا ضمن مستوى من العنف ارعب السكان الاصليين، اذ انهم لم يروا على الاطلاق اي شيء يشبهه. لقد كان ذلك امراً صحيحاً فعليا على امتداد العالم كله، مع بعض الاستثناءات القليلة جداً. وفي الحقيقة، من وجهة نظر اوروبا، فان حروب المستعمرات تلك كانت ما نسميه اليوم حروبا صغيرة. فهي لم تتطلب مشاركة عدد كبير جدا من الجنود لتحطيم اعداد كبيرة من السكان الاصليين، ليس لان التكنولوجيا كانت افضل، ولكن لان الاوروبيين حاربوا بشكل مختلف. فان كنا نريد ان نكون صادقين فيما يتعلق بالتاريخ، فان علينا ان نصف الاستعمار الاوروبي على انه غزو بربري.

لقد اقتحم التجار البريطانيون والهولنديون، الذين انطلقوا الى آسيا، مناطق تجارة حرة نسبيا، كانت تعمل لفترات طويلة طويلة وفق قواعد راسخة القدم اكثر او اقل حرية، ومسالمة على نحو ملائم. انها نوع يشبه مناطق التجارة الحرة. ان وصف ما قاموا بفعله امر رهيب تماماً. لقد قدموا مستوى من العنف لم يعرف من قبل اطلاقاً. وقد دمروا ما كان في طريقهم.

البلدان الوحيدان فقط اللذان كانا قادرين على صد ذلك لفترة من الزمن اليابان والصين. وقد تدبرت اليابان امر التصدي لذلك تقريبا. وهذا ما يفسر لماذا اليابان هي المنطقة الوحيدة في العالم الثالث التي تطورت ونمت. ان ذلك

امر ملفت للنظر. والجزء الوحيد من العالم الثالث الذي لم يقع تحت سيطرة الاستعمار هو الجزء الوحيد الذي كان جزءاً من العالم الصناعي. ولم يكن ذلك محض مصادفة.

ان اجزاء من اوروبا الغربية قد خضعت للاستعمار، مثل ايرلندا، التي تشبه كثيرا جداً العالم الثالث، ولاسباب مشابهة. ان النماذج ملفتة للنظر. لقد عملت الصين على وضع القواعد والقوانين، وامتلكت التكنولوجيا، وكانت قوية، ولذلك فانها كانت قادرة على التصدي للتدخل الغربي لفترة طويلة. ولكن حينما انهار دفاعها في النهاية خلال القرن التاسع عشر، انهارت البلاد.

لذا، فانه من الصحيح تماما ان فترة ما بعد الاستعمار قد شهدت تطور عدد من الوحوش القاسية. لكن حينما يلقي اناس في العالم الثالث اللوم على التاريخ الامبريالي بسبب مأزقهم، فان لديهم حجة قوية يقدمونها. وانه لمن المثير رؤية كيف تتم معالجة هذا الامر في الغرب هذه الايام. ففي السابع من شهر كانون الاول عام ١٩٩٣، ظهرت مقالة مذهلة في صحيفة وول ستريت جونال، كتبها (آنجلو كودفيلا) وهو باحث في موسسة هوفر في ستانفورد، ينتقد فيها التدخل في الصومال. ويقول: المشكلة في العالم هي ان المفكرين الغربيين يكرهون ثقافتهم، وبالتالي فانهم انهوا الاستعمار. والحضارات ذات السماحة الكبرى هي التي باستطاعتها فقط القيام بمهام نبيلة لمحاولة انقاذ هؤلاء البرابرة في مختلف انحاء العالم من مصيرهم المزري. وقد فعل الاوروبيون ذلك، وبالطبع، اعطاهم هذا منحا عديدة وفوائد. لكن بعد ذلك، فان هؤلاء المفكرين الغربيين الذين يكرهون ثقافتهم قد اجبروهم على الانسحاب. والنتيجة هي ما تراه انت الآن. فحقيقة، يجب عليك العودة الى الارشيف النازي للعثور على اي شيء يمكن مقارنته بذلك. وبعيداً عن الجهالة الضخمة التي هي ضخمة جداً لدرجة انها تستطيع الظهور فقط بين مفكرين بارزين، فان المستوى

المعنوي هو: عليك ان تعود الى الارشيف النازي. لكنها افتتاحية تخييلية في صحيفة الوول ستريت. ومن المحتمل انها لن تحظى بالكثير من النقد.

هناك نظراء لذلك في انكلترا، مثل: صحيفة الصنداي تلغراف، وصحيفة الديلي تلغراف. وانه لمن الممتع قراءة صحف الجناح اليميني البريطاني بعد حصول (ريغوبرتا مينشو) على جائزة نوبل. فقد كانت هذه الصحف محنقة وخاصة مراسلوها في امريكا الوسطى. ووجهة نظرهم تقول: انه كانت هناك فظائع في غواتيمالا. لكن الامر سواء فيما اذا كانت هذه الفظائع قد ارتكبت من قبل رجال عصابات الجناح اليساري او انها كانت استجابة لا يمكن تفهمها من قبل قطاعات جديرة بالاعتبار في المجتمع للعنف والبشاعات التي ارتكبها هؤلاء الكهنة الماركسيون. لذا، فان اعطاء جائزة نوبل للشخص الذي كان يقوم بتعذيب الهنود طوال هذه السنوات (ريغوبرتا مينشو) هو امر من الصعوبة بمكان بالنسبة الي ايجاده ثانية. ويجب عليك ان تقرأ الاصل.

د.ب: ان هذا يحمل مشكلة العرق والعرقية وكيف ان ذلك قد حلل العلاقة بين ما سادعوه بـ «الشمال» و «الجنوب».

لقد كانت هناك على الدوام عرقية، لكنها نمت كمبدأ قيادي للفكر ونفاذ البصيرة الى حد بعيد في نطاق الاستعمار. انها ليست قضية انها لم تكن موجودة من قبل. لقد كانت موجودة على نحو واضح. لكنها اكتسبت بكل ما في الكلمة من معنى ابعاداً جديدة وأهمية جديدة ضمن التطابق الامبريالي. وذلك امر قابل للفهم. حينما تكون جزمتك على عنق شخص ما، فعليك ان يكون لديك تبرير لذلك. والتبرير يجب ان يكون فساده. فان يكن باستطاعتك ان تجد اي شيء لتعلق فسادهم عليه، مثل لون عيونهم، فان الامر سيكون كذلك. ومن الملفت جداً للنظر رؤية هذا في حالة اناس لا يختلفون كثيراً أحدهم عن الآخر. الق نظرة على الفتح البريطاني لايرلندا، والتي كانت اقدم

الفتوحات الاستيطانية الغربية. لقد وُصفت بنفس النوع من المصطلحات كفتح افريقيا. والايرلنديون كانوا عرقا مختلفا. لم يكونوا بشرا. لقد كانوا عرقا تحدر من اناس كان يجب ان يُسحقوا ويدمروا.

د.ب: يرى بعض الماركسيين العرقية على انها نتاج النظام الاقتصادي للراسمالية، هل توافق على ذلك؟

لا. يجب ان تكون لها علاقة بالفتح. انها اضطهاد. في حال انك تضطهد شخصاً ما ـ بما انك تقوم بسرقته ـ فان ذلك لا يوجب التعذيب. في حال انك تسرق شخصا ما، تضطهده، وتتحكم فيه، وتملي عليه حياته، فانه شخص نادر جداً الذي يستطيع ان يقول: انظروا، انا وحش، انني افعل هذا لصالحي. حتى (هيملر) لم يقل ذلك. هناك تكنيك قياسي لتشكيل الايمان يتماشى مع الاضطهاد، سواء اكان برميهم في غرف الغاز، او بحشرهم الى حد بعيد، عند حجر الزاوية او اي شيء بينهما. هناك اسلوب مقياسي لرد الفعل، وهذا يؤدي الى القول ان ذلك هو فسادهم. لهذا السبب انا افعل ذلك. ربما انني افعل ذلك لصالحهم. ان يكون ذلك فسادهم، فانه يجب ان يكون هناك شيء ما يتعلق بهم من شأنه ان يجعلهم مختلفين عني. وذلك الاختلاف المتعلق بهم هو ما يجب عليك ايجاده.

د.ب: وذلك هو التبرير

وعند ذاك يصبح الامر عرقية. باستطاعتك دائما ان تجد شيئا ما. اختلاف في لون الشعر او العيون، انهم بدينون، انهم مستهترون، وغير ذلك. انك تجد شيئاً مختلفاً بما فيه الكفاية. بالطبع، انك تكذب فيما يتعلق بذلك، ولذا فان الامر اكثر سهولة لتجد المزيد.

د.ب: هل تعرف قصة العقرب والجمل؟ كان هناك عقرب

يريد عبور النهر، ويريد من الجمل ان يساعده في العبور، فقال للجمل: «ايها الجمل، تعال واحملني» فيقول الجمل: «امجنون انت؟ انني اعرفك. انك ستلدغني». ويقول العقرب: «لا، لا،لا، انني عقرب صالح. انني مخلوق جيد. لن افعل شيئاً من ذلك». وبعد الكثير من محاولات الاقناع، يرق الجمل في النهاية، ويقول: «حسناً، إعتل». فيعتلي العقرب ظهر الجمل. وفي منتصف النهر يحس الجمل بلدغة في ظهره، ويتيقن ان العقرب قد لدغه، فيبدا بالصراخ والشتم ويقول: «لقد وعدتني انك لن تفعل هذا. سنموت نحن الاثنين الآن. سنغرق. انك مجنون».ويقول العقرب: «حسنا، انها في طبيعتي». ان هذه القصة تقود الى الطبيعة الانسانية، فهل العرقية مكتسبة او متعلمة ام انها موروثة فطرياً؟

لا أعتقد ان أياً من هذين هو الجواب الصواب. وليس هناك شك في ان هناك طبيعة انسانية غنية. نحن لسنا صخوراً. وأي شخص سليم العقل يعرف ان جزءاً ضخماً منا محدد جينيا، في سلوكنا وفي مواقفنا. وذلك الامر ليس سؤالاً يطرح بين الناس سليمي العقل. حينما تذهب الى ابعد من ذلك، وتسأل هذا السؤال، فانك تدخل مجال الجهالة الكلية تقريبا. اننا نعرف ان هناك شيئا ما يتعلق بالطبيعة الانسانية يجبرك على تنمية ذراعين لا جناحين، وان يكون سن البلوغ في عمر معين تقريبا. وفي هذه الايام، فاننا نعلم ان اشياء مثل اكتساب اللغة هي جزء من الطبيعة الانسانية، حتى ضمن أشكالها الدقيقة جدا، وأشياء عن الجهاز البصري، وغيره. وحينما تصل الى النماذج الثقافية، انظمة الايمان، . . . الخ، فان تخمينك عن الشخص القادم الذي تلتقيه عند موقف الباص هو في الواقع افضل عالِم. ويستطيع الناس التحدث بصخب عن ذلك، ان هم يريدون، لكنهم بشكل اساسي لا يعرفون، عملياً، شيئاً.

في هذا المجال الخاص، باستطاعتنا ان نقوم بنوع من التفكر المعقول. واعتقد ان الاكثر معقولية هو ما كنت قد ذكرته. ليست العرقية في جيناتنا. وما هو في جيناتنا الحاجة الى تحسين صورتك الذاتية.

د.ب: من اجل الهيمنة؟

لا، ولكن من اجل تبرير ما تقوم به. ولا استطيع الاعتقاد ان كل انسان لا يعرف هذا من خلال حياته. ان يفكر اي شخص، بأمانة، فيما يتعلق بحياته هو للحظة واحدة، فانه سيفكر في اشياء كثيرة قام بها وكان من المفروض ان لا يقوم بها. ربما كان قد سرق شيئا ما من شقيقه حينما كان في العاشرة من العمر. فان تنظر الى الوراء بأمانة وتسأل نفسك: هل قلت لنفسي في ذلك الوقت انني وغد فاسد، ولكنني سأفعل هذا لانني اريده؟ او هل قلت: انا مصيب في ان أفعل هذا من اجل هذا السبب او ذاك؟ فان الجواب الثابت تقريبا هو الثاني. ليست قضية فيما اذا كانت شيئا كبيرا ام قليلا. تلك هي طبيعتنا على الارجح. من المحتمل ان نجد في طبيعتنا سبيلا لتقوم من جديد باي شيء وبطريقة ما تجعل بامكاننا التعايش معه.

ان ننتقل الى المجال الاجتماعي، مجال التفاعلات الانسانية، حيث توجد هناك مؤسسات وأجهزة القمع والهيمنة، فان الناس الموجودين في مواقع السلطة والهيمنة الذين هم في موقع التحكم ـ الذين يفعلون اشياء للآخرين، والذين يؤذون الآخرين ـ سوف يستمرون في طريق ايجاد التبريرات لانفسهم وربما يقومون بذلك من خلال طرق معقدة او غير معقدة، الا انهم سيقومون بذلك. وهذا موجود في الطبيعة الانسانية الى حد بعيد. ان احدى نتائج ذلك يمكن ان تكون في النهاية عرقية، ويمكن ان تصبح اشياء اخرى، ايضاً.

ولنأخذ الاساليب المعقدة. فأحد المعلمين الروحانيين المفكرين للفترة

المعاصرة في الولايات المتحدة هو (رينولد نيبور) والذي دعي بـ «لاهوتي الكنيسة الرسمية». وقد بجلته النماذج الليبرالية الكندية، وأناس من امثال (جورج كينان). كان يعتبر معلما روحيا للجيل المعاصر. ومن المهم القاء نظرة على الاسباب التي جعلته محط تبجيل. في الواقع، انني قرأت كتاباته ذات مرة. المستوى الفكري هابط على نحو محزن، لكن ثمة شيئاً فيها جعله موضع اعجاب. لقد كان ذلك الشيء ما سماه هو بـ «تناقض النعمة». لكن ما يفتقر اليه ـ ليست ذات قضية كم تحاول ان تفعل خيرا ـ انك دائما ستلحق الاذى بالآخرين. طبعا انه مفكر، ولذلك كان عليهم ان يلبسوها كلمات ضخمة ومجلدات ضخمة. لكن ذلك هو ما يفتقر اليه.

تلك نصيحة مغرية جدا بالنسبة الى الناس الذين يخططون للانخراط في حياة الجريمة. ان القول: «ليست بذات قضية كم أحاول ان افعل الخير فانا دائما سأوذي الناس» هو تناقض النعمة الالهية. ولا تستطيع الاقلاع عن ذاك. وتلك فكرة مدهشة بالنسبة الى المافيا. فعند ذاك، باستطاعة رجل المافيا ان يمضي قدما ويفعل ما يريد، فان هو يلحق الاذى بالناس، يقول: يا الهي، انه تناقض النعمة الالهية. واعتقد ان ذلك يفسر لماذا كان رينولد موضع اعجاب شديد من المفكرين الامريكيين في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية. فقد كانوا يستعدون لدخول حياة الجريمة الاكبر، الاعمال الاجرامية الاكبر. كانوا سيصبحون اما مديرين او مفوضين لفترة الفتح العالمي، يديرون العالم، ومن الواضح ان ذلك يستلزم ارتكاب جرائم شنيعة. اليس من الدقة ان نضع هذه العقيدة أمامنا؟ بالطبع نحن خيرون جدا وانسانيون، ولكنه تناقض النعمة الالهية! ومرة ثانية، فان تكن مفكرا اكتب مقالات عنها.

وبرغم ذلك، فان الآليات بسيطة جدا وابتدائية. وأعتقد ان ذلك كله ـ ان شئت ـ جزء من طبيعتنا، لكن بطريقة شديدة الشفافية حتى انك لا تسميها

نظرية. ان كل شخص يعرف هذا من خلال تجاربه وخبراته ان يتوقف عن التفكير فيها. تماما مثلما يتعلق الامر باي شيء يمكن فهمه عن الكائنات الانسانية، فان كل شخص يعرف ذلك ان يتوقف عن التفكير فيها. انها ليست فيزياء كمية. تقريباً، ما هو معوف هو على السطح. فكر في نفسك وباستطاعتك ان تراها مباشرة هناك. انسَ الكلمات الكبيرة والاجهزة متعددة المقاطع والفكرية، وفكر فقط فيها. انه من السهولة بمكان رؤية كيف يحولها ذلك الى عرقية.

خذ الصرب والكروات. ان كل ما يريدون فعله الآن هو ان يذبح كل منهم الآخر. وهم لا تعوزهم الخصائص المميزة لهم، فهم يستخدمون ابجدية مختلفة، ولكنهم يتكلمون اللغة نفسها، وينتمون الى فروع مختلفة من الكنيسة الكاثوليكية. ولكنهم على استعداد تام ليذبحوا ويحطموا بعضهم البعض، وباستطاعتهم ان يتصوروا انه ليس هناك من مهمة عليا في الحياة.

د.ب: ماذا عما يدعى بـ «الاخلاقيات التنافسية للتنافس»؟ هل هناك اي دليل على اننا تنافسيون طبيعيا؟ المؤيدون لنظرية السوق الحر والمدافعون عن راسمالية السوق يقولون: انه يجب عليك اعطاء الناس القدرة على المنافسة... انه شيء طبيعي.

هناك شروط في ظلها سوف يتنافس الناس بدون ريب. وهناك شروط في ظلها سوف يتعاون الناس. على سبيل المثال، خذ عائلة ما. لنفترض ان الشخص الذي يوفر الاموال لهذه العائلة ـ ايا كان ـ يفقد/ تفقد عملها، فبالتالي لن يكون لديهم الطعام الكافي للاكل. ربما يكون الاب اقوى واحد في العائلة، فهل يسرق الطعام كله وياكله، في حين يتضور الاطفال كلهم جوعاً؟ أخمّن ان هناك اناساً يفعلون ذلك، لكنك حينذاك ستحبسهم. انهم باثولوجيون. هناك خلل في مكان ما. فهل يعني ذلك انهم ليسوا تنافسيين؟

لا. يبدو انه في تلك الظروف انك تساهم. وتلك الظروف باستطاعتها ان تتمدد على نحو واسع. على سبيل المثال، باستطاعة تلك الظروف ان تتمدد لتشمل الطبقة العاملة كلها. فحينما تكون هناك فترات من تضامن الطبقة العاملة، فان الناس يناضلون معا لاقامة اتحادات وايجاد ظروف لائقة، اي جمهورية عمالية، يقوم فيها الناس بالتحكم في عملهم ولا يكونون مضطرين لمعاناة استعباد الاجور. وبرغم ذلك، فانها الولايات المتحدة. انظر الى الاغلاق التعجيزي لمصنع هومستيد قبل قرن، حينما اسس (اندرو كارنيجي) مؤسسة البليون دولار الاولى العالم من خلال تدمير اكبر اتحاد في البلاد.

لقد قام بتحطيمه (الاتحاد) في هومستيد، التي كانت مدينة الطبقة العاملة. كانت تلك الفترة فترة كراهية عرقية ضخمة، ومنافسة، وعنصرية، موجهة على الأغلب، ضد المهاجرين الاوروبيين الشرقيين: السلوفاك والهون. ولكنهم خلال ذلك النزاع، عملوا مع بعضهم. وقد كانت واحدة من فترات قليلة من التناغم العرقي الحقيقي. فقد عملوا مع الامريكيين الانغلو - ساكسون، ومع الالمان، ومع البقية الباقية. كانت هناك ظروف ظهر فيها التنافس وعمل فيها التعاون. ومرة اخرى، فان الشك يراودني في ان ثمة شخصا ما يخفق في رؤية هذا في حياته.

دعني أروي لك قصة شخصية. انني لست عنيفاً، ولكن حينما كنت في الجامعة، كان عليّ ان آخذ مساقا في الملاكمة. كانت الطريقة لذلك ان تتظاهر بالملاكمة مع صديق، ولكننا جميعنا اكتشفنا - وكنا مندهشين - انه سرعان ما كنا نريد ان نقتل بعضنا. بعد القيام بهذا الضغط والدفع هنا وهناك لفترة من الوقت، فانك فعلا تريد ان تؤذي ذلك الرجل، صديقك الافضل. باستطاعتك ان تشعر بذلك. انه لامر مروع ان ينظر الى ذلك، ومرة اخرى يراودني الشك في ان الناس قد عجزوا عن رؤية هذا في انفسهم، وعن رؤية شيء ما يتعلق

بحياتهم. فهل يعني ذلك ان الرغبة في ايذاء الناس امر فطري؟ في ظروف معينة، فان هذا المظهر من مظاهر شخصيتنا سوف يهيمن. هناك ظروف اخرى تسيطر في ظلها مظاهر اخرى. فان كنت تريد ان تخلق عالما انسانيا، عليك ان تغير الظروف.

د.ب: كم هو حاسم التكييف الاجتماعي في هذا كله؟ دعنا نقل انك صبي يكبر ويترعرع في الصومال اليوم.

ما رأيك في صبي ينمو ويكبر في بوسطن، عند نزلة الشارع؟ او حتى هنا، في كامبردج. في الصيف الماضي قتل طالب اجنبي في معهد مساتشوستس للتكنولوجيا طعنا بسكين، على بعد عدة مبان من هنا، وعلى يد اثنين من المراهقين من طلبة المدرسة الثانوية المحلية. كانا يتعاطيان رياضة تُلعب على النحو التالي: يفترض في طلبة المدرسة الثانوية ان يسيروا هنا وهناك ويجدوا شخصا ما يسير في الشارع. يُختار احد الطالبين، ويفترض فيه ان يصرع الشخص بضربة واحدة. فان يخفق في ذلك، يقوم الطالب الآخر بضرب الطالب الذي أخفق. تلك هي الرياضة. وهكذا، فانهما كانا سائرين، معاً، وشاهدا طالب المعهد هذا، فاختير احدهما، وصرعه بضربة واحدة. ولاسباب غير مفهومة، قاما بطعنه بالسكين، وقتلاه. انهما لم يجدا اي خطأ في هذا. سارا، وذهبا الى احد البارات في مكان ما. كان احد الاشخاص قد رآهما، والقت الشرطة القبض عليهما فيما بعد، ولم يحاولا حتى الفرار. فهما لم يجدا اي خطأ في ذلك. انهما يعيشان في كامبردج، لا في براتل ستريت، ولكن من المحتمل في احياء الفقراء، والتي ليست احياء فقراء صومالية بطريقة ما، ولا حتى الاحياء الفقيرة في دروشستر. لكن من المؤكد ان الاطفال في الضواحي الغربية لا يتصرفون تلك التصرفات. فهل هم مختلفون جينياً؟ لا. هناك شيء ما يتعلق بالظروف الاجتماعية التي يترعرعون فيها، ويجعل من هذا

التصرف شكلا من أشكال السلوك المقبولة، بل وشكلا طبيعيا من السلوك. ان اي شخص نشأ في منطقة مدينية يجب ان يكون مدركاً لهذا. وباستطاعتي ان اتذكر من ايام طفولتي انه كانت هناك مناطق مجاورة، ان دخلتها فستتعرض للضرب. يفترض فيك ان لا تكون هناك. ان الناس الذين كانوا يقومون بذلك، الاطفال، كانوا يشعرون انهم على حق، وان تصرفاتهم مبررة. كانوا يدافعون عن تربيتهم، عن اي شيء آخر يجب عليهم الدفاع؟

د.ب: بمناسبة الحديث عن براتل ستريت، فقد كنت هناك الليلة الماضية بالضبط. مستجْدون، اناس يطلبون المال، واخرون ينامون عند مداخل المباني. هذا الصباح، في ميدان هارفارد، عند محطة T كان هناك المزيد من ذلك. ان شبح الفقر والياس قد اصبح مرئيا على نحو متزايد او عند خط الرؤية عند الطبقتين: الوسطى والعليا. انك لا تستطيع ان تتجنبه كما كنت تفعل قبل سنوات حينما كان محدوداً ضمن قسم معين في المدينة. وهذا يتطلب الكثير للقيام به مع تفقير ـ الذي اعتقد انك تدعوه العولمة الثالثة الداخلية ـ الولايات المتحدة.

هناك عوامل عديدة بحثناها من قبل، والى حد ما، هي نتيجة طبيعية مباشرة لما يسمى بعولمة الاقتصاد. اضافة الى ذلك، هناك تمدد ضخم لرأس المال غير المنظم في العالم، الباحث عن عملات مستقرة ونمو منخفض. هذه العوامل لها نتائج واضحة مباشرة، وأعني، امتداد نموذج العالم الثالث الى الدول الصناعية. ان انموذج العالم الثالث هو قطاع من الثروة والامتياز المفرطين وسط بؤس ويأس ضخمين بين أناس زائدين لا فائدة منهم. ان الانموذج آخذ في الامتداد الى العالم كله.

انظر الى مناقشة اتفاقية النافتا NAFTA. ان المناقشات الدائرة حولها تقول انها لن تلحق الضرر بالكثيرين من العمال الامريكيين ـ فقط العمال غير

المهـرة ـ الذين يشكلون نسبـة سبـعين بالمائة من قـوة العمل. ان هذا واحـد من الامور التي تراها.

انظر الى لوس انجلوس. تلك منطقـة كانت فيـها مصـانع، ولكن لم يبق منها الكثير، اذ انها انتقلت الى اوروبا الشرقـية، والمكسيك، واندونيسيا، حيث يمكنك ترحيل النسـوة الفلاحات من الارض. ذلك هو الجزء من التـجارة الحرة الذي تدافع عنه النـخب، وهم لا يدافـعون عـن الاجزاء الاخـرى منهـا. فـقط الاجزاء التي يستطيعون الاستفادة منها، يدافعون عنها. ان عولمة الانتاج ستكون لهـا نتيـجة ـ على المدى الـطويل ـ تتمـثل في اعطاء الدول الصناعـية نوعـا من مظهر العالم الثالث.

هناك اشياء إخرى تحـدث في كل مكان من العالم الصناعي، ولكن تبدو ملفـتة للنظر في اربع دول رئيسة ناطقـة باللغـة الانكليزية: انكلتـرا، الولايات المتحدة، اسـتراليا، ونيوزيلندا. واعـتقد ان سبب ذلك واضح جـداً. فهذه هي الدول التي اخذت خـلال سنوات الثمانينات بجـدية ـ على الاقل ـ الحد الادنى من اللغة الطنـانة التي لوحوا بها. وفي غـالبية انحـاء العالم، فان الـلغة الطنانة للسوق الحر لم تحمل على محمل الجـد. لكن انكلترا خلال فترة حكم (تاتشر) والولايات المتحدة خلال المرحلة الريغانية، واستراليا ونيوزيلاند في ظل الحكومة العـماليـة ـ الى مـدى معين ـ أقـرت بعض المبـاديء التي بشـروا بها في العـالم الثالث. ومن الطبيعي ان الناس عانوا جراء ذلك.

د.ب: اللاتنظيم؟

اللاتنظيم شـيء يشبـه التـعـديل البنائي، الذي يعنـي في العـالم الثـالث التخلص من تقديم خدمات الانعاش الاجتماعية المقدمة لتحسين احوال الناس، و التخـلص من تقديم خـدمات الدعم، والتـوقف عن بناء الطرق، واعطاء كل شيء الى المسـتـثمرين، وشـيء ما سـوف يسـيل قليـلا قليـلا بفـعل شيء من

السحر، بعد ان يأتي المسيح. ان الدول الغربية بالطبع لن تلعب هذه اللعبة فعليا وبشكل كامل على الاطلاق، اذ انها ستكون مؤذية جدا للأغنياء. ولكنهم سيتحركون بها بسرعة في هذه الدول الناطقة باللغة الانكليزية. وقد عانوا. حينما تقول: «عانوا» يجب عليك ان تكون حذراً. السكان عانوا. اما الاغنياء فقد سارت أمورهم على ما يرام، كما يفعلون في العالم الثالث. وحينما أقول ان هناك كارثة رأسمالية في العالم الثالث، فان ذلك لا علاقة له بالناس الاغنياء. انهم يعملون على نحو رائع.

د.ب: ذلك هو تناقض عام ١٩٩٢؟

.لقد نشرت صحيفة نيويورك تايمز عنوانا رئيسا في صفحات الاعمال، يقول: «تناقض عام ١٩٩٢: اقتصاد ضعيف وأرباح قوية». تناقض كبير. تلك هي قصة العالم الثالث. وهي قصة اوروبا الشرقية الآن. وهي ايضاً القصة نفسها في انكلترا التاتشرية، وامريكا الريغانية، واستراليا ونيوزيلاند حزب العمال. ان غالبية السكان تعرضت للمعاناة حينما تحركت المجتمعات خطوة اكبر نحو انموذج العالم الثالث كما هو الحال عليه، لنقل، في قارة اوروبا او اليابان. في محيط اليابان، فان ما تجده هو التحرك بعيداً عن انموذج العالم الثالث، وباتجاه الانموذج الصناعي، كما هو الامر عليه في كوريا الجنوبية وتايوان القابلتين للنمو داخليا، وتصرفان النظر عن الاقتصادات الليبرالية الجديدة كأضحوكة.

د.ب: شكراً لك.

الطبقية

٢١ كانون الثاني ١٩٩٣

د.ب: من المفترض ان الايديولوجية والبروباغندا هما ظاهرتان لثقافات اخرى، ليستا موجودتين في الولايات المتحدة. وتقع الطبقية ضمن التصنيف نفسه، وقد سميتها «كلمة الحروف الخمسة التي لا يصح ذكرها».

ان الشيء المهم هو الطريقة التي تعمل بها. على سبيل المثال، هناك دراسة مهمة جداً قام بها (فيسنت نافارو) وهو بروفيسور في جامعة جونز هوبكنز، ويعمل في قضايا الصحة العامة. هناك احصاءات كثيرة تتعلق بأشياء مثل نوعية الحياة، ووفيات الاطفال، ومتوسط العمر المتوقع... الخ، والتي كانت على الدوام تتأثر سلبا بسبب العرقية. وهي دوما تنتهي إلى ان السود لديهم احصاءات مخيفة مقارنة مع البيض؛ اذ هناك فجوة ضخمة. وقرر نافارو اعادة تحليل الاحصاءات، مستبعداً عاملي العرق والطبقية. ايضاً، دعنا ننظر إلى العمال البيض والعمال السود مقابل مدراء المؤسسات السود ومدراء المؤسسات البيض. لقد توصل إلى ان جزءاً جديرا بالاعتبار من الاختلاف بين البيض والسود كان في الواقع اختلافاً طبقيا. وهذا امر طبيعي لان هناك نوعا من الترابط بين العرق والطبقية. ان تنظر إلى الناس البيض الفقراء، والعمال البيض، والمدراء التنفيذيين البيض في المؤسسات، تجد ان الفجوة بينهم هائلة. وقد تعرضت الدراسة إلى موضوع علم الأوبئة والصحة العامة، وقدمها إلى

المجلات الطبية الامريكية الرئيسة، والتي رفضتها جميعها. ثم ارسل الدراسة إلى مجلة Lancet الطبية البارزة في بريطانيا، والتي قبلتها على الفور.

انه من غير المسموح لك في الولايات المتحدة ان تتحدث عن الفروقات الطبقية. وحقيقة، فان هناك مجموعتين مسموح لهما ان تكونا شاعرتين بالطبقية في الولايات المتحدة، احداهما، هي مجتمع الاعمال الذي يشعر بالطبقية على نحو عنيف. وحينما تقرأ أدبياتهم، تجدها مليئة بخطر الجماهير العامة، وقوتهم الناهضة، وكيف يجب علينا ان نهزمهم. انها نوع من السوقية الماركسية لولا انها معكوسة. اما الجهة الاخرى فهي قطاع التخطيط العالي الحكومي، وهي مليئة بذلك. فكيف يجب علينا ان نقلق اتجاه ما يتعلق بالطموحات الناهضة للرجل العامي والجماهير العامة المفقرين الذين يسعون إلى تحسين المستويات، ويلحقون الضرر بمناخ وأجواء الاعمال. وهكذا فباستطاعتهم ان يشعروا بالطبقية. ان لديهم عملا يجب القيام به. لكن من الاهمية البالغة جعل الناس الآخرين ـ بقية المواطنين ـ يعتقدون انه لا مثيل للطبقية. اننا جميعا متساوون على وجه الدقة. جميعنا امريكيون، اننا نعيش في انسجام. اننا جميعا نعمل معاً. كل شيء رائع.

هناك كتاب يحمل عنوان Mandate for Change وضعه معهد السياسة التقدمية، الذي هو دبابة تفكير كلينتون. انه وصف لبرنامج وضع من اجل ادارة كلينتون وقد كان جزءاً من ادبيات الحملة. وهو كتاب باستطاعتك شراءه من اكشاك بيع الصحف في المطار. يحتوي الكتاب جزءاً عن «علم اقتصاد المقاولة» الذي سيعمل على الحيلولة دون الوقوع في مآزق اليمين واليسار. انه يتخلى عن تلك الافكار الليبرالية البالية المتعلقة بمنح الامهات حق اطعام اطفالهن، فكل ذلك بالٍ. اننا لا نريد ان يكون لدينا اي مزيد من ذلك الهراء. نحن الآن لدينا «علم اقتصاد المشروع» والذي نعمل فيه على تحسين الاستثمار

والنمو. والناس الوحيدون الذي نريد مساعدتهم هم العمال والشركات التي يعملون فيها. هناك عمال، وهناك المشاريع التي يعملون فيها، واولئك هم الذين نحن مهتمون بان يستفيدوا. سنعمل على مساعدتهم.

هناك شخص ما مفقود من هذه القصة. ليس هناك مديرون، ولا رؤساء ولا مستثمرون. انهم غير موجودين. والموجودون فقط، العمال، والشركات التي يعملون فيها، وسنعمل على مساعدتهم. ان كلمة «المقاولون» تظهر. والمقاولون هم اناس يساعدون العمال والشركات التي يعملون فيها، وتظهر كلمة «الارباح» مرة واحدة. ولا أدري كيف انسلت تلك، فتلك كلمة اخرى وسخة، مثل كلمة «الطبقية». لكن الصورة هي: نحن جميعنا عمال. هناك شركات نعمل فيها، ونرغب في تحسين الشركات التي نعمل فيها، مثلما ترغب في تحسين مطبخك. إمتلك ثلاجة جديدة. ادخل تحسينات على الشركات التي تعمل فيها. ذلك كله هو ما هم مهتمون به، فقط مساعدتنا نحن.

ثمة آلية اخرى استخدمت لتحقيق النتيجة نفسها، وهي نوع من الابتكار الممتع في اللغة خلال السنتين الماضيتين. وتلك هي كلمة «الاعمال». وهي تستخدم الآن لتعني «الارباح». لذلك حينما سافر جورج بوش إلى اليابان ومعه (لي اياكوكسا) وبقية مدراء الشركات، تذكّر ان شعاره كان «العمل، العمل، العمل». ذلك هو ما سافر من اجله. اننا نعلم على وجه الدقة كم هو جورج بوش معني بالعمل، وكل ما عليك ان تفعله هو ان تنظر إلى ما حدث خلال فترة توليه السلطة حينما وصل الآن عدد العاطلين عن العمل، إلى نحو سبعة عشر مليونا او نحو ذلك، وفق الارقام الرسمية. ولا اعرف ما هي الارقام غير الرسمية ـ نحو ثمانية ملايين آخرين؛ منهم مليون خلال فترة رئاسته. كان يحاول ايجاد ظروف لتصدير الاعمال إلى الخارج. لقد حاول المساعدة بتقويض النقابات وتخفيض الاجور الواقعية. لذا، ما الذي يعنيه

حينما يقول، وحينما تصرخ وسائل الاعلام: «العمل، العمل، العمل»؟ من الواضح: «ارباح، ارباح، ارباح». اكتشف طريقة لزيادة الارباح. لذلك، فانها تؤيد من القلب كله.

والفكرة هي خلق صورة بين الناس تتمثل في اننا جميعنا اسرة واحدة سعيدة. نحن امريكا. ولدينا مصلحة قومية. اننا نعمل معاً. ولدينا عمال طيبون، والشركات التي نعمل بها، ووسائل الاعلام التي تخبر بالحقيقة المتعلقة بالاشياء التي تهمنا، والحكومة التي تعمل من أجلنا. اننا نختارهم. انهم خدمنا. وكل ذلك موجود في العالم، لا نزاعات اخرى، ولا تصنيفات اخرى للناس، ولا بنية اخرى للنظام ابعد من ذلك. ومن غير ريب لا شيء مثل الطبقية. ما لم تكن في الطبقة الحاكمة فلن تكون مدركاً تماماً لها.

د.ب: وهكذا اذن فان قضايا مثل القمع الطبقي والرفاه الاجتماعي لا تذكر الا في الكتب المغمورة وعلى المريخ؟

او في صحافة مجتمع الاعمال، حيث يكتب عنها طوال الوقت، وفي ادبيات مجتمع الاعمال، او في الوثائق الحكومية الداخلية. انها موجودة هناك لانهم يجب ان يشعروا بالقلق اتجاهها.

د.ب: انك تستخدم مصطلح «النخبة». ويقول سمير امين انها تضفي الكثير من الوقار عليهم. وهو يفضل مصطلح «الطبقة الحاكمة». بالمناسبة، فان الابتكار الاكثر حداثة هو «الحماقة الحاكمة».

السبب الوحيد الذي يكمن وراء عدم استخدام كلمة «الطبقة» ان المصطلح الفني للحديث السياسي منحط القيمة جداً لدرجة صعوبة ايجاد اي كلمات على الاطلاق. هذا جزء من النقطة الاساسية، لجعلها مستحيلة الحديث عنها. ولسبب واحد، فان «الطبقية» لها تداعيات معاني متعددة. وحالما تقول

كلمة «طبقية» فان كل شخص يخر ميتا. هناك شيء من الافتتان الماركسي مرة اخرى. لكن الشيء الآخر هو انه من اجل القيام بتحليل طبقي جدي واقعي، فانك لا تستطيع حتى الكلام عن الطبقة الحاكمة. هل البروفيسورات في جامعة هارفارد جزء من الطبقة الحاكمة؟ وهل المحررون في صحيفة نيويورك تايمز جزء من الطبقة الحاكمة؟ هل البيروقراطيون في وزارة الخارجية جزء من الطبقة الحاكمة؟ هناك فروقات، وتصنيفات كثيرة مختلفة للناس. لذلك، باستطاعتك ان تتكلم بغموض عن المؤسسات، او عن النخب او عن الناس في القطاع المهيمن. لكنك لا تستطيع الافلات من حقيقة ان هناك فروقات حادة في القوة التي هي في الحقيقة متجذرة اساساً في النظام الاقتصادي. باستطاعتك ان تتكلم عن السادة اذا رغبت في ذلك. انها كلمة آدم سميث، ويمكنك ايضاً العودة إلى ذلك. هم السادة، وهم يتبعون ما اطلق عليه سميث «المبدأ التافه» اي «كل شيء لنا ولا شيء للناس الآخرين». اول تقريب جيد لذلك، باعتبار ان آدم سميث هو الآن الدارج.

د.ب: تقول ان الطبقية تتفوق على العرقية.

اعتقد انها كذلك. على سبيل المثال، يمكن للولايات المتحدة ان تصبح مجتمعاً متحرراً من الالوان. انه امر ممكن. لا اعتقد ان ذلك سيحدث، لكنه ممكن الحدوث تماماً، وان ذلك بالكاد لن يغير الاقتصاد السياسي مطلقا. ذلك هو احد الاسباب التي تفسر لماذا تجد على نحو شائع تماما قطاع الاعمال يرحب ـ وغالبا سعيد ـ بتأييد المحاولات الرامية إلى التغلب على العرقية والجنسوية. والقضية ليست موضع خلاف كبير. انك تفقد شيئا من امتياز الذكور البيض، ولكن ليس كل ذلك مهماً. من ناحية ثانية، فان تغييرات رئيسة في المؤسسات الرئيسة سوف تقاوم على نحو شديد ان كان هناك تفكير في ذلك.

د.ب: وباستطاعتك ان تدفع للمراة اجراً اقل.

يمكن ان تدفع لهن المبلغ نفسه. خذ انكلترا. فقد عاشت عشر سنوات غير عاصفة والسيدة الحديدة تصرف الامور. بل اسوأ من الريغانية.

د.ب: في هرم السيطرة والهيمنة هذا، حيث هناك طبقية وعرقية وتحيز جنسي، فان الجنسوية من دون ريب في الديمقراطيات الليبرالية، اسرية، قوة.

هذا يأتي من حقيقة ان السلطة الموضوعية مركزة. وتكمن السلطة الموضوعية في أماكن عدة، وعلى وجه الخصوص، في العرقية. وعلى نحو حاسم فانها تكمن في حق التملك. انها تستحق عن جدارة التغلب على الاشكال الاخرى للقمع. وبالنسبة إلى حياة الناس، فانها يمكن ان تكون اسوأ من القمع الطبقي. فحينما تم اعدام صبي دون اجراء اي محاكمة قانونية له في الجنوب، كان الامر اسوأ من دفع اجور منخفضة. لذلك، حينما نتكلم عما هو موجود في لب نظام القمع وعما هو غير موجود، فان ذلك لا يمكن أن يتم الافصاح عنه بلغة المعاناة. والمعاناة هي بعد مستقل، وانت تريد التغلب عليها.

من ناحية ثانية، ان انت تفكر في الطريقة التي يعمل فيها المجتمع بشكل عام، تجد انه يعمل إلى حد بعيد جداً بالطريقة التي تحدث عنها الآباء المؤسسون. فالمجتمع يجب ان يتم حكمه من قبل اولئك الذين يمتلكونه، وينوون اتباع المبدأ التافه لآدم سميث. وذلك لب الاشياء. هناك اشياء كثيرة اخرى يمكن ان تتغير ويمكن لذلك ان يبقى وسوف يكون لدينا الكثير جداً من أشكال الهيمنة نفسها.

د.ب: لقد قلت ان الدراما الواقعية منذ سنة ١٧٧٦ كانت

«الهجوم القاسي للقلة من الاثرياء ضد حقوق الاكثرية القلقة». اريد ان اسالك عن «الاكثرية القلقة». هل لدى هذه الاكثرية اي اوراق؟

بالتأكيد. فقد أحرزت انتصارات عدة. وأصبحت البلاد اكثر حرية إلى حد ما، عما كانت عليه قبل مائتي سنة. ولسبب واحد، ليس لدينا عبيد. وهذا تغيير كبير. وانت تستذكر ان هدف (ثوماس جيفرسون) كان العمل على ايجاد بلد بدون «شائبة او خليط» اي لا هنود حمراً ولا ناس سوداً، بيض جيدون، انكلو ـ ساكسون. هذا ما أراده الليبراليون. ولم ينجحوا في ذلك. لقد تخلصوا من السكان الاصليين إلى حد بعيد، لكنهم لم يستطيعوا التخلص من السكان السود، وكان عليهم ان يدمجوهم في نمط ما في المجتمع مع مرور الزمن. وفي النهاية تسلمت المرأة حقها الدستوري، بعد مرور مائة وخمسين سنة على الثورة. ولقد انتشر حق حرية الكلام على نحو واسع وفي النهاية حصل العمال على بعض الحقوق خلال سنوات الثلاثينات، بعد نضال دموي عنيف، اي بعد نحو خمسين سنة من حصول العمال في اوربا عليها. وقد اخذوا يخسرونها منذ ذلك الحين، الا انهم امتلكوها إلى مدى معين. وبأشكال مختلفة، فان اجزاء كبيرة من عموم السكان اندمجوا في النظام ذي الازدهار النسبي، والحرية النسبية، وعلى الاغلب كنتيجة للنضال الشعبي. ان عموم المواطنين يمتلكون الكثير من الاوراق، وذلك امر اشار اليه (دافيد هيوم) قبل قرنين من الزمان على انه نوع من تناقض الحكم. وفي مؤلفه عن النظرية السياسية، يطرح سؤالا مفاده: لماذا يستسلم المواطنون للحكام، طالما ان القوة بأيدي المحكومين. وبناء عليه، ففي النهاية، يستطيع الحكام والمديرون ان يحكموا فقط ان تمكنوا من السيطرة على الرأي العام. ويقول: ان هذا صحيح في غالبية المجتمعات الاستبدادية والاكثر حرية. هناك معركة متفاوتة بين اولئك الذين يرفضون قبول ذلك وبين اولئك الذين يحاولون اجبارهم على تقبلها.

د.ب: كيف يمكن الانفلات من نظام التلقين والدعاية؟ لقد قلت انه من المستحيل تقريبا بالنسبة إلى الافراد ان يقوموا باي شيء، وان من الاسهل والافضل كثيرا العمل بشكل جماعي. ما الذي يحول دون قيام الناس بالتوحد؟

هناك استثمار كبير يدخل في هذه القضية. فكل شخص يعيش ضمن اطار ثقافي واجتماعي، فيه قيم محددة، وفرص محددة. ويحدد هذا الاطار كلفة لانواع متعددة من العمل والعوائد للآخرين. ويجب عليك ان تعيش ضمن هذا الاطار. ليس باستطاعتك ان تقدم المساعدة. اننا نعيش ضمن اطار يحدد فوائد محاولات تحقيق كسب فردي. وباستطاعة اي شخص ان يسأل نفسه/ نفسها: دعونا نقل انني رب او ربة اسرة، فما الذي افعله بوقتي؟ ان لدي اربعاً وعشرين ساعة يوميا، فان انجب اطفالا للعناية بهم، او ان كان لدي مستقبل لاشعر بالقلق بشأنه، فماذا افعل؟ ثمة شيء واحد باستطاعتك ان تفعله، وهو ان تحاول ان تتملق لرئيسك وانظر ان كان باستطاعتك الحصول على دولار واحد زيادة في الساعة، او ربما ارفس شخصاً ما على الوجه حينما تسير متجاوزاً اياه. فان لم تفعل ذلك بشكل مباشر، افعله بطريقة غير مباشرة، من خلال الآليات التي وضعت من أجلك ضمن المجتمع الرأسمالي. تلك طريقة اولى. اما الطريقة الثانية التي يمكنك من خلالها القيام بذلك فهي بقضائك امسياتك بالتجوال هنا وهناك لتنظيم اناس آخرين، والذين سيقضون امسياتهم بعد ذلك في عقد الاجتماعات، والخروج في خط حماية ومراقبة، وتنفيذ نضال طويل سوف يتعرضون خلاله للضرب على ايدي رجال الشرطة ويفقدون وظائفهم. من المحتمل ان يتمكنوا في النهاية من توحيد اعداد كافية من الناس وبالتالي فانهم سيحققون كسبا، والذي يمكن او لا يمكن ان يكون اعظم من الكسب الذي حاولت تحقيقه من خلال اتباع المسعى الفردي. وعلى الناس ان يدرسوا هذه الخيارات. وهم يدرسونها ضمن اطار البنى الموجودة.

ضمن اطار البنى الموجودة، رغم انها تلحق الضرر بكل فرد على المدى الطويل، وان الخيارات بالنسبة إلى شخص معين ستعمل على زيادة الكسب الشخصي إلى حده الاعلى. في نظرية اللعبة، فان ذلك يدعى «مأزق السجين». باستطاعتك ان تضع اشياء تدعى «لُعبا» تفاعلات، وفيها يكسب كل مشارك اكثر اذا لعبوا مع بعضهم، بل انك فقط تكسب في حال ان يعمل الشخص الآخر معك. فان يحاول الشخص الآخر زيادة كسبه/ كسبها إلى حده الاعلى، فانك سوف تخسر.

دعني آخذ قضية بسيطة، وهي قيادة السيارة إلى العمل. ان اخذ المواصلات العامة يستغرقني وقتا اطول من القيادة إلى العمل. وطالما ان كل شخص آخر يقود سيارته، فان تلك هي الوسيلة التي ستكون. ان نحن جميعا اخذنا الميترو ووضعنا الاموال هناك بدلاً من وضعها في الطرق، فاننا جميعا نصل بواسطة الميترو بشكل اسرع ولكن يجب علينا جميعا ان نقوم بذلك. اننا جميعا سوف نستفيد اكثر ان نفعل جميعنا شيئا ما بطريقة مختلفة اكثر. التكاليف بالنسبة اليك، بالنسبة إلى الفرد، المتعلقة بالعمل على محاولة ايجاد الامكانيات للقيام باشياء معا يمكن ان تكون صارمة. انك تحصل على فوائد حقيقية ان تبدأ مجموعات من الناس القيام بذلك، وان تقوم به بجدية.

والامر نفسه كان حقيقيا بالنسبة لكل حركة شعبية وجدت دائماً. لنفترض انك كنت صبيا اسود اللون، تبلغ من العمر عشرين عاما في ولاية اطلنطا سنة ١٩٦٠، في كلية سبيلمان، وكان لديك خياران: الاول، هو سوف أحاول الحصول على عمل في مهنة في مكان ما. من المحتمل ان شخصا ما سيرحب بالتقاط مدير اسود. من المحتمل انني سأكون ذليلا، منحنيا خجلا، ومذعنا. ربما سأعيش في منزل متوسط المنزلة. ذلك طريق. اما الطريق الثاني فقد كان الانضمام إلى SNCC، والتي يمكن ان تقتل فيها. بالتأكيد، فانك

سوف تتعرض للضرب وتشوه سمعتك، وسوف تكون حياة جلفة جداً لفترة طويلة. ربما ستكون في النهاية وعلى المدى الطويل قادرا على خلق تأييد شعبي كافي حيث يحبك وعائلتك الناس، وسيعيش ابناؤك بشكل افضل. لقد كان من الصعوبة بمكان الأخذ بالخيار الثاني، مع افتراض ان البدائل متوافرة. ولحسن الحظ، فان مجموعة من الشباب فعلت ذلك، وهم يعيشون في عالم افضل بسبب ذلك. لكن المجتمع مبني بشكل جيد جدا لمحاولة اخذك نحو البديل الفردي.

د.ب: لقد اشرت إلى الاستفتاءات التي تشير إلى ان الانسلاخ عن المؤسسات أخذ بالتزايد. وقد لاحظت ان السكان يسيرون في طريق، نحو اورلاندو، في حين ان السياسة تسير نحو سانتامونيكا، باتجاه مختلف تماما. ان ثلاثة وثمانين بالمائة يرون ان النظام الاقتصادي كله «ظالم بشكل متاصل». لكنهم لا يترجمون ذلك إلى اي شيء.

يمكن ان يترجم إلى اي شيء ان يفعل الناس شيئا ما بخصوص هذا. ان ذلك حقيقة، سواء أكنت تتحدث عن اشياء عامة - مثل الظلم المتأصل للنظام الاقتصادي، والذي يتطلب تغييرا ثورياً ـ أم عن اشياء صغيرة. لنقل، خذ التأمين الصحي. على الرغم من وجود أصوات قليلة بين العامة تدعو إلى تطبيق ما يسمى نظام «الاسلوب الكندي» ـ وهو نظام كفؤ، ينظم نظام الصحة العامة الذي يضمن خدمات صحية لكل فرد. واذا كان جدياً، فانه ايضا يقوم بالصحة الوقائية. لكن استطلاعات الرأي العام اظهرت على مدى عدة سنوات ان غالبية السكان يفضلونه بأي طريقة، حتى على الرغم من انهم لم يسمعوا على الاطلاق اي شخص يدافع عنه. فهل يعتبر ذلك قضية؟ لا. سيكون هناك نوع ما من شركة تأمين «تدير» نظام الرعاية الصحية المصمم لضمان ان شركات التأمين والمؤسسات الصحية التي تديرها ستجني الكثير من الارباح. ان الطريقة الوحيدة

التي تمكننا من الحصول على ما تريده غالبية المواطنين، مع النظر بعين الاعتبار للرعاية الصحية، هي اما من خلال حركة شعبية واسعة الحجم ـ والتي يمكن ان تعني التحرك نحو الديمقراطية، وليس هناك شخص في السلطة يريد ذلك ـ او الا اذا قرر مجتمع الاعمال ان ذلك امر جيد بالنسبة اليهم، لان هذا النظام غير الكفؤ المصمم لصالح قطاع واحد من نظام المؤسسةالتجارية، سوف يلحق الضرر بالقطاعات الاخرى. ان شركات السيارات تدفع في ارباح الصحة هنا اكثر مما تدفعه عبر الحدود. ولقد لاحظوا ذلك. ربما يمارسون الضغط من اجل نظام اكثر كفاءة يفلت من لاعقلانيات وعدم الكفاءات المفرطة للنظام الرأسمالي.

د.ب: كتب (ادوارد هيرمان) كتابا عن الانتخابات في الولايات المتحدة الامريكية. من المحتمل انه يصف ما يحدث في الولايات المتحدة. ما الدور الذي تقوم به الانتخابات هنا؟

اليوم هو الحادي والعشرون من شهر كانون الثاني. وكما يعرف اي شخص كان يراقب بقلق التلفزيون خلال اليومين او الثلاثة الماضية، فانه كان من المفروض جعل الناس يشعرون بالراحة فيما يتعلق بهم، وان ثمة شيئا رائعا يحدث. لدينا وطن مدهش. هناك امل. الآن كل شيء سيصبح رائعاً. ايضا، فانها طريقة للتغلب على الاغتراب المتنامي، على الاقل لفترة قصيرة، دون القيام باي شيء. انه يشبه السيرك الروماني. هناك بعض الاهمية، ولكن كم تبلغ؟ يمكنك مناقشة ذلك. يجب عليك ان تفعل شيئا ما من اجل السكان.

د.ب: عند الحديث عن الخبز والسيرك، فان الرومان سيكونون في رعب. هل سمعت عن طابع إلفيس؟ كان هناك خياران. الاول: اظهر الشاب الفيس في طور اليفوع، والثاني الفيس الاكثر نضجاً. وقد ادار مكتب البريد حملة شعبية باهظة، وادلى ملايين الناس باصواتهم. لقد التقط ملايين الناس الشاب الفيس، واصطفوا في منتصف الليل

لشراء الطوابع الاولى. الخبز والسيرك. اعطهم شيئا ما له معنى ليصوتوا إلى جانبه.

صحيح. ودع الناس يشعرون بالإثارة فيما يتعلق بذلك، ولن يكونوا قلقين جدا بخصوص حقيقة ان الاقتصاد متأصل الظلم، او ان أجورهم الحقيقية آخذة في الانهيار او ان أطفالهم لن يعيشوا بالاضافة اليهم. دعهم يثارون بشأن الفيس.

د.ب: لقد اسميت وظيفة رئيس الولايات المتحدة بـ «المدير التنفيذي لشركة امريكا» المتحدة.

ان ترغب في معرفة كيف يشعرون اتجاه بيل كلينتون، فانظر إلى السوق المالي. انه يعمل بلطف شديد.

د.ب: ان قطاع الاعمال وبعد الانتخابات مباشرة كان ايجابيا جداً.

كانت هناك مقالة يوم امس في صحيفة الفاينانشال تايمز اللندنية، اهم صحيفة عالمية تعنى بشؤون الاعمال، تشير إلى ان السوق المالي كان ينظر إلى كلينتون ويعتقد انه كان يفعل الاشياء الصواب. المستثمرون سعداء.

د.ب: في امريكا فقط باستطاعة بليونير ان يترشح للرئاسة ويتظاهر بالشعبية، كما فعل روس بيرو. ماذا كان ماخذك على ترشيحه وعلى ظاهرة بيرو كلها؟

ان الفترة الاكثر اثارة كانت حينما ظهر، في البدايات المبكرة. كان كما لو انه قد أتى من المريخ. لا احد كان يعرف ما هو برنامجه. من المحتمل انه لم يكن لديه برنامج. لم يكن لديه شيء ليقوله. كان فقط هذا الرجل الذي قال: انظروا! لقد جمعت الكثير من المال. وخلال اسبوعين تقريبا، كان

يتسابق حتى مع المرشحين الرئيسيين. اعتقد ان ما يشير اليه ذلك امر واضح جداً. انه يعني ان السكان يائسون جدا لدرجة انه ان يهبط شخص ما من المريخ، فانهم سيجربونه.

د.ب: الدعوات إلى وجود حزب ثالث تفترض ان لدينا نظام الحزبين، فهل ذلك بعيد عن الواقع؟

انها قضية تحديد. فنحن ـ بدون ريب ـ لدينا مؤسستان منتجتان للمرشحين، وليس لدينا حزبان يشارك الناس فيهما. وليس لدينا حزبان لهما مصالح مختلفة. انهما يعكسان بصورة اساسية، زمرة او اخرى من ذلك الجزء من المجتمع غير المسموح لك ذكره في كتاب Mandate for Change وأعني طبقة الملاك، والمستثمرين، والمديرين. انهما كليهما يمثلان مصالحهم. ولكن يوجد لهم مآخذ عليهما. والحزبان لهما ايضا جماهير شعبية مختلفة. ولذلك اثره. ان الجماهير الشعبية يجب ان يقدم لها شيء من الفتات، فقط من اجل ابقاء نظام البيروقراطية والقوة الاخرى يؤديان عملهما. ان البنية الرئيسة لاتخاذ القرار ـ التي يجب عليها ان تكون على علاقة بالفائدة، والقضايا الدولية، والقضايا الاستراتيجية والجماهير الشعبية ـ تسمح بان لا يكون لها دور في ذلك، وليس يهم من يتولى المسؤولية. لكن يمكن ان تفترض اشياء اخرى. على سبيل المثال، فقد نزع الجمهوريون ليكونوا ـ اكثر علانية ـ حزب مجتمع الاعمال والاغنياء، وقد اخفوا ذلك بشكل اقل من الديمقراطيين، وبالتالي فانه اصعب بالنسبة اليهم اللجوء إلى الجمهور العام. وكان احتكامهم في الغالب إلى لغة الشوفينية، والعنف، والاصولية الدينية، وما يسمى بالقضايا الاجتماعية. لقد بدأوا باعطاء شيء من الفتات لجماهيرهم، فيعطونهم هذه الاشياء. لذلك لديك تعيينات المحكمة العليا التي تمت خلال السنوات العشر الاخيرة. الهجوم الكبير على الحقوق المدنية، والعرقية، والهجوم على الامهات

المتمتعات بخدمات الرفاه والانعاش. تلك هدية لذلك القطاع من المواطنين. انها لا تؤثر في الارباح، ولا تؤثر في السلطة، ولذلك يمكنك ان تعطيها لهم. لقد حاول الديمقراطيون الاحتكام إلى جمهور مختلف، فتظاهروا بانهم حزب الشعب. ولذلك كان عليهم القيام بشيء ما من اجل العمال، والنساء، والاقليات. وهذا يعني انه يمكن ان يتوقع منهم الفوز بالفتات، مثل تعيينات المحكمة العليا. وحينما اقول «الفتات» فانني لا اقصد الحط من قدرها. تلك هي اشياء باستطاعتها ان يكون لها اثر هائل على حياة الفرد. انها لا تؤثر فقط في بنية الاقتصاد السياسي.

د.ب: «ان التركيز الظاهراتي للملكية والاعمال في ظل سيطرة الاحتكارات المعروفة بـ (الشركات) يغير المظهر التجاري للعالم، ويغير ايضا العلاقات الاجتماعية. ولم يكن هناك وقت في التاريخ خلفت فيه مجموعة متحدة مجموعة اخرى في مجموعات اكبر واكبر مثلما هو عليه الامر حاليا»، ١٨٩٥/٨/٣١ اول افتتاحية لـ ج. أ. والنز في صحيفة (الاحتكام إلى العقل).

الاحتكام إلى العقل كانت صحيفة يسارية مثيرة، وبعد ظهورها بعشر سنوات تقريبا كان لديها نحو ثلاثة ارباع المليون مشترك. واحدة من الصحف الرئيسة في البلاد. كانت جزءاً من الصحافة العمالية الحية المزدهرة ـ والتي اختفت جميعها ـ وتغيراً كبيرا على امتداد القرن الماضي، التعليق صحيح. وبالطبع فقد تعزز. والاختلاف هو انه مع التصاعد ـ وبخاصة خلال السنوات العشرين الاخيرة ـ فان الشركات آخذة في أن تصبح اكثر واكثر عالمية، مع الآثار التي كنا قد بحثناها.

د.ب: وصل ريغان إلى السلطة عام ١٩٨١ وتبلغ قيمة الدين تريليون دولار. واليوم هي اربعة تريليونات دولار، وهي عرضة للنمو

بنسبة خمسين بالمائة على امتداد السنوات الست التالية. من الذي يعترف بالدين؟. ومن سيسدده؟

الدين يعني أناسا اشتروا سندات مالية ووثائق دين حكومية. انهم يمتلكون الدين. الاغنياء - طبعا - في المقام الاول، داخل البلاد وخارجها. الناس الذين يدفعونها هم دافعو الضرائب. والدين هو آلية اخرى لنقل الثروة من الفقراء إلى الاغنياء، مثل غالبية السياسة الاجتماعية. بالطبع، هناك شكل آخر من أشكال الدفع. والمديونية تنقص من امكانية الانفاق الاجتماعي التي يمكن ان تعود بالفائدة على عموم السكان. والمديونية نفسها - فقط الارقام - ليست مشكلة ضخمة. وقد ترتبت علينا في الماضي ديون اكثر من ذلك - ليس في الارقام - وانما فيما يتعلق بالناتج القومي الاجمالي. والمديونية بالضبط هي مقدار ضئيل من نتاج احصائي. وباستطاعتك ان تجعلها اشياء متعددة، بالاعتماد على كيفية اجرائك للحسابات.

ولكن ايا تكن، فانها ليست شيئا ليس بالاستطاعة التعامل معه. والسؤال هو: ما الذي تم القيام به فيما يتعلق بالاقتراض؟ ان كان الاقتراض خلال السنوات العشر الماضية قد استخدم في أهداف بناءة، لنقل، من اجل الاستثمار او البنية التحتية، فاننا نكون في وضع حسن تماما. والحقيقة هي ان الاقتراض قد استخدم من اجل اغناء الاغنياء ومن اجل الاستهلاك، الذي كان يعني الكثير من المستوردات، التي اوجدت العجز في الميزان التجاري، ومن اجل التلاعب المالي، والمضاربة المالية، والتي هي امور مؤذية جداً للاقتصاد.

د.ب: بناء على الوضع الاقتصادي، يبدو انها لحظة مواتية بالنسبة إلى التيار اليساري، الحركة التقدمية، للتقدم ببعض المقترحات الواقعية. ان الناس غير واعين لما يحدث: ايجارات مرتفعة، رسوم جامعية ترتفع فجاة كالصاروخ، وتكاليف طبية... الخ. ايضا

فان اليسار - ان يكن باستطاعتي ان ادعوه هكذا - حينما لا يعجز عن التقدم في حرب ضروس، يبدو في شكل ارتكاسي فقط. انه غير فاعل.

ما يدعوه الناس بـ «اليسار»، حركات السلام والمساواة، ايا تكن، اعتقد انها اتسعت على امتداد السنوات. فيما يتعلق بقضايا معينة، فانهم يركزون عليها، ويحققون اشياء. وهم يميلون إلى ان يكونوا مركزين جداً. هناك القليل جداً على طريق التكامل الاوسع، والبناء الدستوري. انهم لا يستطيعون الاندماج في النقابات، لانها ولت. إلى المدى الذي توجد فيه هناك اي بنية، فانه عادة شيء يشبه الصلاة العامة. عمليا، ليس هناك انتلجنسيا يسارية عاملة. وليس هناك من احد يتكلم كثيرا عما يجب فعله او حتى ما هو متاح لالقاء محاضرات. لذا، فان لديك عددا كبيرا جدا من الناس، جمهور ضخم، ببؤرة محلية، على الصعيدين الاقليمي وفيما يتعلق بالقضايا. وليس هناك الكثير من الاحساس بالرؤية او الصورة العامة. تلك هي نتيجة نجاح الحرب الطبقية، خلال العقود الاخيرة، في تدمير وتحطيم المنظمات الشعبية، وعزل الناس.

ايضاً، يجب عليّ القول ان قضايا السياسة التي يجب التصدي لها عميقة تماماً. ومن اللطيف دائما ان تكون هناك إصلاحات. ومن النيق ان تكون هناك اموال من اجل الاطفال الذين يتضورون جوعاً. باستطاعتك التفكير في الكثير من الاصلاحات التي يجب القيام بها. لكن هناك بعض المشكلات الموضوعية التي يجب عليك وعليّ ايضاً التصدي لها، ان نحن نشرف على ادارة البلاد. ان احدى المشاكل الموضوعية التي لفتت صحيفة الوول ستريت جورنال انتباه ادارة كلينتون اليها في مقالة على الصفحة الاولى في اليوم التالي هي انه اذا اضحت لديهم اي افكار مسلية تتعلق بأخذ بعض خطاباتهم المنمقة على محمل الجدية، وانفاق الاموال على النفقات الاجتماعية، فان الولايات المتحدة سوف تكون رهينة المجتمع المالي الدولي بسبب المديونية وبيع سندات الخزينة، اي انه

هناك قفل على سياسة الولايات المتحدة. والقفل سهل جداً. ان يحدث امر ما هنا، لنقل، زيادة اجور العمال ـ التي لا يميل اليها حملة السندات المالية ـ فان ذلك سيعمل على خفض ارباحهم قصيرة المدى، وبالتالي سينسحبون من سوق الاسهم الامريكي، مما سيعمل على رفع سعر الفائدة، وهو ما سيقود الاقتصاد إلى الانحدار. ولقد اشاروا إلى ان برنامج انفاق العشرين بليون دولار الذي تبناه كلينتون يمكن ان يحول ككلفة اضافية بعشرين بليون دولار إلى الحكومة، إلى المديونية، من خلال تغييرات بسيطة فقط في مشتريات ومبيعات الاسهم، مع نتائجها التلقائية في زيادة سعر الفائدة... الخ. ايضا، فان السياسة الاجتماعية ـ حتى في بلد غني وقوي كالولايات المتحدة، والتي هي الاقوى والاغنى بين الدول جميعها ـ مرهونة للقطاعات الثرية العالمية هنا وفي الخارج. وتلك هي قضايا يجب التعامل معها.

ان التعامل مع تلك القضايا يعني مواجهة مشاكل التغيير الثوري. وهناك جدال بيّن يجري داخل ادارة كلينتون فيما اذا كان يجب ان تكون هناك جهود لحماية العمال الامريكيين بغض النظر عمن يمتلك المشروع،او المشاريع المتوضعة في الولايات المتحدة. وتدور المناقشات تلك كلها داخل اطار من الافتراضات: للمستثمرين الحق في تقرير ما يحدث. ولذلك، فان علينا ان نجعل الامور تبدو جذابة للمستثمرين قدر الامكان. وما دام المستثمرون يمتلكون الحق في تقرير ما يحدث، فان لا شيء آخر جديدا سيتغير. ان ذلك يشبه القول في دولة دكتاتورية: هل يجب علينا ان نتحول من التمثيل النسبي إلى نوع آخر من التمثيل في برلمان تديره الدولة. ربما يكون بالامكان احداث تغيير ضئيل، لكن ذلك لن يكون قضية كبيرة. والى ان تصل إلى مصدر القوة، الذي في النهاية هو قرارات الاستثمار، فان اي تغييرات اخرى هي تغييرات تجميلية، ويمكن ان تتم بشكل محدود. فان يذهبوا إلى ما هو ابعد من ذلك، فان المستثمرين سوف يتخذون قرارات اخرى، ولن يكون باستطاعتك القيام باي شيء.

ومن اجل تحدي حق المستثمرين في تقرير من يعيش، ومن يموت، وكيف يعيشون، وكيف يموتون، فانه لا بد من القيام بخطوة ذات اهمية نحو المثاليات، فعليا المثالية الليبرالية الكلاسية. وذلك سيكون امرا ثوريا.

د.ب: يوجد عنصر اخر فاعل هنا، واود منك ان تتحدث عنه، وهو العنصر السيكولوجي، وهو ان توجيه النقد اسهل بكثير من تحفيز شيء بناء. هناك ديناميكية فعالة مختلفة كليا.

باستطاعتك رؤية الكثير من الاشياء الخاطئة. باستطاعتك ان تقترح تغييرات صغيرة ولكن لنكن واقعيين. فالتغيير الجوهري ـ الذي سوف يغير فعلا الاتجاه ذا الحجم الواسع للاشياء ويتغلب على المشكلات الرئيسة التي نراها جميعنا ـ سوف يتطلب دمقرطة عميقة للمجتمع وللنظام الاقتصادي. ان تأخذ مشروعاً ـ عملاً تجاريا او شركة كبرى ـ تجد انه بنية دكتاتورية كليا. فالسلطة تتربع في القمة. والاوامر تسير من الاعلى إلى الاسفل، وعليك إما ان تتبع التعليمات او تصبح خارجا. وهناك امور اخرى قليلة جداً تنقضي. اضافة إلى ذلك، فان تركز القوى في مثل تلك البنى يعني ان كل شيء آخر، عملياً، سواء أكان في المجال الايديولوجي او السياسي، مقيد بدقة، ليس مسيطرا عليه كلية بطريقة ما، ولكن مقيد بدقة. تلك هي مجرد وقائع.

في الوقت الراهن، يفرض الاقتصاد العالمي انواعا اخرى من التقييدات. وليس باستطاعتك معاينة هذه الاشياء. انها مجرد حقيقة. اذا ازعج اي شخص بقراءة آدم سميث، عوضا عن الثرثرة عنه، فانهم سيرون ذلك مشاراً اليه بوضوح. لقد أشار إلى ان السياسة الاجتماعية ذات أساس طبقي. وقد سلم بالتحليل الاجتماعي. ولم تكن تلك قضية. لذا، ان انت تدرس الشريعة على نحو ملائم في جامعة شيكاغو، فانهم سيعلمونك أن آدم سميث يشجب النظام الميركنتلي والاستعمارية لانه كان يؤيد التجارة الحرة. تلك هي نصف الحقيقة

اما النصف الآخر منها فهي انه اشار إلى ان النظام الميركنتلي والاستعمارية كانا مؤذيين لشعب انكلترا ولكنهما مفيدان جدا للتجار وللمصنعين الذين كانوا المهندسين الرئيسين للسياسة. باختصار، لقد كانت سياسة ذات ركيزة طبقية عملت لصالح الاغنياء والاقوياء في انكلترا. ودفع الشعب الانكليزي الثمن. كان معارضاً لذلك لانه كان مفكراً متنوراً، ولكنه اعترف بذلك. وما لم تقر بذلك فانك لا تعيش في العالم الواقعي.

د.ب: قال هيوي لونغ ذات مرة: انه حينما تصل الفاشية إلى هذا البلد فانها سوف تلَفّع بعلم امريكي. لقد اكتشفت وعلقت على اتجاهات نحو الفاشية في هذا البلد، بل انك كنت تقتبس من هتلر حول قضايا العائلة ودور المراة.

لقد كان نوعا من لفت النظر. فبعد الميثاق الجمهوري (لحسن الحظ، فانني وفرت على نفسي الم مشاهدة التلفاز، لكنني قرأت عنه) ضُربت الاعصاب حتى انني بدأت البحث عن بعض الادبيات من سنوات الثلاثينات، الادب المعاصر عن الفاشية. وقد بحثت في خطابات هتلر ـ في اواخر سنوات الثلاثينات ـ إلى المجموعات النسائية والاجتماعات الحاشدة. كانت لغة الخطابة شبيهة جدا بلغة الاجتماعات الحاشدة «الرب والبلاد» في الليلة الاولى للميثاق الجمهوري. انني لا آخذ ذلك فعليا على نحو جدي. والسبب هو ان روافع القوة متوطدة بايدي قطاع المؤسسات والشركات. سوف يسمحون للاصوليين المتطرفين بالكلام بهستيرية عن الرب والبلاد والعائلة، لكنهم بعيدون جدا من ان يكون لهم اي تأثير على قرارات السلطة الرئيسة، كما استطعت أن ترى ذلك من الطريقة التي تطورت خلالها الحملة. لقد اعطوا الليلة الاولى ليصرخوا ويصيحوا، بل انهم اعطوا منصة الحزب للخطابة. انها ما قبل التنويرية. لكن بعد ذلك حينما بدأت الحملة عدنا إلى اعمالنا كما هو معتاد.

برغم هذا فان ذلك يمكن ان يتغير. ان احدى عواقب العزلة والاغتراب المتنامسيين عند السكان، هي انهم بدأوا يطورون مواقف للذات لا عقلانية وتدميرية عالية. انك تريد ان تحدد نفسك بطريقة ما. انك لا تريد ان تكون ملتصقا امام التلفزيون. انك تريد شيئا في حياتك. ان تكن غالبية الوسائل البناءة مقطوعة، فانك تتجه إلى طرق اخرى. وباستطاعتك ان ترى ذلك في استطلاعات الرأي ايضاً. لقد كنت انظر في دراسة نشرت في انكلترا قام بها عالم اجتماع امريكي، تدور حول مواقف دينية مقارنة في دول متعددة. ان الارقام تبعث على الصدمة. فثلاثة ارباع المواطنين الامريكيين يؤمنون بالمعجزات الدينية. وأعداد الذين يؤمنون بالشيطان، وبالانبعاث، وان الله يفعل هذا وذاك، مثيرة للدهشة. هذه ارقام بحوزتك وليس في اي مكان في العالم الصناعي. عليك ان تذهب إلى المساجد في ايران، او ان تقوم باستطلاع للرأي بين السيدات المسنات في صقلية. يمكن ان تحصل على ارقام كهذه. هذا هو المواطن الامريكي. فقط قبل سنتين، كانت هناك دراسة عما يفكر فيه الناس فيما يتعلق بنظرية النشوء والارتقاء. ان النسبة المئوية لعدد المواطنين الذين آمنوا بنظرية داروين في تلك اللحظة بالضبط كانت تسعة بالمائة. مثل الخطأ الاحصائي، بشكل اساسي. نحو نصف عدد المواطنين آمنوا بالنشوء والارتقاء المقاد الهيا، وهو مذهب الكنيسة الكاثوليكية، ونحو اربعين بالمائة اعتقدوا ان العالم خلق قبل نحو ستة آلاف سنة. ومرة اخرى، عليك العودة إلى المجتمعات ما قبل التكنولوجية او المجتمعات الفلاحية المدمرة، قبل ان تحصل على مثل تلك الارقام. تلك هي انماط انظمة الايمان التي ظهرت في اشياء مثل اجتماع الرب والبلاد الحاشد. ان الاصولية الدينية باستطاعتها ان تكون ظاهرة مروعة جداً. ويمكن ان يكون ذلك القاعدة الجماهيرية لحركة شعبية ذات خطر مفرط. ايضاً، فان هؤلاء الناس ليسوا اغبياء، ولديهم مبالغ ضخمة من الاموال، وهم منظمون. انهم يتحركون بالاسلوب الذي عليهم اتباعه. بداية

يتولون امـور المكاتب المحلية حيث لا يلاحظهم احد. وقد كـانت هناك ظاهرة ملفتـة للنظر في الانتـخابات الاخيرة، حـتى انهـا شكلت الـصفـحـة الاولى للصحف الوطنيـة. وقد اثبتت انه في اجزاء عـديدة من البلاد، كان المتعـصبون الاصوليون يترشـحون للانتخابات دون التعرف عليـهم. ان الامر لا يحتاج إلى الكثيـر من الجهد لجـعل شخص ما ينتـخب إلى لجنة المدرسة. ليس هناك كثير جداً من الناس من يعير الاهتمام. وليس عليك ان تسأل: من انت؟ فقط اظهر مع وجه وابتسم، وقل: سـأعمل على مساعدة اطفالكم، وسـيصوت المواطنون إلى جانبك. ان كثـيرا من المواطنين يُنتخبون كنتـيجة للحملات المنظمـة الهادفة إلى تولي امـور هذه البنى المحلية. ان ذلك يمـكن ان يبنى وينتهي مع مـجتـمع يتحرك عائداً نحو فترة ما قبل التنويرية. فان يرتبط ذلك مع اناس يمتلكون شيئاً من قـوة الكاريزما، ويقـولون: «انا زعيـمكم، فاتبـعوني»، فـان ذلك يمكن ان يكون بشعا جداً.

د.ب: هناك ايضـا زيادة كـبيـرة في وسـائل الاعـلام والمطبـوعـات الاصولية، وبشكل واضح في الصحف والمجلات، ولكن على وجه الخصوص في وسائل الاعلام الالكترونية. انك لا تستطيع السير عبر البلاد.

كان هذا صحيحاً عبر السنوات الماضية. اذكر انني كنت اقود سيارتي عبر البلاد خـلال سنوات الخمسـينات، وانا أشعر بـالضجر وبثـقل الرأس، واتجهت نحو الراديو. كل محطة استطعت ان التقطها كانت واعظا صاخبا. والآن، فان الوضع اكثر سوءاً. وبالطبع، فالآن يوجد تلفزيون.

د.ب: تتـحـدث عن تقنيـات وادوات ذات مـقـاييس تسـتـخـدم للسـيطرة على المواطنين: بناء الاعـداء، على الصـعـيـدين: الداخلي والخـارجي، وخلق العـداوات، والتـعـصـب الديني، ثم تقـول: «ان التـقنيـات متـفـاوتة نتيجـة الاسبـاب البنائيـة نفسـهـا». مـا هي تلك

السبب البنائي هو ان السلطة مركّزة. السياسة العامة هي على وجه الدقة الطريقة التي وصفها آدم سميث بها: انها مصممة لمصلحة مهندسيها الرئيسين، القوة. انها تخدم الحقيقة العامة التافهة للسادة: الكل من أجلنا ولا شيء لاي شخص آخر. تلك هي القواعد الرئيسة للعالم. ان الطريقة التي تعمل بها تعتمد على ماهية البنى. في حالتنا يمكن ان تكون بنية شركة متحدة. ان الكثير من المواطنين سوف يكونون عرضة للأذى بفعل ذلك. تلك السياسات مصممة لتحويل سلطة الدولة إلى اداة تعمل لصالح الاثرياء. ربما يكون هناك بعض الفئات من اجل بقية المواطنين، وربما لا.

بطريقة ما يجب عليك الوصول بالجماهير إلى القبول بذلك. تناقض هيوم يتمثل في ان: السلطة في ايدي المحكومين. فان يرفضوا قبول ذلك، فانك ستصبح في ورطة، ولا يهم كم من الاسلحة لديك. كيف تفعل ذلك؟ وليس هناك الكثير من الوسائل. هناك وسيلة لاخافة الناس وجعلهم يحجمون عن الارهاب، وهي ان القائد العظيم يستطيع ان ينقذهم. صدام حسين آت. من الافضل لك ان تختبيء في الرمال، وبمعجزة ما سوف انقذك. ثم تنقذهم. بمعجزة. وهكذا، فان دمج الخوف والرعب هو تقنية ذات مقياس، تستخدم طوال الوقت. تحويل الناس إلى اشياء اخرى. طوابع إلفيس، تلك تقنية. الرياضات الاحترافية هي تقنية اخرى.

دع الناس يصبحوا مفتونين بشخص ما او آخر. ان ذلك ايضا له اثره في خلق مواقف تبعية. شخص آخر يفعلها، ويفترض فيك انت ان تصفق لهم استحسانا. انهم يفعلون شيئا ما لم تستطع ابداً ان تحلم بفعله في حياتك. لذلك هناك ادوات عدة، ولكن ليست كثيرة. وبشكل عام فانك تجد واحدة او اخرى منها قيد الاستخدام.

د.ب: تتنبأ بان الهدف الكبير القادم سيكون المدارس.

ان المدارس بطبيعة الحال هدف. افكر في ان ما سيحدث هو حركة او اخرى اضافية نحو نظام الطبقتين المصمم للمجتمع ذي الطبقتين. لقد كان الامر على الدوام كذلك، ولكن اكثر بكثير من قبل. مدارس افضل واستثمار اكثر لقطاعات ذات امتيازات نسبية، اي ما يسمى «خيارا». ان تكن انت في الاحياء الفقيرة، فمن المحتمل، بمعجزة ما، ان تكون قادراً على ان تُنتَخَب.

وعلى نحو متزايد، فان الافتراض هو انه ليست مسؤوليتنا، كمواطنين، ايلاء العناية للمواطنين كلهم. ما يجب عليك ان تفعله هو ان تعمل من اجل نفسك. وهذا يعني ان تحاول خلق نظام يستطيع فيه اولئك الذين يحظون بالامتيازات والتعليم والنفوذ الحصول على التعليم الذين يريدون لاطفالهم، ويبقى الآخرون خارج نطاق الحظ.

د.ب: ان الظروف التي تشكل التحالف الامريكي - الاسرائيلي قد تغيرت، لكن هل كانت هناك اي تغييرات بنيوية؟

لا تغييرات بنيوية ذات دلالة. فقط ان الحاجة إلى التحالف الاستراتيجي ازدادت حدة. القدرة على البقاء تصاعدت. ان قدرة اسرائيل على خدمة مصالح الولايات المتحدة ـ على الاقل على المدى القصير ـ ربما تصاعدت. لقد أوضحت ادارة كلينتون جيدا انها تنوي الذهاب إلى ما هو ابعد من التحيز المفرط من قِبل ادارة بوش ـ بيكر اتجاه اسرائيل. إن موظفهم في قسم الشرق الاوسط في مجلس الامن القومي هو مارتين ايندك، وهو من AIPAC وترأس معهد واشنطن لدراسات الشرق الادنى، الذي أسس لتمكين الصحافيين الذي يريدون نشر الدعايات الاسرائيلية ـ ولكن يريدون ان يقوموا بذلك بموضوعية ـ من الاستشهاد بشخص ما.

المشكلة هي ان خطط اسرائيل - التي لم تتغير ابداً - للاستيلاء على المناطق المحتلة وضمها، تصطدم ببعض المشاكل الموضوعية. لقد كانوا على الدوام يأملون انهم سيكونون قادرين - على المدى الطويل - على انقاص عدد الفلسطينيين. وقد اتخذت عدة خطوات في محاولة لتسريع ذلك. ان أحد اسباب اقامة جهاز تعليمي في الضفة الغربية كان على أمل ان الكثير من المتعلمين الفلسطينيين سوف يرغبون في الخروج من هناك لانه لن تكون امامهم اي فرصة عمل. وقد نجحوا في ذلك لفترة طويلة. كانوا قادرين على جعل الكثيرين يغادرون. ربما انهم الآن يفعلون عكس ذلك للسكان. وهذا سيسبب بعض المشكلات الواقعية، لانهم ينوون اخذ المياه والارض. ربما لن يكون الامر جميلاً جدا وليس سهلا جداً.

د.ب: ما موقف اسرائيل من الاستجابة لاكثر من عشرين قراراً لمجلس الامن تدين سياساتها؟

انها نسيج وحدها.

د.ب: لا عقوبات، ولا إرغام؟

لا شيء من ذلك. فقط خذ منها واحداً عشوائياً. قرار مجلس الامن رقم ٤٢٥ الصادر في شهر آذار عام ١٩٧٨ القاضي بالطلب إلى اسرائيل الانسحاب فورا وبدون شروط من لبنان. انهم ما يزالون هناك. وقد أعيد تجديد الطلب من قبل الحكومة اللبنانية في شهر شباط ١٩٩١ حينما كان الجميع يهجمون على العراق. انك لا تستطيع ان تفعل اي شيء. الولايات المتحدة تحاصره. العديد من قرارات الامم المتحدة التي نقضتها الولايات المتحدة كان يجب ان تكون لها علاقة بالعدوان او الفظائع الاسرائيلية. خذ - على سبيل المثال - غزو لبنان عام ١٩٨٢.

في البداية، وافقت الولايات المتحدة على ادانات مجلس الامن، لكن خلال بضعة ايام، نقضت الولايات المتحدة اهم قرار لمجلس الامن، والذي يدعو كافة الاطراف إلى الانسحاب ووقف القتال.

د.ب: لقد وافقت الولايات المتحدة على بضعة قرارات للامم المتحدة صدرت مؤخراً.

لقد وافقت الولايات المتحدة، ولكنها رفضت السماح لهم بان يكون لهم اي أسنان. ان السؤال الحاسم هو: هل تفعل انت شيئا بخصوص ذلك؟ على سبيل المثال، وافقت الولايات المتحدة على قرار مجلس الامن بادانة ضم مرتفعات الجولان، لكن حينما جاء الوقت للقيام بشيء ما بخصوص هذا، الغيت الموافقة.

د.ب: لبنان بمثابة مكب نفايات للمرحلين. لقد اخذت اسرائيل والقت بطائرات الهيلوكوبتر وبالباصات اعداداً من المبعدين في سنوات السبعينات والثمانينات. لماذا تغير ذلك الآن؟ لماذا رفض لبنان؟

لم يرفض لبنان إلى حد بعيد جداً. اذا ألقت اسرائيل بعضا من المبعدين بواسطة الهيلوكوبتر على ضواحي صيدا، فان لبنان لا يستطيع ان يرفض. اعتقد ان اسرائيل ارتكبت خطأ تكتيكيا هذه المرة. فابعاد ٤١٥ انسانا سيكون امراً صعباً جدا بالنسبة اليهم التعامل معه. انه خلفية مثيرة. لقد قرأت في صحيفة هاآرتس ـ الصحيفة الاسرائيلية الرئيسة ـ ان الشاباك ـ البوليس السري ـ أعلن ـ وهو امر نادر الحدوث ـ انهم طلبوا ابعاد سبعة فلسطينيين فقط. اما الاربعمائة او نحو ذلك الآخرين فقد أضيفوا من قبل حكومة العمل إلى القائمة واعلنت الشاباك ان ذلك لم يكن بناء على طلبها. لم يقولوا اي شيء على الاطلاق يتعلق بابعادهم.

لكن أخذ هذه المجموعة الكبيرة من الناس، وغالبيتهم من المثقفين ورجال الدين، . . . الخ، ووضعهم في جبال جنوب لبنان، حيث يتجمدون، ومن المحتمل ان يبدأوا يموتون، لن يبدو امرا جميلاً امام كاميرات التلفزيون، والتي هي الشيء الوحيد موضع الاهمية. لذا، ربما تواجههم بعض المشكلات، لانهم لن يسمحوا لهم بالعودة.

د.ب: القانون الدولي يسمو فوق قانون الدولة. لكن اسرائيل تقول ان هذه القرارات غير قابلة للتطبيق، كيف ذلك؟

تماماً مثلما هي غير قابلة للتطبيق بالنسبة إلى الولايات المتحدة. فالولايات المتحدة ادينت من قبل المحكمة الدولية. ان الدول تفعل ما تشعر انه يوافقها. وبالطبع، فان على الدول الصغيرة ان تكون مطيعة. واسرائيل ليست دولة صغيرة. انها ملحقة بالقوى العظمى الدولية. ولذلك فانها تفعل ما تقول الولايات المتحدة ان عليها ان تفعله. الولايات المتحدة تقول لها: ليس عليك ان تطيعي ايا من هذه القرارات، وبناء عليه فانها قرارات باطلة وعقيمة. كما هو الامر عليه حينما أدينت الولايات المتحدة. ان الولايات المتحدة لم تتم ادانتها على الاطلاق بموجب قرار من مجلس الامن، لانها تنقضه. لكن هناك قرارات متكررة لمجلس الامن تدين الولايات المتحدة يمكن ان تمررها لو انها كانت تعني اي بلد آخر. خذ ـ لنقل ـ غزو بنما. كان هناك قراران لمجلس الامن يدينان الولايات المتحدة بسبب غزو بنما، وقد نقضناهما كليهما.

د.ب: اذكر حديثا مع منى رشماوي من (الحق) في رام الله. لقد اخبرتني انها حين تذهب إلى المحكمة، فانها لا تدري فيما اذا كان النائب العام الاسرائيلي سوف يقاضي موكليها بموجب قانون طوارىء الانتداب البريطاني، او القانون الاردني، او القانون الاسرائيلي، ام القانون العثماني.

او بموجب قوانينهم. هناك انظمة ادارية، بعضها لم ينشر على الاطلاق. ان الفكرة كلها هي نكتة، مثلما سيخبرك اي محام فلسطيني. ليس هناك قانون في الاراضي المحتلة. هناك فقط سلطة محضة. حتى داخل اسرائيل نفسها، فان الجهاز القانوني هو نكتة حينما يتعلق الامر بالعرب. ان المدعى عليهم الذين يحضرون إلى المحكمة العليا انما يحضرون بعد ان يكون قد تمت ادانتهم. والادانات في تسعين بالمائة منها تكون مرتكزة على الاعترافات. حينما يعترف الناس، فان كل شخص يعرف ماذا يعني ذلك. وأخيراً، وبعد ستة عشر عاماً تقريباً، حينما يتجه، احد المواطنين، الذي اعترف وحوكم، ليصبح متطوعاً درزياً في الجيش والذي اثبتت براءته، يصبح الامر فضيحة. كان هناك تحقيق، وأعلنت المحكمة العليا ان جهاز الاستخبارات وعلى مدار ستة عشر عاماً كان يكذب عليها، ويعذب الناس، ويخبرها انهم لم يفعلوا ذلك. كان هناك احتجاج كبير في اسرائيل حول حقيقة ان الاستخبارات كانت تكذب على المحكمة العليا. كيف يمكن ان تكون هناك ديمقراطية حينما يكذبون على المحكمة العليا؟

اذكر ذات مرة بعد تحقيق منظمة العفو الدولية (أمنستي) حول التعذيب في اسرائيل، ان احد قضاة المحكمة العليا كان في لندن، وأجريت معه مقابلة من قبل (أمنستي). وقد سألوه فيما اذا كان باستطاعته ان يفسر النسبة العالية جداً من اعترافات العرب، فقال: «انه جزء من طبيعتهم» ان يعترفوا. ذلك هو الجهاز القانوني الاسرائيلي.

د.ب: عن المبعدين مرة ثانية: سمعت (ستيفن سولارز) في اذاعة BBC قبل اسبوعين. قال: ان العالم يكيل بمكيالين. فسبعمائة الف يمني تم طردهم من المملكة العربية السعودية ولم يقل احد كلمة. وهذا صحيح. اربعمائة وخمسة عشر فلسطينيا طردوا من غزة

والضفة الغربية، والجميع يصرخون.

كل ستاليني يقول ذلك. لقد أرسلنا ساخاروف إلى المنفى، والجميع يصرخون. ماذا عن هذه البشاعة الاخرى؟ هناك دائماً شخص ما قد قام بفظيعة سيئة. بالنسبة إلى ستاليني مثل سولارز، لماذا لا يستخدم الخط نفسه؟ في الواقع - كما يعلم سولارز - فان اسرائيل تعامل برقة، وان طرد اليمنيين كان جزءاً من الحملة الاعلامية التي وجدت من اجل حرب الخليج، وبالتالي يمكن قبولها.

د.ب: سجل اسرائيل وموقفها تجاه حركة حماس تطور عبر السنوات. لذات مرة، ابقتها إلى جانبها، اليس كذلك؟

لم تبقها إلى جانبها فقط. بل حاولوا تنظيمها وتحفيزها. ففي السنوات الاولى للانتفاضة، كانت اسرائيل ترعى الاصوليين الاسلاميين. فان كان هناك اضراب للطلبة في بعض جامعات الضفة الغربية، فان الجيش الاسرائيلي في بعض الاحيان يلجأ إلى الاصوليين الاسلاميين لانهاء الاضراب. والشيخ ياسين - مهووس باللاسامية في غزة - الذي هو زعيم الاصوليين الاسلاميين كان محميا من اسرائيل لفترة طويلة. لقد أحبوه. كان يقول: لنقتل اليهود كلهم. انه أمر معياري، العودة إلى التاريخ. كان حاييم وايزمن يقول قبل سبعين سنة: ان الخطر الذي يتهددنا هو العرب المعتدلون، لا العرب المتطرفون. وكان غزو لبنان الشيء نفسه. فقد غزوا لبنان علانية من اجل تدمير م.ت.ف. التي كانت تشكل خطراً لانها كانت علمانية وقومية وتدعو إلى التفاوض وايجاد تسوية دبلوماسية. كان ذلك هو الخطر. ليس الارهابيون. والحقائق مألوفة في اسرائيل، لا يصح ذكرها هنا، كجزء من التغطية العامة على جرائم الحليف المفضل. وقد فعلوا الشيء نفسه مرة اخرى، ويرتكبون دائما الاخطاء نفسها.

في لبنان مضوا من اجل تدمير خطر الاعتدال، وانتهوا بحزب الله تحت

اشرافهم. في الضفة الغربية، أرادوا تدمير خطر الاعتدال، الناس الذين ارادوا تحقيق تسوية سياسية، وهاهم ينتهون بحركة حماس تحت أيديهم. لقد كان بالامكان التنبؤ بالخطأ. لقد كان بالامكان التنبؤ بالنتيجة. لكن من الأهمية بمكان الاعتراف كم هي الاجهزة السرية غير كفؤة تماما. لقد ارتكب عملاء الاستخبارات اكثر الاخطاء اثارة للدهشة. لنفس السبب الذي يفعله الاكاديميون. لقد حصلوا على نوع الخلفية نفسه، والافتراضات نفسها. فعلى وجه الخصوص، حينما يكونون في وضع احتلال او هيمنة، فان المحتلين، او القوة المهيمنة، يجب عليها ان تبرر ما تقوم به. وهناك طريقة واحدة فقط للقيام بذلك، وهي ان تصبح عرقياً: يجب عليك ان تلوم الضحية. حالما تصبح عرقيا في الدفاع عن النفس، تكون قد فقدت قدرتك على ادراك ما يحدث. وهذا اجراء معياري جداً. و كانت الولايات المتحدة في الهند الصينية كذلك. فلم يستطيعوا على الاطلاق ان يدركوا. ومكتب التحقيقات الفيدرالي هنا الآن كذلك. فهم يرتكبون اكثر الاخطاء اثارة للدهشة، ولأسباب مشابهة.

د.ب: اوصلنا إلى اوروبلية «الحزام الامني» و «الحزام الحاجز»

في جنوب لبنان؟ ذلك ما تدعوه اسرائيل، وتلك هي الكيفية التي تشير بها في وسائل الاعلام. اسرائيل غزت جنوب لبنان عام ١٩٧٨، وقد كان من الواضح في ذلك الوقت ان مفاوضات كامب ديفيد ستكون لها النتيجة نفسها التي ارتكبوها، وأعني اعطاء اسرائيل الحرية لمهاجمة لبنان وضم المناطق المحتلة من خلال التخلص من مصر كعائق. واي طفل في مرحلة الحضانة كان باستطاعته ان يرى ذلك، بل وان يسلم بذلك في الوقت الحالي. لذلك قامت اسرائيل بغزو لبنان سنة ١٩٧٨ وواصلت ذلك. كان ذلك حينما تم اتخاذ القرار. وهم عادة يواصلون ذلك من خلال العملاء، وفي ذلك الوقت كانت ميليشيا حداد.

حينما غزت اسرائيل لبنان عام ١٩٨٢، لم تكن الحدود هادئة. اذ كانت هناك حوادث عنف كثيرة عبر الحدود، وكلها في شمال اسرائيل. وكان هناك وقف اطلاق نار وسيطته امريكا، والذي تمسكت به م.ت.ف. لدرجة تثير الشكوك. لكن اسرائيل قامت بآلاف الاعمال الاستفزازية بما في ذلك قصف مركز لأهداف مدنية في مسعى لمحاولة جر م.ت.ف للقيام بشيء ما، وبالتالي ايجاد العذر لاسرائيل للقيام بالغزو، الذي حدث في النهاية. وانه لمن المثير تلك الطريقة التي تم بها تصوير تلك الفترة في الصحافة الامريكية. فبشكل عام، تصور تلك الفترة على انها الفترة حينما كانت م.ت.ف. تقصف المستوطنات الاسرائيلية. ما كان يحدث في الحقيقة هو ان اسرائيل هي التي كانت تقوم بقصف وغزو شمال الحدود، وان م.ت.ف. لم تكن تقوم بالرد. كانوا يحاولون في تلك الفترة التحرك نحو تسوية من خلال المفاوضات. وغزت اسرائيل لبنان، ونعلم ما الذي حدث آنذاك. لقد طردوا خارجاً على يد ما يسمونه بـ «الارهاب» اي المقاومة من قبل الشعب الذين لا يريدون ان يكونوا مروَّعين. لقد نجحت اسرائيل في ايقاظ مقاومة اسلامية لم تستطع السيطرة عليها. لقد اخرجوا عنوة. واستمروا حتى الحزام الجنوبي، الذي يسمونه «الحزام الامني» ولكن ليس هناك من سبب للاعتقاد ان له ادنى علاقة بالامن. انه معقلهم في لبنان، ويشرف عليه جيش من المرتزقة ـ جيش لبنان الجنوبي ـ مدعوم من الجنود الاسرائيليين. انهم قساة جداً وقد أصبح غرف تعذيب مرعبة. لسنا نعرف التفصيلات الكاملة، لانهم يرفضون السماح بالقيام باي عمل من انواع التفتيش من قبل الصليب الاحمر، او غيره. لكن كانت هناك تقصيات قامت بها مجموعات معنية بحقوق الانسان، وصحفيون، وآخرون، والذين يصادقون على أدلة ساحقة من مصادر مستقلة ـ الناس الذين خرجوا من هناك ـ على ما يحدث هناك، حتى من المصادر الاسرائيلية. وقد قام جندي اسرائيلي بالانتحار هناك لانه لم يستطع ان يتحمل ما كان يجري.

وكتب آخرون عن ذلك في الصحف الاسرائيلية. وكان معتقل انصار اهم حدث، والذي اقاموه في بلدة الخيام، وهي مكان كانوا قد ارتكبوا فيه مذبحة عام ١٩٤٨. وكانت هناك مذبحة اخرى ارتكبتها ميليشيا حداد تحت بصر الاسرائيليين سنة ١٩٨٢. وهي بشكل اساسي ضد اللبنانيين الذين يرفضون التعاون مع جيش لبنان الجنوبي. ذلك هو الحزام الامني.

د.ب: يقول ابراهام فوكسمان في رسالة مؤرخة ١١ كانون الثاني ١٩٩٣ وموجهة إلى صحيفة نيويورك تايمز انه منذ توليها السلطة، اعلنت حكومة رابين «على نحو واضح التزامها بعملية السلام» «اسرائيل هي اخر طرف عليه ان يثبت رغبته في تحقيق السلام». ما سجل رابين المتعلق بهذا الامر؟

صحيح تماما ان اسرائيل تريد السلام، وكذلك فعل هتلر. كل انسان يريد السلام. حينما تقول ان شخصاً ما يريد السلام، فان ذلك حشو. كل شخص يريد السلام. السؤال هو وفق اي شروط؟ لقد قامت حكومة رابين ـ كما كان متنبأ به على وجه الدقة ـ بتشديد القمع في المناطق. بعد ظهر هذا اليوم بالضبط كنت اتحدث مع امرأة كانت قد أقامت السنتين الأخيرتين في غزة، تقوم باعمال تتعلق بحقوق الانسان. وقد أوردت ما يقوله كل انسان، وما يعرفه كل ذي عقل: حالما وصل رابين، أصبحت الأمور اشد عنفاً. انه رجل القبضة الحديدية. هذا هو سجله. وفي الحقيقة، فان لليكود سجلا افضل من سجل حزب العمل في المناطق. فقد توقفت عمليات التعذيب والعقاب الجماعي خلال فترة حكم الليكود. كانت هناك فترة واحدة فقط اتسمت بالسوء حينما كان شارون في موقع المسؤولية، ولكن في عهد بيغن كان الامر افضل بشكل عام. وحينما عاد حزب العمل مرة ثانية إلى السلطة سنة ١٩٨٤ بدأ التعذيب مرة اخرى، وبدأ القمع الجماعي مرة اخرى، وجاءت الانتفاضة.

وأعلن رابين صراحة ـ اعلن ذلك في شهر شباط ١٩٨٩ امام مجموعة من زعماء حركة السلام الآن ـ ان المفاوضات مع م.ت.ف. لم تكن لتعني اي شيء. كانت ستعطيه الوقت لسحقهم بالقوة، وسوف يُسحقون، سوف يُكسرون، كما قال.

د.ب: لم يحدث ذلك.

لقد حصل. كانت الانتفاضة ميتة، فايقظها مرة اخرى. لقد نجح عنفه في إعادة ايقاظ الانتفاضة. أشياء عديدة، بما في ذلك عملية الترحيل الاخيرة. لكن القمع المتزايد بعد مجيء رابين أعاد ايقاظ المقاومة والاحتجاجات الساكنة إلى حد ما، ربما الناس الذين ارادوا ان يتركوا وشأنهم، اذ لم يعد باستطاعتهم ان يتحملوا المزيد. لقد نجح رابين في ايقاظها ثانية. قام بزيادة المستوطنات في المناطق المحتلة، وكما تنبأ بذلك كل شخص على وجه الدقة. كان هناك قطع علني عال جداً في المستوطنات، وكان واضحاً بشكل مباشر انه خداع. وفوكسمان يعرف ذلك، وهو يقرأ الصحافة الاسرائيلية، وأنا متأكد. ما أوقفه رابين هو بعض خطط شارون المجنونة والمتطرفة جداً. فقد كان شارون يقوم ببناء مساكن في كافة انحاء المنطقة، وفي اماكن حيث لن يذهب احد اليها، ولم يستطع الاقتصاد معالجتها. لذلك، فانه اعتمد برنامج استيطان اكثر عقلانية. اعتقد ان العدد الحالي يبلغ احد عشر الف وحدة سكنية جديدة يجري بناؤها. ويميل حزب العمل إلى سياسة اكثر عقلانية من سياسة الليكود. وأحد اسباب ذلك ان الولايات المتحدة كانت على الدوام تفضل حزب العمل. انهم يقومون بذلك بهدوء اكثر، وبوقاحة أقل. ايضاً، فان حزب العمل اكثر واقعية. فبدلا من محاولة ايجاد سبع مناطق استيطانية كبيرة، تم تخفيضها لتصبح أربعا، لكن النظرية نفسها. محاولة تقطيع الضفة الغربية بطريقة من شأنها ان اقامة استيطان يهودي شامل في كل مكان هي امر جدير بالاهتمام،

وايضاً محاصرة جيوب الكثافة السكانية للعرب. ايضا الطرق السريعة الكبيرة، شبكة من الطرق السريعة تربط المستوطنات اليهودية، مبقية بعض القرى العربية الصغيرة بعيدة منعزلة فوق التلال. ويستمر هذا كله والهدف هو ترتيب المستوطنات بحيث تفصل المناطق الفلسطينية، وبحيث لا يكون هناك اي ارتباط بينها. وكل ذلك للتأكد من ان اي شكل من اشكال الحكم الذاتي المحلي لن يتحول على الاطلاق إلى اي شكل ذي هدف او معنى من اشكال الحكم الذاتي. ويستمر هذا الامر، وتقوم الولايات المتحدة، بالطبع، بتمويله، لانها تحبذه، كما كانت على الدوام. لكن الصحيح ان رابين مسرور بان تكون هناك عملية سلام اذا كان بالامكان ان تكون وفق شروطه.

د.ب: منتقدو الحركة الفلسطينية يشيرون إلى ما يسمونه «الانتفاضة» وحقيقة ان الفلسطينيين يقتلون فلسطينيين آخرين، كما لو ان هذا يبرر تقييد اسرائيل لاي طموحات وطنية فلسطينية.

بامكانك ان تعود إلى الوراء وتنظر في الحركة الصهيونية. فقد كان هناك الكثير من القتلى اليهود على يد يهود آخرين. لقد قتلوا المتعاونين، والخونة، والناس الذين اعتقدوا انهم خونة. وكما أشار العديد من الاسرائيليين، فان البريطانيين لم يكونوا لطيفين، لكنهم (جنتلمانات) مقارنة بنا. واول عملية اغتيال قامت بها الهاغاناه، كانت في عام ١٩٢١. وقد بحثت عنها في تاريخ الهاغاناه الرسمي وهي موصوفة هناك بشكل صريح. يهودي هولندي اسمه يعقوب دي هان، كان يجب ان يقتل لانه كان يحاول الاتصال بالفلسطينيين المحليين لمعرفة امكانية القيام ببعض الامور بين المستوطنين الجدد والفلسطينيين. احد القتلة كان يفترض ان يكون المرأة التي اصبحت فيما بعد زوجة اول رئيس لدولة اسرائيل. وقد قالوا في التاريخ ان السبب الثاني لاغتياله انه كان شاذا جنسيا. انهم لا يريدون هؤلاء الرجال ان يكونوا هنا وهناك. كانت هناك غرف

تعذيب عند الهاغاناه، وسفاكون. وقد اصبح اسحاق شامير رئيسا لعصابة شتيرن من خلال قتله للرجل الذي كان مخططا له ان يصبح الرئيس. وكان يفترض في شامير ان يقوم بجولة على الاقدام معه على الشاطىء ولم يعد الرجل على الاطلاق. وكل شخص يعرف ان شامير قتله، ولم تكن الثورة الامريكية لتختلف عن ذلك.

وحينما بدأت الانتفاضة بتدمير الذات تحت القمع الهائل، اصبح هذا القتل خارجا عن السيطرة كلية. بدأ يصبح قضية تصفية حزازات قديمة، وقطاع الطرق يقتلون اي شخص لا يحبونه. لقد كانت منضبطة تماما، لكن حينما اصبح القمع قاسيا جداً بما فيه الكفاية، واعتقلت القيادات وألقيت في معسكرات الاعتقال، تدهورت الاوضاع. وانتهت بالكثير الكثير من اعمال القتل العشوائي. وهو امر تحبه اسرائيل. وعند ذاك باستطاعتهم القول كم هم العرب فاسدون.

د.ب: انها جيرة خطرة.

نعم، هم يساعدون على جعلها خطيرة.

د.ب:يصفك دافيد فروم ـ صحافي كندي ـ في العدد الصادر يوم ٢ كانون الثاني ١٩٩٣ من صحيفة فايننشال بوست بين اشياء اخرى بانك «المعتوه الامريكي الكبير». اعتقد ان ذلك يُصنَّف هناك مع تعليق (مارتين بيريز) الجمهوري الجديد حينما وضعك «خارج نطاق المسؤولية العقلانية». لكن في الواقع توجد لدى فروم بضعة اشياء جوهرية للقول: «كان هناك زمان حينما كانت صفحة المقالة الافتتاحية في النيويورك تايمز ارضا لخبط اقدامك» فهل اخطات شيئا ما هنا؟

اظن انني اخطأت انا ايضاً. فقد حدث ذات مرة انه كان لي مقالة افتتاحية، مرة واحدة. وكان ذلك عام ١٩٧١ على ما اظن. وقد ادليت

بشهادتي امام لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ. كان ذلك في الفترة حينما كان كل شخص في صحيفة نيويورك تايمز يقر انه من الافضل لنا الخروج من فيتنام لانها كانت تكلفنا الكثير جداً. وقد حول السيناتور (فولبرايت) في الواقع لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ إلى ندوة. لقد كان حائداً عن الطريق بسبب الحرب في ذلك الوقت، وبسبب السياسة الخارجية الامريكية. لقد دعاني للادلاء بالشهادة وكان ذلك جديراً بالاحترام بما فيه الكفاية. لذلك سربوا جزءاً من. . .

د.ب: مقتطفات من تعليقاتك. لم يكن هناك قطعة اصلية كتبتها انت لصحيفة نيويورك تايمز.

ربما تكون قد حُررت بشكل بسيط، لكنها كانت أساساً جزءاً من شهادتي امام لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ. لذلك فانه صحيح ان صحيفة نيويورك تايمز نشرت جزءاً من شهادتي امام لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ.

د.ب: وكانت تلك «ارضك التي تخبط عليها». ماذا عن الرسائل؟ كم رسالة من رسائلك قاموا بنشرها؟

أحياناً، حينما كان يظهر شيء ما، ويكون افتراء غير مألوف، وكذباً عليّ، كنت اكتب اليهم. عادة لا ينشرون الرسائل. في بعض الاحيان كنت اغضب بما فيه الكفاية لدرجة انني اتصل مع اصدقاء كانوا قادرين على ممارسة ضغط كاف عليهم، فيقوموا بالتالي بنشر رسالة رد.

د.ب: لم ار واحدة على مر السنوات.

في بعض الاحيان يرفضون، في Times Book Review هناك مجموعة من الاكاذيب الباطلة عني وعن جماعة الخمير الحمر. فكتبت رسالة للرد

عليهم، فرفضوا نشرها. غضبت، وكتبت لهم مرة ثانية، فحصلت فعلاً على اجابة تقول: لقد نشرنا رسالة اخرى اعتقدنا انها كانت افضل.

د.ب: اي شخص ياتي لزيارة مكتبك في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا يرى صورة كبيرة جدا باللونين الابيض والاسود لـ(برتراند رسل) في الرواق المجاور لبابك. ما قصة تلك الصورة؟

انه احد الناس القلائل جداً الذين انا معجب بهم، حقيقة. كانت لدي صورة كبيرة له، ولقد تعرض المكتب للتخريب عمداً خلال سنوات حرب فيتنام. وقد كانت تلك الصورة احدى الاشياء التي تحطمت. شخص ما أفلح في وضع اخرى مكانها.

د.ب: هل راسل يمثل المسؤولية العقلانية؟

لا احد بطل، لكنه يمتلك الكثير من الخصائص الجيدة جدا، وقام باشياء كثيرة هي موضع اعجابي.

د.ب: تجري جولات من المقابلات لا نهاية لها، وبالتاكيد لي نصيب كبير منها، كيف تبقى يقظان؟ ما الذي يجعل مقابلة ما جيدة؟ ما الذي يشغلك؟ الاسئلة لا متناهية، وعادة ما تكون هي نفسها.

ليست دائما نفسها تماماً. ويجب عليّ ان اعاود التفكير في الاشياء باي طريقة. انها موضوعات مثيرة وهامة جداً، وطالما ان الناس معنيون بها، فانني سأواصل الحديث عنها.

د.ب: اباستطاعتك البقاء يقظان؟

معظم الوقت.

د.ب: شكراً لك.

وسائل الاعلام والمعرفة والموضوعية

١٦ حزيران ١٩٩٣

د.ب: الساعة الآن - هنا في بولدر - هي السابعة تقريباً، والتاسعة حيث انت في ليكسنغتون. كيف تصف صباحك الروتيني؟ هل تبدأ بقراءة صحيفة بوسطن غلوب وصحيفة نيويورك تايمز؟

نعم، وصحيفة وول ستريت جورنال، وصحيفة الفاينـنشال تايمز، وغير ذلك.

د.ب: هل الصباح وقت جيد بالنسبة اليك من اجل العمل، ام انك تُقاطع بالكثير من المكالمات الهاتفية، مثل هذه؟

عادة، كثير جداً.

د.ب: صحيفتك اليومية (بوسطن غلوب)، تملكتها نيويورك تايمز. وغلوب احدى الصحف الرئيسة الدائمة في البلاد، ليست مملوكة من قبل سلسلة. ما رايك في ذلك؟

انه استمرار طبيعي لنزعة استمرت فترة طويلة. ان (بن باغدكيان) على سبيل المثال، كان يوثقها سنة بعد اخرى. انها ظاهرة طبيعية. ورأس المال يميل نحو ان يتركز ويتكثف. ويساورني الشك بوضوح في انه سيكون هناك اختلاف كبير في طبيعة الصحيفة، على الأقل لبضعة سنين. وبرغم ذلك، فانه يمكن ان يحدث ذلك مع مرور الوقت.

د.ب: هناك اتجاه حسن التوثيق في تمركز ملكية وسائل الاعلام، هل ترى اي اتجاهات مضادة؟

ما تفعله انت الآن هو اتجاه مضاد. انه مثل اي شيء يحدث الآن في العالم. هناك اتجاه نحو مركزة القوة في مستويات اعلى وأعلى، ولكن هناك ايضا اتجاه مضاد نحو الأقلمة، بما في ذلك ما يسمى بـ «التفويض» في اوروبا اي خلق حركات اساسية، بناء بدائل. ان التقنية الالكترونية الجديدة ـ في الواقع ـ قدمت فرصاً لمجموعات من نشر البدائل. تلفزيون الكوابل يقدم بدائل. لذلك فان الاشياء تسير في كلا الاتجاهين. مؤسسياً، فان النزعة الرئيسية هي المركزة. اما النزعة الاخرى في الاتجاه المقابل، الوحيدة المفعمة بالامل ـ في رأيي ـ فهي اكثر انتشاراً بكثير، وليس لديها الكثير على طريق الاشكال المؤسسية المنظمة. ولكنها بالتأكيد تسير وعلى كل مستوى.

د.ب: هناك ايضا شبكات كمبيوتر

انها تقدم مقادير من الامكانيات. هناك عشرات الآلاف من الناس معلقون بها، ربما مئات الآلاف، معلقون بشبكات مختلفة حول كل انواع الموضوعات، وان كثيرا من المناقشات تدور، وكثيرا من المعلومات تتدفق من خلالها. انها ذات نوعية متفاوتة، ولكن قسما منها بديل عن الاتجاه السائد. وهذا ما يزال الى حد بعيد امتيازاً للنخبة فيما يتعلق بهذا الموضوع.

د.ب: وردتني رسالة من مستمع في لافاييت، كولورادو، على بعد بضعة اميال من بولدر. لقد سمعك تتكلم عن «قبول التصنيع» وهو حديث ادليت به في برنامج نقابة تجارة هارفارد في شهر كانون الثاني. لقد اعتقدت ان تعليقات المستمع كانت تتحدث عن نفسها، وقد تساءل «كيف نصبح منظمين؟». هناك اسئلة متعددة، واهتمامات متعددة.

كيف نصبح منظمين؟ هناك اجابة بسيطة: إمض قدماً وقم بذلك. لقد أصبح الناس منظمين في ظل ظروف اكثر ارهاقا من هذه الظروف. لنفترض -على سبيل المثال - انك فلاح في السلفادور، في مجتمع ذي قاعدة مسيحية،

يحاول ان يصبح تعاونية فلاحية. ان الظروف التي حدثت في ظلها هذه الاشياء بعيدة جداً عن اي شيء نستطيع تصوره. اي ان الحديث عن المشاكل التي نواجهها يبدو زائداً غير ضروري. وبالتأكيد، فان هناك مشاكل. الناس واقعون تحت وطأة مشاريع قوانين ولديهم مشاكل شخصية. لكن غالبيتنا تعيش في ظروف ذات امتياز استثنائي بمواصفات مقارنة. ان مشكلة التنظيم هي مشكلة ارادة.

د.ب: اليست احدى مهام الاعلام تهميش اناس مثل هذا المستمع الذي كتب، واقناعهم ان القضايا يجب ان تترك للخبراء، وان عليكم البقاء خارجها؟

بالطبع. لكن لاحظ انها تنفذ بشكل مختلف في السلفادور. هناك يرسلون في فرق الموت.

د.ب: انت عالم. لنتحدث عن مفاهيم الموضوعية والتوازن في وسائل الاعلام وفي الثقافة. من يقرر طبيعة هذه الاشياء؟

هناك فرق كبير بين ثقافة العلوم والعلوم الانسانية والاجتماعية او وسائل الاعلام. في العلوم الطبيعية تواجه بحقيقة الطبيعة كفارض مهام قاس جداً. انها لا تدعك تنطلق بشيء من الهراء. على الاقل في المجالات المتطورة جداً للعلوم، من الصعوبة بمكان ان يستمر الخطأ الى الأبد. ان الخطأ النظري -بالطبع- باستطاعته الاستمرار الى الأبد لانه من الصعوبة بمكان اكتشافه. لكن إن يقم شخص بعمل تجربة ويحرف النتائج، فان ذلك على الارجح سوف ينكشف بسرعة كبيرة، باعتبار ان ذلك سيتكرر. هناك نظام متكامل قاس يضمن انك سوف تجد الحقيقة. لكنه يفرض مقاييس من الصعوبة بمكان الانفصال عنها. هناك ظروف خارجية تقرر كيف يتقدم العلم: التمويل، . . . الخ. لكنه نوعيا يختلف عن مجالات اخرى، حيث القيود التي تفرض من قبل العالم الخارجي اكثر ضعفاً. اقل من ذلك بكثير يمكن فهمه. ان

الدحض التجريبي اكثر صعوبة من ان يحصل عليه. وان من الاكثر سهولة تجاهل الاشياء التي لا تريد ان تسمعها.

لذا، دعنا نعُد الى تعليقك الافتتاحي عن صحيفة التايمز التي تسود العالم. ان صحافة الساحل الشرقي كانت تفيض بامتداح هذا الامر وتقول انه بسبب المعايير الصحفية العالية للتايمز فانه ليس هناك اي قلق من ان هذا الامر سيكون له اي خطر. هناك آلاف صفحات التوثيق تظهر ان معايير صحيفة التايمز الصحفية هي لا شيء سوى انها عالية. وفي الواقع، فانها غروتسكية (خيالية غريبة). لكن ذلك ليس قضية لان التحليل النقدي بالاستطاعة تجاهله ببساطة. لديه الرسالة الخاطئة، ولذلك فانك تتجاهله. هذا هو النوع من الاشياء الهينة جداً في عالم الصحافة او في اي من الانظمة الايديولوجية الاخرى. تجاهل ما لا تحب فقط، وان تكن لديك القوة، فان من السهولة ان تقوم بفعل منكر دون ان تتعرض لعواقب وخيمة.

بالأمس قرأت مقالة قصيرة في صحيفة واشنطن بوست كتبها صحفي جيد يعرف الكثير عن امريكا الوسطى، عن الحقبة الضائعة في امريكا الوسطى. إن مقالته تصور كل انواع الحيرة فيما يتعلق باسباب كون امريكا الوسطى اسوأ مما كانت عليه سنة ١٩٨٠ على الرغم من المبلغ الهائل للمساعدة الامريكية التي ارسلت الى المنطقة. وتتساءل المقالة فيما اذا كانت هذه المساعدة الامريكية قد انفقت بشكل جيد ووفق ما يجب، وفيما اذا كانت قد صُممت بشكل حسن، وفيما اذا كانت قد أُرسلت الى المناطق الصحيحة. ويتساءل كاتب المقالة عن مكمن الخطأ في مسعانا الضخم لادخال الديمقراطية والنمو الاجتماعي الى امريكا الوسطى.

ان كاتب تلك المقالة (دوغلاس فرح) يعرف الاجابة تماماً حينما لا يكون يكتب لصحيفة البوست على الاقل. فالولايات المتحدة قادت حرب ارهاب

تخريبية على امتداد المنطقة في محاولة للحيلولة دون الديمقراطية والنمو الاجتماعي. وهذه البلايين من الدولارات من المساعدات التي يتحدث عنها كانت بلايين دولارات أنفقت لتدمير هذه الاقطار. وهذا يفسر لماذا هذه الدول الآن اسوأ مما كانت عليه من قبل. لكن صحيفة البوست لا تستطيع قول ذلك. وليس مهما كيف ان الدليل ساحق، اذ بالامكان بسهولة تامة التغاضي عنه والمضي قدما نحو الاوهام التي هي اكثر اسعاداً لمصالح القوة وللمرء نفسه. في الصحافة ـ او فيما يسمى «الثقافة اللينة» اي خارج العلوم القاسية ـ فان ذلك من السهولة التامة القيام به. عمليات التحكم والسيطرة ضعيفة جداً. ومن السهولة الشديدة تجاهل التحليل النقدي او الانحراف عنه. في العلوم القاسية فان ذلك لن يكون صالحاً للعمل. انك تقوم بذلك ثم تترك في المؤخرة. شخص ما آخر يكتشف اشياء وانت بعيد عن العمل. قبل سنوات، تحدث (س.ب سنو) عما دعاه بثقافتي الانسانيات والعلوم القاسية. وتعرض للنقد الشديد جراء ذلك. لكن هناك شيء يتعلق بذلك. انها مختلفة الخصائص.

لذا من أجل الاجابة عن السؤال من خلال العلوم الطبيعية الاكثر نموا -على الرغم من انه لا يوجد اي شخص لديه اي اوهام عن الموضوعية ـ فان هناك نوعاً من التحكم يعكس التقييدات التي تفرضها الطبيعة. في المجالات الاخرى، يعتبر العمل، عموماً، موضوعيا ان يكن يعكس وجهات نظر اولئك الذين هم في السلطة.

د.ب: ان مفهوم الموضوعية في الصحافة يبدو انه شيء وضعي ومتحول.

ان تنظر الى عمل دراسي جاد في التاريخ الدبلوماسي، تجد ان الوضع مختلف بشكل ما. ومع ذلك، فان الخيارات، والتركيز والتبؤر والتأطير هي نفسها دائماً ايديولوجية تماما، ومن الصعوبة بمكان ان تخفق في ان تكون غير

ذلك. الناس الاكثر صدقا سوف يدركون ذلك ويجعلونه واضحاً. اما الاقل صدقا فسوف يجعلونها تبدو موضوعية.

د.ب: لكن احدى الاساطير الخرافية المركزية لوسائل الاعلام انها موضوعية ومتوازنة.

بالتأكيد. انه جزء من وظيفتها الدعائية.

انه لمن الواضح ظاهريا ان تلك الكلمات لا تعني شيئا. ما الذي نقصده بكلمة متوازن؟ ما المقياس الملائم للتوازن؟ ليس هناك من اجابة عن ذلك السؤال. اذا كانت وسائل الاعلام صادقة، سيقولون، انظر، هنا المصالح التي نمثلها وهذا هو الاطار الذي ننظر الى الاشياء من خلاله. هذه هي مجموعة معتقداتنا وملاحظاتنا. ذلك ما سيقولونه، كما يقول نقادهم. على سبيل المثال، انني لا أحاول اخفاء التزاماتي، وكذلك يجب على الواشنطن بوست، ونيويورك تايمز أن لا تفعلا كلتاهما ايضاً. برغم ذلك، يجب عليهما القيام بذلك، لان قناع التوازن والموضوعية هذا جزء حاسم من الوظيفة الدعائية.

في الواقع، فان الاعلام يذهب الى ما هو ابعد من ذلك، اذ يحاول ان يقدم نفسه على انه معاد للسلطة، وعلى انه مدمر، يحفر في المؤسسات القوية، ويقوضها. ان المهنة الاكاديمية تتظاهر بانها متوافقة مع هذه اللعبة. الق نظرة على المؤتمرات الاكاديمية حول وسائل الاعلام. لقد درست بالتفصيل احد تلك المؤتمرات والذي عقد في جامعة جورجتاون، وأشرفت عليه مجموعة الكويكر الحمائمية ذات المنحى الاكثر ليبرالية. كان المؤتمر عن تغطية وسائل الاعلام لامريكا الوسطى والشرق الاوسط. ان الطريقة التي تأطر المؤتمر فيها، هي: كانت هناك اولا سلسلة من البيانات مفتتحة المناقشة من قبل اناس قالوا ان وسائل الاعلام والصحافيين متحيزون بشكل ساحق ضد الحكومة. انها تكذب. انها تحاول تقويض الحكومة الامريكية. انهم على الصعيد العملي عملاء شيوعيون.

وبعد هذه الهجمات القاسية على وسائل الاعلام بسبب موقفها العدائي، قُدمت مجموعة اخرى من الاوراق التي قالت: انظروا، انها سيئة جداً، ونحن متفقين على ذلك، لكنها ليست سيئة بالقدر الذي تقولون. ان ذلك هو عملنا، ان نكون مخربين، وذلك ما يجب عليكم مواجهته في مجتمع ديمقراطي.

ثم تمت مناقشة هذين الموقفين.

من الواضح ان هناك موقفا ثالثاً: ان وسائل الاعلام داعمة لمصالح السلطة. فهي تشوه، وتكذب في الغالب من اجل الحفاظ على تلك المصالح. لكن ذلك الموقف ليس بالاستطاعة تفسيره. في المؤتمر الذي اتحدث عنه، فان ما نسبته مائة بالمائة من التغطية لامريكا الوسطى كانت ضمن الحدود التي وصفتها. فيما يتعلق بالشرق الاوسط ـ حيث وسائل الاعلام خيالية غريبة ـ كانت النسبة ستة وتسعين بالمائة ضمن تلك الحدود المضحكة. والسبب في ذلك انهم سمحوا ببيان لـ (إريك هواغلاند، باحث في شؤون الشرق الاوسط، وقدم بيانا دقيقا) وهو يشكل نسبة الاربعة بالمائة، والتي لم يشر اليها احد على الاطلاق مرة ثانية. تلك هي الطريقة التي تحبذ وسائل الاعلام تقديم نفسها بها، طبيعياً، وتلك هي الطريقة التي يحبذ المهني الاكاديمي ان يراها تقدم بها. ان تستطع ان تقدم وسائل الاعلام على انها عرضة للانتقاد، وخصم للسلطة، وربما انها مخربة، فان ذلك يشكل اسهاما ضخما للوظيفة الدعائية. وعند ذاك يقولون: انظروا كم نحن منتقدين للسلطة. كيف يستطيع اي شخص ان يذهب الى أبعد مما ذهبنا إليه.

د.ب: في مقالة عن حيازة صحيفة التايمز صحيفة بوسطن غلوب، قبل بضعة ايام، اشير الى ان غلوب كانت اول صحيفة في الولايات المتحدة، تقود حملة عنيفة ضد التدخل الامريكي في فيتنام. لقد كنت تقرا هذه الصحيفة على امتداد تلك الفترة. فهل ذلك الكلام دقيق؟

نعم، انه دقيق جداً. لقد نشروا اول افتتاحية داعية الى الانسحاب من فيتنام. وكان كاتبها في ذلك الوقت صديق شخصي، وتتبعت ذلك عن كثب. وقد آجروا دراسة كبيرة ليقرروا فيما اذا سيكون بالامكان نشر هذه الافتتاحية، دون ان يتعرضوا لعواقب وخيمة. وفي النهاية اتفقوا على نشرها. واتذكر ان ذلك كان في نهاية سنة ١٩٦٩، اي، بعد سنة ونصف السنة تقريبا من انقلاب الوول ستريت لتصبح ضد الحرب. واعتقد انه صحيح ايضا ان ذلك كان اول اتجاه سائد يدعو الى انسحاب القوات الامريكية. بالطبع، فانها لم تكن مؤطرة بلغة دعوة الى سحب القوات الامريكية التي كانت قد هاجمت فيتنام، ولكن على العكس، يجب علينا ان نقلع عن ذلك، ولم تكن مفهومة او معقولة. ان ذلك يخبرك بشيء ما عن وسائل الاعلام الامريكية. ما تقوله لك: انه بعد مرور سنة ونصف السنة على ما قرره مجتمع الاعال ـ من انه يجب على الحكومة ان تتخلص من المحاولة لانها كانت مؤذية للمصالح الاقتصادية للولايات المتحدة ـ بدأت الصحافة الشجاعة تقول بجبن: حسنا، ربما يجب علينا ان نفعل ما أعلنه مجتمع الاعمال قبل سنة ونصف السنة، دونما حتى التسليم بالحقيقة البسيطة: وهي انها كانت حرب عدوان امريكي، ضد فيتنام الجنوبية اولاً، ثم الهند الصينية كلها. ان بعض الحقائق النسبية من الباهظ جداً السماح بنشرها على صفحات الجرائد.

د.ب: هل ترى ان المعرفة بمثابة السلعة؟ هل هي شيء ما يُتجر به: تشرى وتباع؟ من الواضح انها تباع: شخص ما يبيع نفسه في ساحة السوق.

سأكون حذراً قليلا فيما يتعلق بالقسم المتعلق بالمعرفة. ما يُظن انه معرفة مباع. خذ (هنري كيسنجر) كمثال. انه يبيع نفسه بالتأكيد في ساحة السوق. لكن على المرء ان يكون شكوكياً جداً فيما يتعلق بحقيقة ما اذا كانت تلك معرفة ام لا. السبب هو ان ما يباع في السوق يفضي الى ان يكون رديئاً جداً.

انه يعمل. انه معرفة او ادراك مشكّل او مشوّه لخدمة مصالح السلطة. او، لنعد الى العلوم القاسية، فان معرفتها بالتأكيد مباعة. خذ الصناعة ذات التقنية العالية الامريكية، او الصناعة الدوائية. إن احدى الطرق التي يقوم من خلالها العامة بدعم قطاع الشركات هي مختبرات البحوث الجامعية، التي تقوم باعداد البحث. لكن فوائد ذلك ـ انْ ينتج عن ذلك شيء تجاري ـ تسلم الى الشركات الخاصة. انني لا اعرف اي دوائر جامعية تقوم بالتعاقد مباشرة مع الدوائر الصناعية، ولكن هناك اشياء ليست بعيدة عن ذلك.

د.ب: اتود القول ان المعلومات سلعة؟

يدلي الناس بمثل هذه الملاحظات. انني حذر قليلاً فيما يتعلق بذلك. فحينما تقول ان المعلومات سلعة، فانها بالتأكيد يمكن ان تباع، ان يتجر بها، بطرق اولية، كأن تنضم صحيفة الى الاسيوشيتدبرس، وتشتري (مقالات) او ان تذهب انت الى مكتبة وتشتري كتابا. المعلومات مباعة. ان تلك ليست نقطة عويصة. لا اعتقد.

د.ب: ماذا عن اساليب اكتساب المعرفة خارج نطاق البنى المألوفة، اي الكليات والجامعات؟

بداية، حتى داخل نطاق البنى المألوفة: الكليات، الجامعات، صحيفة نيويورك تايمز... الخ. إن تقرأ بعناية، باستطاعتك ان تتعلم الكثير. ان هذه المؤسسات كلها لديها تناقض داخلي هام: من ناحية، فانها لن تعيش اذا لم تدعم المصالح الاساسية للناس الذين يمتلكون الثروة والقوة. فان انت لا تخدم تلك المصالح، فانك لن تعيش طويلاً. لذا، فان هناك نتيجة مشتّتة ودعائية. من ناحية ثانية، فان هذه المؤسسات لديها في داخلها شيء ما يقودها نحو الكمال والصدق والوصف الدقيق للعالم، بقدر ما يستطيع المرء القيام بذلك. الى حد ما فان ذلك ينجم عن الكمال الشخصي للناس في داخل هذه المؤسسات سواء

اكانوا صحفيين او مؤرخين. لكن من ناحية ثانية، فان ذلك يعود الى انهم لن يقوموا بعملهم لصالح الجهة القوية ما لم يعطوا صورة دقيقة محتملة للواقع. لذلك، فان الصحافة المتخصصة بالاعمال، على سبيل المثال، تقوم بنشر تقارير دقيقة وجيدة تماماً، وبقية الصحف ايضاً، في حالات عديدة. والسبب في هذا ان الناس الذين هم في موقع السلطة يريدون معرفة الحقائق ان كانوا يريدون اتخاذ قرارات تتعلق برعاية مصالحهم الخاصة. ان هاتين النزعتين المتضاربتين تعنيان انه ان تسلك طريقك بينهم فباستطاعتك ان تتعلم الكثير جداً.

بالعودة الى سؤالك، يوجد خارج نطاق هذه المؤسسات كل انواع الاشياء التي يستطيع الناس القيام بها. ولنعد الى المقالة التي اشرت اليها في صحيفة الواشنطن بوست، والمتعلقة بامريكا الوسطى. ان الناس الفاعلين من أمريكا الوسطى - في بولدر أو في الكثير من الاماكن الاخرى - سوف يغرقون في الضحك حينما ينظرون في تلك المقالة. فهم يعرفون الحقائق. انهم لم يكتشفوا الحقائق من خلال قراءة صحيفة الواشنطن بوست في أغلب الاحيان، ولكنهم اكتشفوها من خلال مصادر أخرى. لقد وصلت حركات التضامن الامريكية الوسطى الى معلومات واسعة، وما تزال كذلك، من خلال الاتصالات المباشرة، ومن خلال وسائل اعلام بديلة، ومن خلال الناس الذين يرتحلون جيئة وذهوبا، اي انها كلية خارج اطار وسائل الاعلام السائدة. على سبيل المثال، فان احد الاشياء التي تذكرها هذه المقالة هو ان الولايات المتحدة أجبرت الساندينيين الماركسيين على اجراء اول انتخابات حرة عام ١٩٩٠. ان كل شخص في حركات التضامن الامريكية الوسطى، والكثير من اناس آخرين، يعلم ان ذلك هو هراء محض وانه كانت قد أجريت انتخابات حرة عام ١٩٨٤، ولذا بالتالي تم مسحها من التاريخ من قبل الولايات المتحدة. في الحقيقة، فان كاتب هذه المقالة يدرك ايضاً بالتأكيد هذا الامر. لكن إنْ يقلها في صحيفة الواشنطن بوست، فان ذلك يكون كمن يقف في الفاتيكان ويقول ان

عيسى المسيح غير موجود. انك لا تستطيع قول اشياء معينة ضمن ثقافة عقلانية استبدادية جدا مثل ثقافتنا. وبالتالي، عليه ان يقول ما يقوله، وربما حتى ما يؤمن به، على الرغم من انه من الصعوبة بمكان بالنسبة اليّ تصور ذلك. على كل انسان ان يقول ذلك، لكن الناس في الحركات الشعبية يدركون تماماً ان ذلك ليس صحيحاً ويعلمون لماذا ذلك غير صحيح، لأنهم قد وجدوا اساليب اخرى لاكتساب فهم العالم.

في حال انك سمعت ضجة كبيرة في الخلف، فان ذلك يكون احدى كومات الكتب تقع على الارض في مكتبي، كما يحدث دائماً.

د.ب: باستطاعتي ان اراك محاصراً بجبال واكداس من الصحف والكتب.

بين الفنية والاخرى تقرر هذه الكومات ان قوانين الفيزياء لن تعالج الامر فتسقط على الارض، وهو ما حدث تماماً.

د.ب: لقد قلت لصديق ان كمية المواد التي تفقدها «مرعبة» لكن يبدو لي ان كمية المواد التي تحتفظ بها مرعبة ايضاً.

ليس الامر كذلك بالنسبة لي. وعلى الاغلب اشعر بالخسائر. فبينما اراها تختفي يكون الامر مؤلما. أعرف انني اذا لم اكتب عن شيء ما خلال سنتين، فان ذلك قد يضيع وسط هذه الاكوام. المشكلة هي اننا جميعا نشعر هكذا. انك الى حد ما خارج التيار السائد، حتى ان الناس القلائل الذين يتتبعون هذه القضايا عن قرب ويكتبون عنها يدركون انهم اذا لم يتعاملوا مع شيء ما فانه يكون خارج التاريخ. على سبيل المثال، فان انتخابات نيكاراغوا هي في التاريخ، على الاقل بالنسبة الى الناس المعنيين، لان (ادوارد هيرمان) قام ببحث جيد جداً عنها. انها ليست موضع اهتمام صحيفة الواشنطن بوست. فبالنسبة اليهم، انها خارج التاريخ، لان تلك هي الاوامر من اولئك الذين هم في

الاعالي. لكن بالنسبة الى الناس الذين يريدون ان يعرفوا، باستطاعتك ان تنظر في اعمال هيرمان.

د.ب: شيء ما كنت تقوله على امتداد السنوات يلفت نظري على انه تناقضي بشكل ما. حينما تتحدث عن الارتباط بين المساعدة الامريكية وإساءة حقوق الانسان، تقول ان ذلك الارتباط «واضح». وفي الوقت نفسه تقول انه ليست هناك من طريقة لمعرفة ما يتعلق بهذه الاشياء و ان عليك ان تكون متعصبا ـ كما وصفت نفسك ـ لاكتشاف هذه الاشياء. الا يترك ذلك الناس مروعين، لا حول لهم ولا قوة.

ان أكن قلتها بتلك الطريقة فانني مضلل قليلاً. كفرد، يجب عليك ان تكون متعصبا لتكتشفها. من ناحية ثانية ان تكن جزءاً من حركة شبه منظمة، مثل حركات تضامن امريكا الوسطى، فانه لا يجب عليك ان تكون متعصبا، لان لديك وسيلة الوصول الى مصادر بديلة للمعلومات.

مرة اخرى، خذ ادوارد هيرمان؛ صديقي وزميلي، الذي قام بدراسة مكثفة عن العلاقة بين المساعدة الامريكية والتعذيب. لقد وجدها شديدة الترابط جداً. وقد نشرنا معلومات عنها في كتبنا التي كتبناها بشكل مشترك وفي مكان آخر. كما نشرها هو في كتبه التي تصف هذا بشكل تفصيلي.

لقد نشر (لارس شولتز) وهو اكاديمي بارز من امريكا اللاتينية ومتخصص بحقوق الانسان، من نورث كارولاينا، مقالة سنة ١٩٨٠ تقريبا حول المساعدة الامريكية وانتهاكات حقوق الانسان، وبشكل اساسي التعذيب، في امريكا اللاتينية. وقد اكتشف بالضبط الشيء نفسه. وكما وضعها في مقالته، فان المساعدة الامريكية تنزع الى ان تتدفق على اكثر منتهكي حقوق الانسان فظاعة في العالم. انهم على نحو دائم يتلقون اعلى المساعدات. وبيّن ايضا ان هذا الترابط لا علاقة له لابالحاجة، اي انه يتضمن معرفة عسكرية، وانه خلال فترة

رئاسة كارتر وفي عهد ادارة ريغـان اندفع من خلال القمة، ويمكنك ان تكتشف هذه الاشياء. وقد كتبت عنها. وكتب عنها هيرمان.

ان أراد فرد منعزل مثل ذلك الشخص الذي اشـرت اليه سابقاً ان يحسب هذا هراء، فان عليه ان يكون مـتعصبا. ان ذلك سيتطلب بحـثا هائلاً للوصول الى ان لا شـخص على الاطلاق تحدث عن هذه الموضـوعات. انك لن تجـدها في فهرست صحيفة نيويورك تايمز. وما ستجده هو مقالة تلو اخرى عن التزامنا العميق بحـقوق الانسان. من ناحية ثانيـة، ان تكن جزءاً من الحركات الشعـبية فان من السهولة بالنسبـة اليك الوصول الى مثل هذه المواد، ولن يتوجب عليك ان تكون متعصبا على الاطلاق. كل ما عليك فقط هو ابقاء عيونك مفتوحة.

د.بـ: من خـلال الكميات الضـخمـة من الرسـائل التي تردك، هل تجد ان وجـهـات النظر هذه المتـعلقة بالعـزلة معكوسة؟ ما مزاج الرسائل؟

بشكل ســاحق. هناك فـيلـم عنوانه Manufacturing Consent (لمارك آشبار) و (بيتر وينتونيك) تم عرضه في مـختلف أنحاء العالم، في احوال كثيرة في التلفزيون الوطني وفي مختلف انـحاء هذه البلاد ايضا، على الرغم من قلة شهرته. وردني الكثير من الرسائل، مئات، وربما آلاف. بشكل عام جداً، فان النقمة تشبـه كثيرا ما قاله الشخص الذي أشـرت اليه. وهذا ايضا يحدث إنْ انا اظهر بين الفينـة والاخرى على شاشة التلفاز في الولايات المـتحدة، في برنامج (بيل مويرز او بوزنـر/ دونايو). تلقيت رسائل كثيـرة تقول: لقد كنتُ مسـتثار الانتباه لسماع ما كنت ستقـوله. اعتقدت انني كنت الشخص الوحيد في العالم الذي كانت لديه افكار مثل هذه. اين استطيع تعلم المزيد فيما يتعلق بذلك؟ في بعض الاحـيـان انكمش حينـما تقـول الرسـائل: كـيف استطيع الانـضمـام الى حركتك؟ المغزى انني لم اوضح على الاطلاق ما كنت احاول التعبير عنه.

د.ب: انك ترفض بثبات مشاهدة الفيلم المذكور. لماذا؟

الى حد ما بسبب ان هناك ذلك الشعور، الذي بالرغم من انهم حاولوا كثيراً، فان هناك شيئا متأصلا في الوسط يشخصن ويعطي الانطباع الزائف والمضحك فعلاً، الذي يؤدي الى سؤال مثل: «كيف استطيع الانضمام الى حركتك؟».

د.ب: كم من الوقت تقضيه في الرد على الرسائل اسبوعيا؟

أكره التفكير في ذلك. ربما خمس وعشرون ساعة او نحو ذلك.

د.ب: لقد ازداد في الواقع منذ المرة الاخيرة التي تحدثت فيها اليك.

انه يتزايد ويتزايد. كنت مسافراً لمدة اسبوعين في اوروبا والشرق الاوسط لالقاء محاضرات. وحينما عدت، اعتقد انه استغرقني ما يزيد على الاسبوعين لأبقى بدون عمل آخر سوى تبديد البريد.

د.ب: هذه استجابات فردية. اعرف اناساً ينشدهون بكل ما في الكلمة من معنى حينما يسمعون منك يصعقون من كياسة اجابتك.

هذه الرسائل في أحوال كثيرة جدية للغاية وعميقة التفكير جداً. يجب القول انه فيما يتعلق بموضوع واحد، كان عليّ ان اكتب انموذج رسالة يقول: آسف، لا استطيع الاجابة.

د.ب: ماذا كان ذلك؟

خمّن.

د.ب: جون كيندي. نظريات المؤامرة؟

ذلك هو. لقد وصل الامر الى نقطة حيث لم أعد قادرا على المزيد من

الاجابة. ضمن حدود الاربع وعشرين ساعة يوميا لم اعد استطيع الاجابة عن الرسائل. وانه لمن دواعي اسفي الشديد انه كان عليّ ان اقول: آسف لا استطيع ذلك.

د.ب: هل يوحي اليك ذلك الاهتمام بنظريات المؤامرة بشيء ما عن الثقافة السياسية؟

انه يخبرك بشيء ما يتعلق بما يقوض اليسار. بالنسبة الى الناس الذين يشعرون بحاجة الى الاعتقاد بالمؤامرات، يوجد شخص يجلس هناك بانتظارهم. فقط تخيل .C.I.A وهي تقرر كيف نستطيع ان نقوض ونحطم كل هذه الحركات الشعبية؟ دعنا نرسلهم في مطاردة اوز بري مجنون، وهو الامر الذي سوف يورطهم في تحليل مصغر مفرط التفصيل، وفي مناقشة حول اشياء لا اهمية لها. ان ذلك سوف يسكتهم. ان ذلك يحدث. في حالة ان شخصاً ما يسيء الفهم، فانني لا أصدق ذلك للحظة، لكنه الشيء الذي يحدث هنا وهناك.

د.ب: من الملفت للنظر ان هنالك عناصر لما يسمى «اليسار» في هذا البلد قد اعتنقت هذا بحماس متقد.

برأيي، فان تلك ظاهرة مشابهة لهذا الاحساس بالعُنَّة والعزلة الذي أشرت اليه. إن نشعر انه من الصعب جداً التعامل مع المشكلات الواقعية، فان هناك أساليب عدة لتجنب القيام بهذا. احداها ان تذهب في مطاردة اوز بري. وهناك اسلوب آخر هو ان تنهمك في عبادات اكاديمية منفصلة تماما عن اي واقع، ويقدم ذلك دفاعا ضد التعامل مع العالم كما هو فعلا. لقد رأيت بعض الامثلة منها خلال زيارتي الى مصر قبل اسبوعين. كنت هناك لالقاء محاضرات عن قضايا دولية. هناك مجتمع فكري متحضر، مفعم بالحيوية، اناس شجعان جداً قضوا سنوات في سجون عبد الناصر يعذبون حتى الموت ويخرجون يناضلون. الآن على امتداد العالم الثالث، هناك شعور بالقنوط

واليأس الشديدين. ان الاسلوب الذي ظهر به ذلك الشعور في دوائر متعلمة جداً ذات ارتباطات اوروبية، كان سيصبح مغموراً في أواخر الحماقات الكبرى لثقافة باريس وليركز كلية على تلك. فعلى سبيل المثال، حينما اود القاء محاضرات عن الوقائع الجارية، حتى في معاهد البحوث التي تتعامل مع قضايا استراتيجية، فان المشاركين يريدونها ان تكون مترجمة الى بربرة ما بعد الحداثة. فعلى سبيل المثال، بدلاً من ان يتركوني اتحدث عن تفصيلات ما يجري في السياسة الامريكية او الشرق الاوسط حيث يعيشون ـ التي هي قذرة جداً وغير مثيرة ـ فانهم يودون معرفة كيف ان علم اللغويات يقدم انموذجاً جديداً للحديث عن القضايا الدولية، والذي يحل مكان النصوص ما بعد البنيوية. ان ذلك سوف يأسرهم في الواقع، لا ما تظهره سجلات الحكومة الاسرائيلية عن التخطيط الداخلي. ان ذلك يبعث على اليأس حقاً.

د.ب: هل كانت هذه زيارتك الاولى لمصر؟

نعم. بشكل عرضي، حينما يحدث ذلك في مصر، فانه امر محزن جداً. حينما يحدث في مختلف انحاء الغرب كما يحصل، فان ذلك ربما يكون مضحكاً او غير سار، ولكنه لن يكون امراً مدمراً.

د.ب: لقد عدتُ لتوي من امستردام، حيث اجريت بعض المقابلات والقيت بعض المحاضرات. لقد طرحت على وجه الدقة، تلك الانواع من الاسئلة المعقدة الطموحة جداً.

لقد شاهدت الامر نفسه في هولندا. تلك أساليب من خلالها يستطيع المفكرون فصل انفسهم عن الواقع وعن النضال المستمر الواقعي ويستمرون في الظهور ليكونوا اكثر يسارية منك. لا شخص راديكاليا بما فيه الكفاية بالنسبة اليهم. بالطريقة التي تحسن بها سيرتك الوظيفية، تفصل نفسك عن الاشياء التي تجري. لن يكون من الواجب عليك ان تنهمك في النشاطات الشعبية. ولا

يجب عليك ان تتعلم عن العالم. انني مبالغ. لا اريد ان اقول ان هذا الامر صحيح بالنسبة الى كل شخص، بطريقة ما، لكن هناك بعضا من عناصره. تلك هي اساليب اخرى في التأثير في حقيقة ان التعامل مع مشكلات العالم امر صعب وغير سار. وعلى وجه الخصوص ان تبدأ القيام به بفاعلية، ستكون هناك تكاليف شخصية.

د.ب: وذلك ايضاً يخلق فجوة هائلة بينها وبين ما يسمى «الشعب».

بالتأكيد. لا أحد يستطيع ان يفهم هذا الهراء. ان ذلك له أثره في ارعاب الناس، وخاصة الشباب الذين يأتون الى الكليات فينظرون الى هذا ويقولون: يا الهي، من اجل ان أكون راديكاليا فانه سيكون من الواجب عليّ فهم كل هذه الكلمات العشرة، انه لامر ميؤوس منه. انني افضل ان اقوم بشيء آخر.

د.ب: ما الذي تعلمته عن الحركة الاسلامية في مصر؟

لا أريد ان أبالغ. ولم أمكث هناك فترة كافية لأتعلم الكثير. لكن يجب عليّ القول انني التقيت هناك بمجموعة واسعة جداً من الناس، اناس عرفتهم، واولئك الذين تمت التوصية بهم لدي، وغالبية هؤلاء الذين عرفتهم وكانوا يفكرون بجدية من خلال مشاكل مصر والمنطقة، هم المفكرون الذين ارتبطوا بالحركة الاسلامية. الذين التقيتهم كانوا نوعاً من الجناح غير الديني لتلك الحركات. لم أقابل رجال دين، لكن هؤلاء هم الناس الذين يعتبرون انفسهم، ويعتبرون كذلك، معارضين وجزءاً من الحركة الاسلامية. هؤلاء بصراحة لهم ارتباطات راسخة الجذور. انهم انفسهم يصفون الحركة بأنها منقسمة بين الفئات الأكثر تقدما، والفئة «المتشددة» أي الاصولية العميقة الحقيقية، التي تقول: علينا العودة الى الشريعة. لكنهم هم انفسهم يفكرون في التطور المحلي والاقليمي والمشاكل المحلية بأساليب ليست على الاطلاق غير واقعية. اضافة الى هذا،

فان هذه الحركات في الواقع تقوم بأشياء. انها تقدم الرعاية الصحية، وتشرف على برامج انعاش، وتحاول معالجة مشاكل الناس. وهم على الأغلب فريدون في ذلك المجال. وكل شخص يوافق على ذلك، حتى الناس الذين يكرهونهم.

د.ب: ما هو المحرك الذي يدفع ويسيّر هذه الحركة في مصر؟

فقط تجوّل في القاهرة وباستطاعتك رؤية المحرك. كانت هناك فترة من القومية العلمانية والتي كان جمال عبدالناصر زعيمها. لقد أخفقت او تحطمت، الى حد ما من تلقاء نفسها، ومن الخارج ايضا. لقد انتهج انور السادات سنة ١٩٨٠ سياسة تترجم على انها «انفتاح»، تعديل بنيوي، وسياسات ليبرالية حديثة. كانت هناك الآثار المعتادة، المرئية في كل انحاء العالم، الممكن التنبؤ بها في الوقت الراهن. لقد زادت هذه الآثار بشكل حاد جداً الانقسام في المجتمع: بين الثروة الضخمة والامتيازات، والمعاناة والبؤس الضخمين. الناس يعانون ويرون الى جانبهم مباشرة ثروة وامتيازات ضخمة. ما الذي يحدث في ظل تلك الظروف؟ يتجه الناس الى شيء آخر. انه امر يحدث على امتداد المنطقة.

د.ب: الا يحدث ذلك فعلاً على امتداد العالم في حين ان هناك افقاراً عالمياً؟

هذه النزعات آخذة بالاستمرار على امتداد العالم. والدول الغربية الغنية تفرض هذه السياسات الليبرالية الحديثة -كما تسمى- على العالم الثالث. لديها الكثير من القوة. ان أزمة الديون ـ على سبيل المثال ـ تستخدم كسلاح فاعل جداً لمحاولة اجبار معظم دول العالم الثالث على الدخول في هذه البرامج المميتة. ان الدول الغنية نفسها لا تقبل هذه السياسات، ولا تقبل سياسات السوق الحر لانفسها. انها تدميرية جداً. ومع ذلك، وفي الوقت الذي يصبح الاقتصاد فيه اكثر شمولية، اكثر عولمة، نجد هناك نتيجة اوتوماتيكية لاعادة ميول العالم الثالث الى الدول الغنية نفسها. انه ليس امرا شديد الغموض. ان اصحاب

رؤوس الاموال الامريكيين باستطاعتهم ان يكونوا اغنياء جداً، لكن العمالة الامريكية سوف يكون عليها ان تتنافس مع الناس في دول العالم الثالث.

د ب: كانت هناك صورة في الصحيفة قبل اسبوعين لحفل تخريج في جامعة كولورادو. وقد رفع احد الخريجين لافتة كتب عليها «سنعمل من اجل الغذاء».

انك ترى ذلك خارج مراكز تسوق الاغنياء بالقرب من حيث أقيم. ان الدول الغنية لم ولن تقبل على الاطلاق المباديء الليبرالية الحديثة، مباديء السوق الحر، التي تفرضها على الفقراء. ان عواقب فرض هذه المباديء على الفقراء تتمثل في ان انموذج العالم الثالث هذا اخذ ينز عائدا الى الدول الغنية نفسها. انه ملفت للنظر جداً في الولايات المتحدة، وتستطيع رؤيته في اوروبا، وعلى وجه الخصوص في انكلترا، ويمكنك ان تبدأ برؤيته على مستوى القارة. وليس هناك من سر يتعلق بذلك. ان الصحافة المتخصصة بقطاع الاعمال -بزنس ويك، فاينشال تايمز، الخ...- صريحة جداً حينما تقول ان العمال الامريكيين، وعلى نحو خاص العمال الاوروبيين، سوف يضطرون للتخلي عن البرامج الاجتماعية «المترفة». وسيكون عليهم التوقف عن ان يكونوا «مدللين» وان يوافقوا على الحراك العمالي، اي فقدان أمنهم، لان باستطاعة الشركات الانتقال الى اوروبا الشرقية. ففي بولندا يمكنهم الحصول على العمالة المدربة بنسبة اجور تبلغ عشرة بالمائة من اجور العمال الاوروبيين الغربيين «المدللين». لا إعانات مالية، وحكومة قمعية الى ابعد الحدود، تحطّم الاضرابات. وقد نشرت مؤخراً مقالة في صحيفة فاينشال تايمز ذات عنوان مثير للدهشة «براعم خضراء في بقايا الشيوعية» ويعني ان الشيوعية حطام، لكن هناك بعض البراعم الخضراء، بضع اشياء جيدة. الشيء الجيد كان انه حال فرضت الاصلاحات الرأسمالية في اوروبا الشرقية، فان الافقار والبطالة تبعتا ذلك، حيث انخفضت الاجور، وجعلت بالامكان بالنسبة الى الشركات الغربية

التحرك الى هناك وجني ارباح طائلة. تلك هي «البراعم الخضراء».

د.ب: هناك بالطبع زيادة ضخمة في البطالة في دول اوروبا الغربية. وذلك له محتوى اجتماعي متاصل في الهجمات المتعددة ضد الجاليات المهاجرة.

ان البطالة وفقدان الامل يقودان الى الانهيار الاجتماعي. ونحن اكثر تقدما في ذلك المجال. هناك نوع من الانهيار في البنية الاجتماعية في التجمعات المدنية الامريكية المثيرة لدهشة غالبية العالم. خذ القاهرة. فالقاهرة مدينة فقيرة جداً، الى أقصى الحدود، ولا يوجد لها مثيل هنا. وبرغم ذلك، هناك شعور بالحياة المشتركة غير موجود لدينا. انك تشعر بحركة سير عبر الشوارع فيها أمان اكثر من هنا. انك لا تتعثر بالناس المشردين بلا مأوى. الناس معتنى بهم بطريقة ما. والامر نفسه في نيكاراغوا او في عدة من دول العالم الثالث التي لم يلحقها الانهيار كلية. اننا نبدأ الآن بأخذ صفات العالم الثالث، ولكن في ظل ظروف الانهيار الاجتماعي. ذلك امر خطير جداً. وهذا يفسر لماذا يمكنك ان ترى اناساً يبتهجون حينما يكسب احد ما قضية امام محكمة في (باتون روج لويزيانا) بعد ان يقضي على شخص ما (يوشيهيرو هاتوري) تجرأ على اجتياز مرجته. ان ذلك ارعب غالبية العالم. انهم لا يستطيعون فهم ذلك.

د.ب: كتابك الاخير الصادر صباح اليوم بعنوان Howard Zinn Likes to add that Caveat هو رسائل من ليكسنغتون. هل لديك مخطط لمزيد من الكتب؟

لقد وعدت ان اكتب المحاضرات التي القيتها في القاهرة عن القضايا الدولية والشرق الاوسط، وسوف ينشر ذلك من قبل مطابع الجامعة الامريكية في القاهرة.

د.ب: هل فصل الصيف وقت جيد بالنسبة اليك من اجل العمل، حينما تكون بعيداً عن المقابلات، والمكالمات الهاتفية، والصفوف الدراسية؟

كما تعلم، فانني اغلق الهاتف. ذلك هو الوقت الوحيد تقريباً الذي استطيع فيه محاولة القيام بأي شيء.

د.ب: في اواخر هذا العام سوف تبلغ الخامسة والستين.

انك لا تؤمن بتلك الدعاية، أليس كذلك؟

د.ب: هل فكرت فيما يتعلق بابطاء، تخفيض برنامجك باية حال؟

هناك اشياء كثيرة ضخمة أود ان اقوم بها. ليس هناك الكثير من الوقت.

د.ب: اتعرف تلك النكتة التي رواها (مايك البرت) حينما سافر الى بولندا قبل بضع سنوات، حينما وجد اناساً كانوا يعتقدون ان هناك شخصين اسم كل منهما (نعوم تشومسكي) احدهما يعمل في مجال اللغويات، والآخر في المجال السياسي؟

الى حد ما، لأن الاسم لا يبدو غريبا بالنسبة اليهم هناك.

د.ب: لقد وقع انفجار خطير في بلدة تسمى تومسك في روسيا الوسطى. فهل اسم تلك البلدة مرتبط باي حال بتشومسكي؟

يمكن ان يكون ذلك. لا احد في الواقع يعرف الاتيمولوجيا. لعلنا اخبرني رومان جاكوبسون - لغوي وباحث سلافي كبير - انه مقتنع ان الاصل كان ثوماس، وتومسك محرّفة عنها.

د.ب: هل افرام هو فعلاً اسم التنصير خاصتك؟

انه هو، لكن والديّ لم يستخدماه على الاطلاق، لذلك فانني استخدم الاسم الاوسط. وهو في الغالب اسمي الاول القانوني في الوقت الراهن. اسمع هذه القصة لأريك الايام الخالية الجيدة للجنسوية الحقيقية. كان عليّ ذات مرة ان أحصل على نسخة من شهادة ميلادي، واكتشفت ان الكاتب الذي لم يكن يؤمن باسمي قد شطبه، وكتب بقلم فوقه «افران ناعومي». حسنا. لماذا أفران؟ لان الفتيات مسموح لهن بان يحملن اسماء مجنونة، لا الصبيان.

د.ب: لنعد قليلاً الى الوراء، فقد سافرت مؤخراً الى ايرلندا الشمالية. ما الذي وجدته هناك فيما يتعلق بالظروف الاقتصادية والوضع السياسي؟

قضيت وقتي اما في بلفاست الغربية ـ التي هي بشكل اساسي منطقة كاثوليكية ومضطهدة جدا ـ او في الاجزاء الجنوبية لشمالي ايرلندا، ضمن ما يسمى «بلد قاطع الطريق» حيث يستطيع الجنود البريطانيون ان يتجولوا فقط بقوة ضخمة تماماً، وحيث كانت هناك الكثير من الفظائع والبشاعات. تحدثت مع نشطاء في مجال حقوق الانسان. كنت في مركز حقوق الانسان اتحدث الى (جيري آدامز) والى مجموعة من الناس. البلاد تحت احتلال عسكري. وليس هناك من سر يتعلق بذلك. هناك ناقلات جند مدرعة تجوب الشوارع، وحصار مسلح في منتصف مركز بلفاست، الخ. هناك الكثير من حوادث القتل على ايدي اشباه العسكريين من كلا الطرفين. هناك نقاش علني يتعلق فيما اذا كانت القوات البريطانية مرتبطة بالموالين، شبه العسكريين البروتستانتيين الرئيسين، ومدى ذلك الارتباط؛ وربما هناك بعض الارتباط، لكن لا احد يعرف كم هو مداه. في المجتمع الكاثوليكي، فان الاستماع الى القصص كان يشبه كثيرا جداً التجول في انحاء الضفة الغربية قبل سنتين، النوع نفسه من الاذلال والضرب والتعذيب. ليس هناك الكثير من الطرق لتضع حذاءك على عنق شخص ما، انها دائما نفسها.

د.ب: انها ترجع صدى الخلافات الدينية للعصور الوسطى في اوروبا.

ان البريطانيين ـ بالعودة الى منتصف القرن السابع عشر ـ قاموا بحملة تطهير عرقية حقيقية. لقد طردت غالبية السكان الاصليين، من ما يسمى الآن اولستر، الى ايرلندا الوسطى.

د.ب: هل كان هناك استعمار استيطاني؟

نعم. فقد أحضروا مستوطنين اسكتلنديين وبريطانيين آخرين ليحلوا مكانهم. وأخذوا معظم الارض الخصبة. مرتحلا عبر ساوث آرماغ بالقرب من الحدود، قضيت بعض الوقت مع مجموعة الحقوق المدنية المحلية التي انشئت بعد مقتل العديد من الشبان على يد الجنود البريطانيين، والذين يمثلون الآن امام المحكمة، بعد مرور سنوات على ذلك. أخذني مزارع، كان ابنه قد قتل، في جولة وأراني ماذا كانت الاشياء تشبه. انهم يربون الماشية، ولكنهم يستطيعون تربية صغار الماشية فقط، لان الارض غير خصبة وغير ملائمة لنمو عشب جيد يكفي لتربية ماشية كبيرة. لذا، فانهم يربون العجول ويرسلونها الى امكنة اخرى. ان كل آكر مستصلح كلية. عليك بداية انتزاع الصخور كلها، ونقلها الى مكان آخر، ومن ثم تسوية الارض. تلك هي المناطق التي اقتيد الايرلنديون اليها – الى التلال الصخرية – على يد البريطانيين الذين طهروا المناطق الخصبة، وجلبوا اليها مستوطنيهم. كان ذلك قبل قرنين من الزمان.

د.ب: هل ترى اي حل لمشكلة ايرلندا الشمالية؟

هناك نزعات متناقضة في اوروبا. هناك نزعة نحو المركزية في الهيئة التنفيذية للاتحاد الاوروبي، والتي هي في الغالب معزولة كلية عن الضغط العام، وهناك نزعة معاكسة نحو الاقلمة. لذلك، فان المناطق الاقليمية، سواء كاتالونيا، بلاد الباسك، وولز، او ايا كان، اخذت تنهمك اكثر واكثر في

تطوير اصالتهـا الثقافية، وأشكال من الاستـقلال، وأساليب من الحكم الذاتي. في سياق هذه الأقلمة والأيـلولة، فانه ليس مستحيلاً ان تنحـل الجزر البريطانية السابقـة الى نوع من النظام الفيدرالي، ربما كـجزء من فيدراليـة اوروبية اوسع. انهـا ستشمل درجـة من الاستقـلال في عدد مـن المناطق: سكوتلاند، وولز، انكلترا، ايرلندا الشـمالية، الجـمهورية، وفي ذلك السـياق اعتـقد انه يمكنك ان تتصور حلاً. ولا أرى اكثر من ذلك. خلال عامين، سوف يصبح أهالي ايرلندا الشمالية كاثوليكيين وبروتستانتيين مناصفة، وفقا للاسقاطات الديمغرافية.

د.ب: يجب عليّ ان اخـبرك، بالعـودة الى مـسـتـوى البـريد الذي تتسلمه، انني قبل بضعة سنوات كتبت لك رسالة، وكان ذلك اول اتصال لي معك. وقـد اجـبت عن الرسـالة. وادى ذلك الى المراسلة. ثم بدانا نجـري مقابلات. باستطاعتي الادلاء بشهادة وتقديم افادة عن الفعـالية الضخمة لمساعيك. افكر في ان اتحدث لمجموعة من الناس الذين يقدرون عاليا ما تقوم به. ان ذلك سيوجد فروقاً.

أنه لأمر متبادل. انني اقدر عالياً جداً ما يفعله آلاف الناس في كل مكان، الامر الذي يوجد فرقا كبيراً. ان نشاطات العديد، العديد من الناس في مختلف انحاء البلاد والعالم قد اوجدت فرقا ضخماً على امتداد الثلاثين سنة المنصرمة.

د.ب: انه آخذ بالازدياد، ان الناس يريدون رؤية تغييرات دراماتيكية، لكن الثقافة والسياسة تتغيران ببطء اشد.

انهما كذلك، لكن بشكل مختلف كثيرا عما كانتا عليه. ففي ظل ظروف تشبه ظروف سنوات الستينات، كـان الواجب عليك ان تنتظر حتى خريف عام ١٩٦٩ لتقـوم اول صحيفـة بالاقتراح ـ بشكل جبـان ـ انه يجب علينا ان نوقف العدوان في فيتنام.

د.ب: شكراً لك، واتمنى لك صيفا ملؤه الراحة. كيف حال قدمك؟

جيدة. انه مجرد كسر في العظم.

الجريمة والسيطرة على السلاح

٦ كانون الاول ١٩٩٣

د.ب: ادرك انني لم اوقظك، لانه من المعروف تماماً انك تبقى تعمل طوال الليل، تحتسي مقادير، ومقادير كثيرة من القهوة.

لهذا أبدو مترنحاً جداً.

د.ب: اريد ان اتحدث اليك عن قضيتين: محلية وسياسية خارجية، ثم ناخذ مكالمات من مستمعينا. يمكنك ان تتحدث كثيراً عن مجتمع حينما تنظر الى جهازه العدلي. كنت اتساءل فيما اذا كنت تود التعليق على قانون الجريمة الذي اقترحه كلينتون،والذي بموجبه ستقوم بعض الولايات باستئجار ١٠٠٠٠٠ شرطي اضافي، بناء معسكرات توقيف للاحداث، وانفاق المزيد من الاموال على السجون، وتوسيع عقوبة الموت لتشمل نحو خمسين جريمة جديدة، وجعل عضوية العصابة جريمة فيدرالية - وهو امر مثير - مع الاخذ بعين الاعتبار ان هناك شيئاً ما يتعلق بحرية المشاركة في قانون الحقوق.

احدى عواقب التطورات على امتداد العشرين او الثلاثين سنة الماضية كان الزيادة الجديرة بالاعتبار في عدم المساواة. وقد تصاعدت هذه النزعة خلال سنوات حكم ريغان. كان المجتمع يتحرك بشكل مرئي نحو نوع من انموذج العالم الثالث، الذي عليه ان يتعامل مع الانواع كلها للاشياء التي تحدث في الاقتصاد الدولي، بالاضافة الى السياسة الاجتماعية شديدة الوضوح. ان قطاعات ضخمة من المجتمع آخذة لتصبح زيادة غير ضرورية من اجل خلق الثروة، التي تعتبر القيمة الانسانية الوحيدة. ونتيجة هذا، زيادة في معدل

الجريمـة، بالاضافـة الى علامـات اخرى من اللاتكامل الاجـتمـاعي. ان الناس قلقون جـدا لأن المجتمع يصبح الآن مـحفوفـاً بالمخاطر. غالبيـة الجرائم هي ان الناس الفقراء يهاجمون بعضهم بعضا. لكنها تسفك قطاعات اخرى أكثر ثراء. ذات امتيازات. وكنتيـجة لذلك، فان هناك حجماً كبيراً من الخـوف فيما يتعلق بالجريمة.

ان مدخـلاً بناء الى المشكلة يتطلب التعـامل مع مسببـاتهـا الاصلية، لاننا يجب ان نستمـر مع السياسة الاجـتماعية الـهادفة الى تقوية دولة الرفاه بـالنسبة الى الاغنيـاء. ولذلـك، ليـست هناك اسـتجـابة بناءة. ان الـنوع الوحـيـد من الاستجابة الذي باستطاعـة الحكومة اللجوء اليه في ظل هذه الظروف هو ارضاء الشهوات لهذه المخاوف مع زيادة الخشونة والهـجمات ضد الحريات والتحركات المدنيـة للسيطرة على السكان الذيـن لا ترجى منهم فائدة. وبشكل أسـاسي من خلال القوة.

د.ب: ما وجهة نظرك فيما يتعلق بعقوبة الاعدام؟

انها جريمة. وأوافق منظمة العفو الدولية على ذلك، وغالبية دول العالم. يجب ان لا يكون للدولة الحق في أخذ حياة الناس.

د.ب: هناك خـلاف حـول السيطرة على السـلاح. فـالمؤيدون لحرية الوصول الى السلاح يستشهدون بالتعديل الثاني. هل تعتقد ان التعديل الثاني يسمح بحيازة غير مقيدة وغير مضبوطة للسلاح؟

ما تسمح القـوانين به وما لا تسمح به قضـية ليس لها اجابة مـباشرة. ان القوانين تسـمح بما يفسـره فحوى الازمـنة على انه مسمـوح به. لكن ان يشكل الخلاف على مـوضوع الاسلحـة الاولوية، فان ذلك قضـية جـدية. حرفيـاً فإن التعديل الثـاني لا يسمح للناس بتملك الاسلحة. لكن القوانين لا تؤخـذ حرفيا

على الاطلاق، بما في ذلك التعديلات على الدستور او الحقوق الدستورية.

وجود الخلاف شيء يجب ان لا يهمل. هناك شعور في البلاد ان الناس عرضة للهجوم. واعتقد انهم مخطئون في تحديد مصدر الهجوم، لكنهم يشعرون انهم عرضة للهجوم. عقود من الحملات الدعائية المكثفة من قطاع الأعمال صُممت لجعلهم يرون الحكومة عدواً لهم، الحكومة التي هي بنية السلطة الوحيدة في النظام المسؤول الى حد ما امام المواطنين ـ لذا فمن الطبيعي انك تريد ان تجعلها العدو ـ لا نظام الشركات المتحدة، الذي هو كلية غير مسؤول. بعد عقود من الحملات الدعائية، يشعر الناس ان الحكومة نوع من العدو وانه يجب عليهم الدفاع عن أنفسهم أمامها. والعديد من هؤلاء الذين يدافعون عن اقتناء السلاح يتركون ذلك في مؤخرة عقولهم. لن أومن بذلك ان لم اكن قد سمعته لمرات عديدة. تلك استجابة مجنونة على مشكلة واقعية.

د.ب: ما الدور الذي تلعبه وسائل الاعلام في تشجيع هذه المواقف؟

على أعمق مستوى، من خلال المساهمة بهذه الفكرة العامة بابعاد الحكومة من وراء ظهورنا. انها ليست تلك الفكرة التي لا تملك مسوغاتها، ايضا الحكومة فاشستية، وبنية عدائية للكثير من المواطنين، لكنها مسؤولة الى حد ما.

ان وسائل الاعلام تضلل بشكل ضخم من خلال الاسهام بالايحاء ان الحكومة هي العدو، من خلال ازاحة القوة الحقيقية عن الساحة، قامعة مصادر القوة الحقيقية في المجتمع، التي تكمن في المؤسسات الديكتاتورية - وهي في الوقت الحاضر عالمية من حيث الحجم - والتي تسيطر على الاقتصاد وعلى الكثير من الحياة الاجتماعية، وتضع ظروفا تعمل الحكومة من خلالها وتسيطر

عليـها الى مـدى بعيـد. وهذا يحدث في بعض الاوقـات بطرق مضـحكة وفي احيان اخرى بطرق اعمق.

ان الناس ليس لديهـم وعي بنظام السلطة الذي يعـانون فـعـلا في ظله. وكنتيجـة، كما هو مرسوم، فـانهم يتحولون ضد الحكومـة. الناس يخشون من ان يرهقوا بالضرائب. وبمعايير مقارنة فانهم بعكس ذلك. حينما يتحدث الناس عن خطة صحـية مستنـدة على الضريبة ـ اي لا تستـطيع الوصول الى الفقـير، مـثلما هو مـقصـود لخطة كلينتـون ان تفعله ـ تجـد اجابة ارتكاسـية: مـزيد من البيـروقراطيين مـستـدقي الرؤوس يسرقـون اموالنا ويديرون حـياتنا. من ناحـية اخرى، فان دفع ضرائب اعلى الى شـركات تأمين اكثر بيروقراطية وقمـعية غير مسؤولة كلية، هو امر مقبول لانه لا يفترض فيك ان ترى ذلك.

بالعودة الى السيطرة على السلاح، فالناس لديهم كل انواع الحوافز، لكن هناك على وجه التـحديد قطاع من المواطنين يعتبـرون انفسهم مهـددين من قبل قوى كبرى، تتراوح بين الاحتياط الفـيدرالي الى مجلس العلاقات الخارجية الى حكومة كبيرة. . . الخ.

د.ب: لا ادري الى اي مدى تشـاهد شبكات الاخبـار المحلية او الوطنيـة، لكن كـانت هناك نزعـة يمكن ادراكـها على امتـداد السنوات الماضيـة القليلة. ان نفوذ الاخبـار المحلية التي تتـعـامل بشكل رئيسي مع الجـرائم، والاغـتـصـاب، والاخـتـطاف، اخـذ الآن في الانتـشـار في الاخبار المحلية.

ذلك صحيح. لكن ذلك دائما هو الظاهرة السطحية. لماذا هناك زيادة في جرائم العنف؟ هل ذلك مرتبط بحـقيقة انه كان هناك انخفـاض كبير في الدخل لدى الغـالبيـة الكبـرى من المواطنين وفي فرص العـمل البناء؟ هل ذلك مـرتبط

باتفاقية النافتا NAFTA، على سبيل المثال، والظاهرة الرئيسة للنافتا التي هي نفسها عَرَض؟ بالتأكيد انها كذلك. ولكن الى ان تسأل لماذا هناك زيادة في اللاتكامل الاجتماعي، وما لهذا من علاقة بالسياسات التي توجه الموارد نحو القطاعات الثرية وصاحبة الامتيازات وبعيدا عن المواطنين العامين، الى ان تسأل تلك الاسئلة، فانه ليس باستطاعتك ان يكون لديك حتى ولو فكرة عن سبب ازدياد الجريمة او كيف يجب عليك التعامل معها.

د.ب: هناك تراصف اريد ان اطرحه عليك الآن. يكتب (انطوني لويس) من خلال عمود مؤيد جداً للنافتا، في صحيفة نيويورك تايمز، قبل التصويت، ان التصويت ضد اتفاقية النافتا يعني «نهاية نحو خمسين سنة من الرخاء العالمي المتزايد. منذ الحرب العالمية الثانية عرف العالم النمو الاستثنائي. والمحرك لذلك النمو كان التجارة الدولية. التجارة المتزايدة باتساع في عصر يمتاز بسرعة كبيرة في مجال النقل، والاتصالات». ويقول (خوان دي دياس بارا) رئيس رابطة امريكا اللاتينية لحقوق الانسان في اجتماع عقد في كيتو في الاكوادور: «في امريكا اللاتينية اليوم ما يزيد على ٧ ملايين جائع، و ٣٠ مليون امي و ١٠ ملايين عائلة دونما منزل، و ٤٠ مليون شخص عاطل عن العمل، وكلها زيادة عما كانت عليه قبل عشرين سنة. هناك ٢٤٠ مليون كائن بشري في امريكا اللاتينية يعيشون بدون ضروريات الحياة، ويحدث هذا في الوقت الذي توصف فيه البلاد بانها اغنى واكثر استقراراً من قبل على الاطلاق، وفقا للطريقة التي يراها العالم». كيف توفق بين وجهات النظر تلك؟

انها تعتمد على قضية من هم الناس الذي نشعر بالقلق اتجاههم. لقد اجرى البنك الدولي دراسة على امريكا اللاتينية قبل شهرين تقريبا. وحذر فيها من ان امريكا اللاتينية كانت تواجه حالة من اللاتكون (الاختلاط والتشوش)

وانه حتى الاشياء التي يشعرون بقلق اتجاهها ستكون عرضة للخطر، بسبب عدم المساواة المرتفع بشكل استثنائي ـ الذي هو اعلى نسبة عدم مساواة في العالم ـ وان ذلك يحدث بعد فترة من معدلات نمو كبيرة. على سبيل المثال، خذ البرازيل، التي هي بلد غني جداً ذو موارد ضخمة. كان يمكن أن يكون واحداً من اغنى البلدان في العالم لو لم يكن فيه ذلك النظام الاجتماعي والاقتصادي. انه يقف الى جانب البانيا والباراغواي في معايير نوعية الحياة، وفيات الاطفال، . . . الخ.

من ناحية ثانية، فان البرازيل تتمع بواحد من اعلى معدلات النمو في العالم. كانت تدار بشكل كامل من قبل التكنوقراط الامريكيين لمدة خمسين عاما تقريبا. ان اللامساواة التي يصفها البنك الدولي ليست شيئا هبط من السماء. كان هناك نضال على امتداد طريق نمو امريكا اللاتينية الذي يعود الى منتصف سنوات الاربعينات، حينما كان يتم تصنيع النظام العالمي الجديد لتلك الفترة. وثائق وزارة الخارجية المتعلقة بهذا الامر مهمة تماماً. فقد قالت ان امريكا اللاتينية كانت مكتسحة بما كانوا يسمونه «فلسفة القومية الجديدة» التي تدعو الى زيادة الانتاج من اجل الاحتياجات المحلية وتخفيض عدم المساواة. وكان مبدؤها الرئيسي ان مواطني البلاد يجب ان يكونوا «المستفيد الاول من نمو موارد البلاد». تلك هي فلسفة القومية الجديدة، كما وصفتها وزارة الخارجية.

كانت الولايات المتحدة معارضة بشدة لذلك. ونشرت ميثاقا اقتصاديا دعا الى التخلص من القومية الاقتصادية بكل اشكالها، والاصرار على ان نمو امريكا اللاتينية يجب ان يكون «متمماً» للنمو الامريكي، اي اننا سنمتلك الصناعة والتكنولوجيا المتقدمة، وسينتج العمال الكادحون الذين لا ارض لهم في امريكا اللاتينية المحاصيل التصديرية، ويقوموا ببعض العمليات البسيطة التي يستطيعون ادارتها، ولكنهم لن ينموا بالطريقة التي نمونا بها.

ان الولايات المتحدة، اكتسبت، وأعطيت توزيع السلطة. في بلدان مثل البرازيل تمت الغلبة للولايات المتحدة. فقد كانت واحدة من «ارضيات الاختبار للاساليب العلمية فيما يتعلق بتنمية الانموذج الرأسمالي الامريكي». وهكذا كان، وهكذا تحصل على النتائج التي تصفها. صحيح، كما يقول لويس، انه كان هناك نمو كبير جداً. وفي الوقت نفسه، هناك فقر وبؤس لا يصدقان، وقد ازدادا على امتداد الثلاثين سنة الماضية. كانت هناك زيادة حادة في عدم المساواة. فقد انخفض النمو كثيرا خلال السنوات العشر الاخيرة، ولكن كان هناك نمو. الامر الاكثر دراماتيكية كان انسلاخ القطاع الاعلى من السكان عن البقية. لذا، إن تقارن نسبة الدخل العالمي التي تمسكها الأغنى عشرين بالمائة والأدنى عشرين بالمائة، تجد ان الفجوة قد ازدادت بشكل دراماتيكي. وهذا صحيح ان انت تأخذ بعين الاعتبار البلدان، التي هي غامضة قليلاً، لكن مع اخذ اعلى نسبة عشرين بالمائة من الدول ونسبة العشرين الادنى من الدول، فان الفجوة قد تضاعفت تقريبا. خذ العشرين العليا ونسبة العشرين الدنيا من المواطنين، فستجد ان الفجوة قد تزايدت اكثر بكثير وبشكل اكثر حدة. تلك هي نتائج نوع سعين من النمو. ما يدعوه لويس «تجارة» هو مصطلح مألوف، لكنه مضلل قليلاً. وفي الواقع، هو مضلل بشكل جوهري، للاسباب التي كنا قد بحثناها. ان تنقل شركة فورد موتور شيئا من مصنع تجميعي في المكسيك الى مصنع تجميعي في الولايات المتحدة، فان ذلك يسمى تجارة. لكن ذلك ليس تجارة باي معنى جدي. وفي الحقيقة، فان السياسات المدارة مركزيا ضمن هذه البنى الديكتاتورية تفسر ٤٠٪ تقريبا من المبادلات البينية التي تدعى «تجارة». ان هذه السياسات في أحوال كثيرة تشتمل على خروقات راديكالية لمباديء السوق التي لا ينظر اليها بعين الاعتبار من قبل الغات والنافتا لانهما ليستا مصممتين لتوسيع نظام السوق وانما لتوسيع قوة الشركات التي تريد الاستفادة من هذا النوع من تشويه السوق.

د.ب: لذا فانك ترى اتجاه معدلات النمو وزيادة الفقر مستمراً بشكل متزامن.

في الواقع، ان معدلات النمو آخذة في الانخفاض كثيرا. وعلى مدار العشرين سنة الماضية، كان النمو يعادل تقريبا نصف ما كان عليه في العشرين سنة التي سبقت ذلك. واحد العوامل التي لها علاقة بهذا هو النمو الهائل في رأس المال المضارب غير المنظم. لقد تصاعد ذلك النمو بسرعة منذ ان عمل نيكسون على تفكيك نظام بريتون وودز نحو سنة ١٩٧٠. وفي الوقت الراهن، فان رأس المال غير المنظم يقدر بـ ١٤ تريليون دولار حسب مصادر البنك الدولي، وبنحو تريليون دولار، لذلك الذي ينتقل هنا وهناك يوميا. وهو أمر يخلق ضغوطات للسياسات الانكماشية.

هذا ما يريده رأس المال ذاك. انه يريد نموا منخفضاً، وتضخما منخفضا. ان المقادير الضخمة لرأس المال، التي تغمر الولايات الوطنية، تجعل من الصعوبة بمكان تنفيذ برامج تحفيزية. في المجتمعات الاكثر فقرا، فان الامر ميؤوس منه. وحتى في المجتمعات الاكثر غنى، سيكون الامر صعبا جدا. ما حدث مع صفقة كلينتون التافهةكان مؤشراً جيداً. فقد عادلت ١٩ بليون دولار، وتم رفضها على الفور. ان رأس المال المالي، الذي يشكل الآن جزءاً كبيراً من رأس المال المتوافر عالمياً، له أثر مضاد للنمو. انه يقود غالبية العالم الى توازن ذي اجور منخفضة ونمو منخفض. والارقام فعلاً مثيرة للدهشة. ويقدر (جون ايتوويل) أحد المتخصصين البازين في مجال المال في جامعة كامبردج، انه في عام ١٩٧٠ كانت ما نسبته تسعين بالمائة من رأس المال العالمي تستخدم في التجارة والاستثمار طويل المدى، وعشرة بالمائة في المضاربة في البورصة. وقد انقلبت هذه الارقام سنة ١٩٩٠: تسعون بالمائة للمضاربة في البورصة. ايضاً، فان الكمية قد نمت بشكل هائل، ونتائج ذلك ـ كما يشير ـ هي ما قد قلتُه.

د.ب: ان Boulder Daily Camera جزء من سلسلة صحف Knight - Ridder . في طبعة الامس اداروا صندوقاً مع اسئلة واجوبة: «ما الغات؟» و «ما جولة الاوروغواي للغات؟» هنا الجزء الذي اردت ان اسالك عنه. في السؤال : «من الذي سيستفيد من اتفاقية الغات»؟ فان الجواب المعطى هو المستهلكون سيكونون الرابحين الكبار. هل يتوافق ذلك مع فهمك للغات؟

ان تعني بـ «المستهلكين» اولئك الاغنياء، نعم. فالمستهلكون الاغنياء سيكسبون. الناس الذين فقدوا اعمالهم، على سبيل المثال ـ وذلك صحيح في كل من الدول الغنية والفقيرة ـ من الواضح انهم لن يكونوا مستهلكين على نحو افضل. انظر الى اتفاقية NAFTA حيث أجريت التحليلات، بل انها ظهرت في الصحف بعد التصويت. قبل ذلك، كانت هناك حقنة ضخمة عن كم هو التصويت مهم، وعمود لويس الذي اشرت اليه حالة وثيقة الصلة بالموضوع. هل تذكر تاريخ تلك المقالة؟

د.ب: كان ٥ تشرين الثاني.

قبل التصويت. ذلك هو نوع الهراء الذي كان يظهر قبل التصويت. وقد لاحظت اختلافا ملفتا للنظر تماماً في اليوم التالي للتصويت. فبعد التصويت مباشرة، بدأت صحيفة نيويورك تايمز وصحف اخرى، وللمرة الاولى، مناقشة عواقب NAFTA. كان ذلك ممتعاً، ولم يكن مفاجأة، ولكنه يظهر ما عرفوه منذ البداية. في اليوم الذي تلى التصويت نشرت صحيفة نيويورك تايمز اول مقالة لها عن الاثر المتوقع من NAFTA في منطقة نيويورك. وينطبق هذا على GATT ايضاً.

كانت مقالة متفائلة جداً. تحدثوا عن كيف سيكون الامر رائعاً. قالوا

سيكون هناك تحسن كبير في الموارد المالية والخدمات، على نحو خاص. سيكونون الرابحين الكبار، البنوك، شركات الاستثمار، شركات العلاقات العامة، شركات القانون المتحدة، كلها سوف تعمل بشكل رائع. قالوا ان بعض المصنعين سيستفيدون، اي: صناعة النشر والصناعة الكيمائية، ذات الكثافة الراسمالية العالمية، وليس الكثير من العمال، وايضا الصناعة الدوائية، المستفيدون الكبار من عناصر الحمائية المعززة المعنية «بالملكية الفكرية». جميعهم سيعملون بشكل ممتاز، وسيكون الامر رائعا تماماً.

ثم قالوا: حسنا، سيكون هناك بعض الخاسرين ايضا. الخاسرون سيكونون من النساء، ذوات الاصول الاسبانية، والاقليات الاخرى، والعمال نصف المهرة، الذين يشكلون ربما سبعين بالمائة او اكثر من قوة العمل. سيكونون الخاسرين، لكن اي شخص آخر سيعمل بشكل رائع. بكلمات اخرى، وعلى وجه الدقة كما عرف ذلك اي شخص كان يعير الانتباه، فان هدف NAFTA كان تقسيم المجتمع اكثر من ذلك. ستكون هناك فوائد لقطاع اصغر - انه بلد غني، ولذلك فان القطاع الصغير ليس ضئيلاً - يتكون من الناس ذوي الامتيازات العليا: المستثمرون، المهنيون، الطبقات الادارية، وغير ذلك، الطبقات ذات العلاقة بالاعمال التجارية. سيكون الامر رائعاً بالنسبة اليهم، وعموم المواطنين سوف يعانون.

النبوءة فيما يتعلق بالمكسيك هي نفسها الى حد بعيد جداً. فقد قدرت المجلة المالية البارزة في المكسيك، المؤيدة جدا لـ NAFTA ان المكسيك سوف تخسر نحو خمساً وعشرين بالمائة من قدرتها التصنيعية في السنوات القليلة الاولى، ونحو خمسين بالمائة من قوتها العاملة الصناعية. بالاضافة الى ذلك، فان الصادرات الصناعية الامريكية الرخيصة من المتوقع لها ان تعمل على طرد المزيد من الناس من الارض. وهذا سيعني زيادة جوهرية في قوة العمل غير

العاملة في المكسيك، الامر الذي سيؤدي، بالطبع، الى خفض الاجور. لاحظ انه على الرغم من ان الشركات المتحدة تستطيع العمل على الصعيد العالمي، فان النقابات لا تستطيع ذلك. وهكذا، ورغم ان النقابات تستطيع العمل في ولايات مختلفة في الولايات المتحدة، الا انها لا تستطيع عبور الحدود، الامر الذي يعني انه ما من سبيل امام قوة العمل كي تحارب ضد عولمة الانتاج.

ان الاثر النهائي المتوقع حدوثه هو انهيار في ثروة ودخل الغالبية من مواطني المكسيك والغالبية من مواطني الولايات المتحدة، في حين سيكون هناك على وجه الدقة ذلك النمو والزيادة في الاستهلاك الذي تتحدث صحيفة بولدر عنه، الزيادة في الدخل الذي يتحدث لويس عنه. وهذان امران مستمران كلية. ان بلداً مثل البرازيل هو افضل مثال، ومثال دراماتيكي جداً، بسبب ثروتها الضخمة، وبسبب حقيقة أننا كنا نديرها لمدة خمسين سنة. انها انموذج جيد جداً للنظر فيه.

معدلات نمو عالية جداً، ورخاء هائل، والكثير من الاستهلاك في قطاع ضيق جداً من المواطنين. وعلاوة على ذلك كله، فان نوعية الحياة هي بمستوى البانيا والباراغواي.

د.ب: تشيلي بلد اخر أعلن عنه مؤخراً في عدد من المقالات على انه يعكس معدل النمو الانموذج.

كانت هناك يوم أمس قصتان مضحكتان فعلاً. فقد نشرت صحيفة نيويورك تايمز قصة عن الانتخابات في تشيلي وعن كيفية ان لا أحد كان يعيرها الكثير من الاهتمام. العنوان الرئيس كان شيئاً ما يتعلق بالرضى التشيلي عن النظام السياسي. لقد تحدثت عن كيف ان كل واحد مرتاح جداً وسعيد جداً لدرجة ان لا أحد يعير الكثير من الاهتمام للانتخابات.

اما صحيفة فايننشال تايمز اللندنية ـ راديكالية بقسوة ـ فقد نشرت قصة عن الانتخابات كانت مناقضة تماماً، واوردت بعض البيانات، وبعض استطلاعات الرأي العام، التي اظهرت ان خمسة وسبعين بالمائة من المواطنين غير مرتاحين جداً، وكانت كلمتهم «ساخطون» فيما يتعلق بالنظام السياسي، الذي لا يسمح بحرية الاختيار. قالوا ان هناك فعلاً لا مبالاة فيما يتعلق بالانتخابات، لكن ذلك انعكاس لتفكك البنية الاجتماعية لتشيلي التي كانت مجتمعا ديمقراطيا مفعما بالحيوية، نابضا بالنشاط حتى بداية سنوات السبعينات ثم لم يعد مسيسا بشكلٍ جوهري خلال حكم الرعب الفاشستي.

الناس يعملون بمفردهم، والاتحادات قد تفككت. الناس يحاولون ان يصونوا انفسهم. الاقتصاد ليس سيئاً، لكنه يرتكز على الاغلب على الصادرات الرئيسة: الفواكه، النحاس، وغير ذلك. انه سريع التأثر امام الاسواق العالمية.

لكن الامر الحاسم هو التفكك الدراماتيكي للعلاقات الاجتماعية وللبنية الاجتماعية ـ وهو الامر الملفت للنظر جداً في تشيلي ـ لانها كانت مجتمعاً نابضاً جداً بالنشاط ومفعما بالحيوية لسنوات عديدة، عديدة. التراجع نحو الفردية والمكاسب الشخصية هو اساس اللامبالاة. وقد كتب (ناثانيال ناش) قصة تشيلي لصحيفة التايمز. كان فيها قسم، او عنوان فرعي هو «ذكريات مؤلمة». قال ان الكثيرين من التشيليين يحتفظون بذكريات مؤلمة عن خطابات (سلفادور الليندي النارية) التي أدت الى الانقلاب الذي قتل فيه آلاف المواطنين. لاحظ انهم لا يحتفظون بذكريات مؤلمة عن التعذيب، والرعب الفاشستي، فقط عن خطابات الليندي كمرشح شعبي. تلك هي الاساليب التي من خلالها يُخلق العالم من جديد من اجل تثقيفنا.

د.ب: هذه نسخة الساعة السابعة صباحاً من Alternative Radio ونحن نتحدث مع البروفيسور نعوم تشومسكي. ان كنتَ تود

الاشتراك في هذا الحديث، اتصل بنا. ثمة امر كنت تتحدث عنه وهو غموض فكرة الامة والدولة. لقد بحثتها مؤخراً في مقالة نشرت في مجلة (Z) وقد صُدمت بمقالة شهر تشرين الثاني ذات الخمسة عشرة صفحة في صحيفة نيويورك تايمز. العنوان الرئيسي: «الامة تدرس وسائل للتصرف بالبلوتونيوم. البدائل غير جذابة». يُقال لنا انه ليس هناك «حلول سريعة او سهلة لمشكلة لن تنتهي». اذن، فالأمة تدرس كيفية التصرف بما كان خَلّفاً لراس المال الخاص، البلوتونيوم.

تلك هي الفكرة المألوفة من حيث ان الفائدة يجب ان تخصخص في حين ان الكلفة يجب ان تعمم. لذا، وبطريقة ما، فان من الصواب القول ان التكاليف هي التكاليف بالنسبة الى الامة، المواطنين. لكن الفوائد لم تكن لصالح المواطنين، وليسوا هم الذين يتخذون القرارات لانتاج بلوتونيوم. في المقام الاول، ليسوا هم الذين يتخذون القرارات المتعلقة بكيفية التصرف به. وليسوا هم الذين يقررون او لا يقررون ما يجب ان يكون سياسة طاقة معقولة، والتي هي ليست قضية بسيطة. هناك مسائل رئيسة تتعلق بسياسة الطاقة يجب ان تكون في بداية الاجندة الاجتماعية، والسياسية في الوقت الراهن، الاشياء المرتبطة بدرجة الحرارة الكونية.

دعني أعطك مثالاً. هناك دراسة اجريت في مجلة Science قبل نحو شهر تستعرض الدراسات الحديثة المتعلقة بالدفء العالمي. ان الاحتمالات التي كانت تؤخذ بعين الاعتبار على انها معقولة تمثلت في انه اذا تحققت اهداف سنة ٢٠٠٠ حول انبعاث ثاني اكسيد الكربون، والتي على الارجح انها كذلك، فعندئذ وخلال قرنين، بحلول سنة ٢٣٠٠، سترتفع درجة حرارة العالم بنحو عشر درجات مئوية الامر الذي يعني ارتفاعاً في مستوى البحر، والذي من المحتمل ان يؤدي الى طمس حجم كبير من الحضارة الانسانية القائمة حالياً.

بالطبع، فان هذا لا يعني ان النتائج تحدث في ثلاثمائة سنة. انها تبدأ بالحدوث في القريب العاجل.

ربما تكون اسوأ، وربما تكون افضل. لكن احتمالات كتلك لن تواجه من قبل اي شخص سليم العقل، رابط الجأش. ليس هناك من شيء يتم القيام به فيما يتعلق بذلك على الاطلاق. وتقول الدراسة نفسها انه من اجل تجنب هذا فانه سيكون من الضروري القيام بتغييرات راديكالية تماما من نوع لم يتم التفكير فيه من قبل. ذلك هو ما يجب ان يكون موضوع قصص الصفحة الاولى وما يجب ان يكون بؤرة اهتمام وانتباه العامة. ان قضية التصرف بالبلوتونيوم لها علاقة كبيرة بانتاج الاسلحة. لكن هناك قضايا خطيرة جدا فيما يتعلق بالقوة النووية التي لا يمكن التصرف بها.

مكالمة واردة:

مستمع: لقد اسستَ مجموعة اتباع مؤيدين بكل معنى الكلمة. انني متخوف من امكانية الوصول الى نقطة التشبع من اليأس فقط بسبب ادراك ثقل الحقيقة التي تنقلها. اود ان اضغط عليك لتبدا عملية تخصيص، ربما عشرة او خمسة عشر بالمائة من ظهورك، او كتبك، او مقالاتك، من اجل اشياء تفصيلية حقيقية يمكن للناس ان يقوموا بها في محاولة لتغيير العالم الذي يعيشون فيه، حتى ولو انها بدت عديمة الجدوى من وقت لآخر. لقد سمعت ذات مرة شخصاً يقول: «ماذا باستطاعتي ان افعل؟ انني اعيش تماما بنفسي في لافاييت، كولورادو، او في بلدة صغيرة اخرى، وانت تقول في اجابتك: نَظِّم. فقط قم بذلك».

وجهة نظرك صحيحة تماماً. والناس يقولون لي ذلك منذ فترة طويلة

وسأقدم لك مثالاً يعود الى نحو عشر سنوات مضت. فقد طلبت مني South End Press ان اكتب كتابا عنوانه Turning the Tide وقد نشر عام ١٩٨٥. كان معظم الكتاب يدور حول ما كنت تنتقده تماماً، والى حد بعيد. لكن كان هناك فصل في النهاية، عنوانه Turning the Tide: What Can You Do About It? انني أحاول ابقاء السؤال في ذاكرتي والتفكير فيه، لكنني خائف من ان الاجابة دائما نفسها. انه ذلك الشخص في لافاييت. هناك طريق واحد فقط للتعامل مع هذه الامور. ان تكن وحيدا، فانك لا تستطيع القيام باي شيء. كل ما تستطيع القيام به هو ان تستنكر الموقف. ان تشترك مع اناس آخرين باستطاعتهم ان يكونوا اي شيء من سلسلة كاملة من الامكانات، من مواطنين عاديين الى مجموعة نشطاء محلية الى مجموعة تضامن، وهناك ملايين من الاشياء المعتمدة على اين تريد ان تركز جهودك، إنْ تشترك مع اناس آخرين، باستطاعتك ان تحدث تغييرات.

مستمع: ماذا يحدث في اسيا، وعلى نحو خاص فيما يتعلق بالاقتصاديات النامية في جنوب شرق اسيا، الصين، وهلم جرا. ما الذي تراه بشان المستقبل فيما يتعلق بمتطلبات البيئة على صعيد العمل السياسي في تلك البلدان اقتصاديا؟ هل ستكون مثالاً اخر للاستغلال الراسمالي، ام ان البيئة ستتطلب مثل ذلك حتى انه باستطاعتنا ان نتوقع رؤية بعض انواع التغيير في ادراكهم؟

ان بلداناً مثل تايلاند او الصين تلوح وكأنها على وشك الوقوع في كوارث بيئية. هذه بلدان حيث النمو فيها يُزَوَّد بوقود استثمارات متعددة الجنسيات، ومصالح مستثمرين، وبالنسبة اليهم فان البيئة هي ما يسمى «مظاهر خارجية». انك لا تعيرها اي اهتمام. لذا، فان تقم بتدمير الغابات في تايلاند، فان الامر يكون مقبولاً طالما انك تجني ارباحاً قصيرة المدى منها. في

الصين ـ بسبب حجمها فقط ـ فان الكوارث التي تقع لا يمكن اعتبارها استثنائية. والامر نفسه صحيح في مختلف انحاء جنوب شرقي آسيا.

لكن المسالة تبقى انه حينما تصل الضغوطات البيئية الى حد ان بقاء الناس يصبح معرضاً للخطر، هل ترى اي تغيير في الافعال؟

لا ما لم يقاوم الناس ذلك. ان تترك السلطة بأيدي المستثمرين المتخطين للحدود القومية، فان الناس سيموتون.

د.ب: كان كل من (ايلين برنارد) و (طوني مازوتشي) في دنفر يوم ٣ كانون الاول. كانا يتحدثان عن امكانية ايجاد حزب جديد يستند الى العمال. ما وجهة نظرك فيما يتعلق بذلك.

اعتقد ان ذلك مبادرة هامة. من المثير اننا في هذه الايام نشبه الى حد ما الحالة التي وُصِفَتْ تشيلي بها في الفاينننشال تايمز، لا في نيويورك تايمز. البلاد آخذة في ان تصبح غير مسيّسة وسلبية جداً. ان نصف السكان تقريبا يعتقدون ان الحزبين السياسيين كليهما يجب ان ينحلا. هناك حاجة حقيقية لشيء ما من شأنه ان يبين بوضوح اهتمامات تلك الاغلبية الساحقة من المواطنين التي تترك خارج عملية التخطيط الاجتماعي والسياسي، اولئك، على سبيل المثال، الذين سليحقهم الضرر من NAFTA، اغلبية ضخمة تماما كما تستطيع التايمز ان ترى. ان نقابات العمال كانت قوة هامة من اجل الدمقرطة والتقدم، والقوة الاجتماعية الرئيسة، ليس على الدوام، ولكن في احوال كثيرة. من ناحية اخرى، حينما لا تكون هذه النقابات مرتبطة بالنظام السياسي من خلال حزب مستند الى العمال، فان هناك قيداً على ما تستطيع القيام به. خذ الرعاية الصحية.

ان النقابات القوية في الولايات المتحدة كانت قادرة على الحصول على تدابير رعاية صحية معقولة لها. على سبيل المثال، كان العاملون في صناعة

السيارات قادرين على الحصول على تدابير جيدة لانفسهم. لكن نظرا لانهم كانوا يعملون بشكل منفصل عن النظام السياسي، فانهم لم يحاولوا او ينجحوا في احداث ظروف صحية مقبولة للمواطنين.

وبالمقارنة مع كندا، حيث مارست النقابات ايضا ضغوطا من اجل توفير الرعاية الصحية - ولكن ليس من اجل العاملين في الصناعة فقط، وانما ايضا من اجل المواطنين - ولكون النقابات مرتبطة باحزاب ذات قاعدة عمالية، فانها (النقابات) كانت قادرة على تنفيذ رعاية صحية من اجل المواطنين. ذلك مثل ايضاحي لنوع الفارق الذي تستطيع حركة شعبية موجهة سياسيا، مثل العمال، انجازه. اننا لسنا بعيدين عن اليوم الذي يكون فيه العمال الصناعيون هم الاغلبية، او حتى صميم القوة العاملة. لكن القضايا نفسها تنشأ. اعتقد ان ايلين برنارد وطوني مازوتشي هما على المسار الصحيح من حيث التفكير في مؤازرة تلك الخطوط.

> **في عمود انتوني لويس نفسه الذي اشرت اليه انفاً، كتب: «النقابات في هذه البلاد ـ وحزين للقول ذلك ـ تبدو اكثر واكثر شبها بالنقابات البريطانية... متخلفة... غير متنورة. ان التكتيكات غير الناضجة التي استخدمت من قبل النقابات لجعل الاعضاء الديمقراطيين في البرلمان يصوتون ضد NAFTA تؤكد هذه النقطة».**

ان ذلك يظهر وعود لويس الحقيقية واضحة جداً. ما وصفه بانه تكتيكات غير ناضجة وغير ديمقراطية، والتي هوجمت بعنف من قبل الرئيس والصحافة، كانت محاولة عمالية لتمكين ممثليهم (العمال) من تمثيل مصالحهم. وفق مقياس النخبة، فان ذلك هجوم على الديمقراطية، لان النظام السياسي يفترض فيه ان يدار من قبل الاغنياء والاقوياء. لذلك، على سبيل المثال، فان عمليات الضغط التي مارستها الشركات المتحدة - وقد فاقت على نحو واضح عمليات الضغط

العمالية ـ لم تعتبر قوة خام او مضادة للديمقراطية. فهل كتب لويس عموداً يشجب عمليات الضغط التي قامت بها الشركات من اجل NAFTA؟

لم ار ذلك.

وانا ايضا لم أر ذلك. لقد وصل هذا الى أوج هستيريا كاملة قبل التصويت. في اليوم الذي سبق التصويت، كانت الافتتاحية الرئيسة لصحيفة نيويورك تايمز تسير تماماً بموازاة الخطوط التي اقتبستَها من لويس، واشتملت على كادر صغير يتضمن دزينة او نحو ذلك من ممثلي منطقة نيويورك الذين كانوا يصوتون ضد النافتا. وأوردت قائمة بتبرعاتهم من العمال، وقالت: ان هذا يثير مسائل مشؤومة تتعلق بالنفوذ السياسي للعمال وفيما اذا هم صادقون، . . . الخ.

وكما أشار عدد من هؤلاء الممثلين فيما بعد، فان صحيفة التايمز لم تنشر كادراً يتضمن قائمة باسماء تبرعات الشركات اليهم او الى الآخرين، ويمكننا ان نضيف انها وضعت كادراً تضمن قائمة باسماء المعلنين في نيويورك تايمز ومواقفهم اتجاه NAFTA. انك لا تستطيع الاعتراض على لويس وعلى التايمز. فهما ببساطة يفترضان مبدأ مفاده ان الاغنياء والاقوياء يمتلكون حق ليّ اذرع مشرّعيهم وان يملوا عليهم ما يجب عليهم ان يفعلوا لان ذلك هو الديمقراطية. الديمقراطية هي نظام حيث فيه الاغنياء والاقوياء واصحاب الامتيازات يتخذون قرارات تتفق ومصالحهم، واذا حاولت الغالبية العامة الضغط من اجل مصالحها، فان ذلك يكون قوة غير ناضجة، ولا ديمقراطية، وعلامات شؤم.

كان من الملفت للنظر تماما مراقبة الهستيريا التي استفحلت في القطاعات صاحبة الامتيازات، مثل المعلقين وكتاب الافتتاحيات في صحيفة نيويوك تايمز حينما اقترب التصويت على NAFTA. بل انهم سمحوا لانفسهم استخدام

عبارة «الخطوط الطبقية» التي نادراً ما تستخدم في دوائر النخبة. انه من غير المسموح لك التسليم بانه يوجد في الولايات المتحدة اصطفافات طبقية. لكن هذا اعتبر قضية جدية فعلا، وان كل الحواجز قد أسقطت. لذلك تجد اعمدة من ذلك النوع الذي كتبه لويس ووصفته، مع المؤشر الحقيقي لكراهية الديمقراطية في جوهره. ان الافتراض الضمني هو: اذا حاول المواطنون العمال الضغط من اجل مصالحهم في ميدان التنافس السياسي، فان ذلك عمل غير ديمقراطي. لكن ان تفعل الشركات المتحدة ذلك بمعدل اكبر وأضخم، فانه امر رائع.

مستمع: في احيان كثيرة كنت اتساءل عن الناس الذين يمتلكون القوة من خلال مصادرهم المالية والاقتصادية الواسعة. هل هم فعلا مضاربون كما تقول؟ هل بالامكان استمالتهم من خلال المنطق والعقلانية.

انهم يتصرفون بمنتهى المنطقية والعقلانية بالنسبة إلى مصالحهم. دعنا نكون دقيقين فيما يتعلق بذلك. خذ المدير التنفيذي الرئيسي لشركة Aetna Life Insurance. انه احد الرجال الذين سيشرفون على برنامج الرعاية الصحية الخاص بنا، ويحصل على ٢٣ مليون دولار سنويا كراتب بسيط جداً. هل تستطيع الوصول اليه واقناعه بان عليه ان يضغط ضد ان تشرف صناعة التأمين على برنامج الرعاية الصحية، لان ذلك سوف يكون مؤذيا جداً للمواطنين؟ لنفترض انك استطعت. لنفترض انك استطعت الجلوس معه واقناعه، وقلت له: انظر، يجب عليك ان تتخلى عن مرتبك وكن شخصاً من الطبقة العاملة. ان صناعة التأمين يجب ان لا تدير هذا المشروع وسوف تكون بغيضة وغير ذلك. لنفترض انه وافق. فما الذي يحدث حينئذ؟ عندها سوف يلقى به الى الخارج، وسيأتي شخص آخر مكانه. تلك أمور مؤسسية.

مستمع: خذها على المستوى الفردي، الشخصي، فقد تسلمت إشعاراً في بيان الخدمة العامة الخاص بي، جاء فيه انهم يطالبون بزيادة المعدل. انني اعمل، وانا فعلا ليس لدي الوقت كي اجلس واكتب رسالة احتجاج. ان هذا يحدث طوال الوقت، وليس فقط معي. انه يحدث مع غالبية الناس الذين يجب عليهم ان يعملوا. ليس لديهم وقت كي يكونوا فاعلين سياسيا لتغيير شيء ما. لذلك فان ارتفاعات المعدل تلك تؤدى دون ان يقوم اي شخص حتى بالاشارة فعلا الى ما يحدث. ان احد الاشياء التي طالما فكرت فيها، واعرف انه ربما يكون غير ديمقراطي، هو لماذا لا يكون هناك تحديد على مقدار الفائدة التي يستطيع اي شخص ان يجنيها، اي شركة، اي مشروع؟

أعتقد ان ذلك امر ديمقراطي للغاية. في الواقع، لا يوجد شيء في المبدأ الديمقراطي يقول ان القوة والثروة يجب ان تكون مركزة الى درجة عالية، والا فان تلك الديمقراطية تصبح امرا زائفاً. لكن النقطة التي أثرتها صحيحة تماماً. اذا كنت انسانا عاملا فانه لن يكون لديك الوقت، لتضطلع وحدك بإدارة الشركة. ذلك بالضبط ما يتعلق بالتنظيم. وذلك بالضبط ما وجدت النقابات من اجله. ذلك بالضبط ما وجدت الاحزاب السياسية ـ من ذلك النوع الذي كان دافيد يشير اليه من قبل، الاعتماد على الطبقة العاملة ـ من اجله. لذلك، اذا كان مثل هذا الحزب موجوداً ـ النوع الذي يقترحه برنارد و مازوتشي ـ فانه سيكون الحزب الذي يتكلم من أجلك، والذي سيقول الحقيقة بشأن ما يجري فيما يتعلق بارتفاع المعدل. وعندها سوف يتعرض للشجب من قبل صحيفة نيويورك تايمز لكونه غير ديمقراطي، ولانه يمثل مصالح الجماهير اكثر من تمثيله مصالح القوة.

منذ اغتيال كيندي هناك فلسفة بيروقراطية تقول بان دوائر

الاعمال ودوائر النخبة تسيطر على ما يسمى بديمقراطيتنا. هل تغير ذلك الامر مع مجيء ادارة كلينتون؟

بداية، لم يتغير مع ادارة كيندي. لقد كانت قضية كيندي الى حد بعيد جداً ان كيندي نفسه كان مؤيداً جداً لمجتمع الاعمال. كان اساساً مرشح مجتمع الاعمال. ولم يتغير شيء مع الاغتيال. ان اغتيال كيندي لم يكن له اثر هام على السياسة حتى ان اي شخص كان قادراً على اكتشاف ذلك.

كان هناك تغيير في مطلع سنوات السبعينات، ولكن في عهد نيكسون. كان لذلك علاقة بالتغيرات الحاصلة في الاقتصاد العالمي، ذلك النوع الذي تحدثت عنه سابقا. ان كلينتون هو ما يقوله بالضبط من انه مرشح موال لمجتمع الاعمال. وقد نشرت صحيفة وول ستريت جورنال مقالة كبيرة متحمسة جداً على الصفحة الاولى عنه بعد التصويت على NAFTA مباشرة. لقد أشارت الى ان الجمهوريين نزعوا الى ان يكونوا حزب مجتمع الاعمال لفترة؛ لكن الديمقراطيين كانوا اكثر من ذلك بقليل. فقد نزعوا الى ان يكونوا حزب مجتمع الاعمال الكبير مع اهتمام اقل بمجتمع الاعمال الصغير. قالوا ان كلينتون انموذجي فيما يتعلق بهذا. وقد استشهدوا بالمدراء التنفيذيين لشركة فورد موتور ومدراء شركات صناعة الفولاذ وغيرهم حين قالوا ان هذه هي افضل ادارة عرفوها. لقد القوا نظرة عجلى على انجازاته، وباستطاعتك رؤية ذلك.

في اليوم الذي تلى تصويت البرلمان، نشرت صحيفة نيويرك تايمز على صفحتها الاولى مقالة موحية جداً، ومؤيدة لكلينتون، كتبها مراسلها في واشنطن (ر. آبل). كان الناس ينتقدون كلينتون لانه لم يكن لديه اي مباديء. لقد تنازل عن مطالبه في البوسنة، والصومال، وعن محفزاته الاقتصادية، وعن مطالبه في هايتي، وعن البرنامج الصحي. كان مستعدا للتخلي عن كل

الاشياء. لقد بدا هذا الرجل وكأن ليس لديه اي نقطة جوهرية على الاطلاق. ثم أثبت انه كان فعلا رجل مبدأ وان لديه فعلا عزيمة، وأسكت المتقصين منه، وأعني من خلال المحاربة من اجل NAFTA. لذا فان لديه مباديء، اعني، انه يصغي الى نداء الثروة العظيم. لقد اعتقدوا ان ذلك كان امرا رائعاً. والامر نفسه كان صحيحاً بالنسبة الى كيندي.

هل هناك اي من التكتلات المتحدة الكبرى له تاثيره المفيد؟

ليس ذلك هو السؤال الصواب الذي يُسال. ان الكثير مما قامت به الشركات المتحدة ستكون له، مصادفة، آثار مفيدة بالنسبة الى المواطنين. والامر نفسه صحيح بالنسبة الى الحكومة او اي شيء آخر. لكن ما الذي يحاولون انجازه؟ انهم لا يحاولون تحقيق حياة افضل للعمال والشركات التي يعملون فيها، كما يفعل اناس كلينتون. ان ما يحاولون انجازه هو الارباح واقتسام السوق. وهذا ليس سراً كبيراً. هذا هو النوع من الاشياء الذي يجب على الناس ان يتعلموه في المرحلة الثالثة. في نظام مجتمع الاعمال، يحاول الناس زيادة الحد الاعلى من الفائدة، القوة، اقتسام السوق، وفرض السيطرة على الدولة. بالمصادفة، فان ذلك في بعض الاحيان سيساعد اناساً آخرين. انه امر عرضي تماماً.

مستمع: اود ان اسال السيد تشومسكي عن الدعم الامريكي ليلتسين في اتجاهه ضد الديمقراطية في روسيا، وعما اذا كان هذا البلد لديه اهتمام راسخ في الاستمرار بدعم تجارة المخدرات في العالم؟

فيما يتعلق بيلتسين فانه امر واضح المعالم جداً. كان يلتسين الجلف رئيس الحزب الشيوعي الاوتوقراطي في سفيردلوسك. وقد ملأ ادارته بمأجوري الحزب القدامى الذين اداروا المنطقة في ظل النظام السوفييتي القديم. ان الغرب

يحبه كثيرا. فمن ناحيـة، هو جلف عديم الرحمة، واتوقراطي. من ناحية ثانية فانه سوف ينطلق بسـرعة من خلال ما يسمى بـ «الاصلاحات» ـ كـلمة لطيفة ـ بالسيـاسات المصممة لاعـادة الاتحادة السوفيـيتي السابق الى حالة العـالم الثالث التي كان قـد عاشـها لمدة خـمسمـائة سنة قبل الشـورة البلشفـية. كـانت الحرب الباردة تدور الى حد كبير حول قضـية ان هذه المنطقة الضخمة من العالم يجب ان تصبح مرة اخرى كما كانت عليـه سابقاً، تقدم الموارد، والاسواق، والعمالة الرخيـصة، وتخدم الغرب. يلتـسين يقود القطيع في هذا المجال. وبالتـالي فانه ديمقراطي. ذلك مـعيار. ذلك مـا ندعوه بالديمقراطي فـي اي مكان في العالـم، حيث الشخص الذي يتبع أجندة مجتمع الاعمال الغربي.

فيما يتعلق بتجارة المخدرات، فان الامر معقد. لا أريد ان اكون مختصرا جدا فيما يتعلق بذلك. حينـما تقول: هل تدعم الحكومة تجارة المخدرات، فان الجواب بالطبع، لا. ومع ذلك، حـتى هنا، توجد تعقيدات. فـانت لا تستطيع الحديث عن الماريجوانا والكوكائين في اللحظة نفسـها. ان الماريجوانا ليست لها تلك الآثار المميـتة كما هو الامر عليـه بالنسبة الى الكوكائين. وباسـتطاعتك ان تخوض نقاشا حول ما اذا كانت امرا جـيدا او سيئاً. ولكن من بين ستين مليون مستعمل تقريبا، لا اعتقد انه توجد هناك حالة معروفة من الافراط في تناولها. ان تجريم الماريجوانا لـه اهداف وبواعث ابعد من العلاقة بالمخـدرات. من ناحية ثانية، فـان المخدرات القوية ـ التي انقـاد الناس اليها الى مدى مـعين من خلال الحظر مقـابل المخدرات الخفـيفة ـ هي شـديدة الاذى، على الرغم من ان عدد الوفيـات في اي مكان لا يقترب من مـسترى وفـيات مدمني التبغ والكحول. وهنا نوع العـقـدة. هناك قطاعـات من المجـتمع الامـريكي تسـتـفيـد من تجـارة المخدرات القوية مثل البنوك العالمية الكبيرة التي تقوم بعمليات غسل الاموال او الشركـات الكيميـائية المتحدة التـي تقدم الكيماويـات من اجل الانتاج الصناعي

للمخدرات القوية. من ناحية ثانية، فان الناس الذين يقطنون في المدن الداخلية عرضة للدمار بسببها. لذلك، هناك مصالح مختلفة.

مستمع: هاك امران. الاول، مجرد تعليق، وهو يتعلق بقضية السيطرة على السلاح هذه. اعتقد ان الولايات المتحدة، في الواقع، اخذة لتصبح مثل بلد في العالم الثالث، وليس هناك من شيء سيوقفها. اعتقد ان المواطنين ربما كانوا اقل تبصرا في مناقشة قضية السيطرة على السلاح، وفي الوقت نفسه يدركون ان الحكومة التي لديهم ليست لطيفة على وجه الدقة. الامر الآخر هو انني اعتقد ان الكثير من هذا الهراء يرتبط بالعمل الذي قام به الحزب الثوري الاجتماعي في مطلع ١٩١٤ في محاولة لفهم دورات مجتمع الاعمال. لقد اشار (كوندراتييف) الى ان هناك دورة من الرخاء تحدث كل ستين سنة في الولايات المتحدة وفي العالم. ان ذلك مرتبط عكسيا بمعدلات الفائدة الحقيقية. ان معدلات الفائدة الحقيقية بدات في الارتفاع في الولايات المتحدة في شهر تشرين الاول عام ١٩٧٩. وهي اخذة في الارتفاع منذ ذلك الحين. وذلك الامر يفسر القصة كلها.

معدلات الفائدة مهمة. وهناك دليل ما على دورة كوندراتييف لكنني في الواقع لا اعتقد ان تلك هي القضايا الكبيرة. وبرغم ذلك، فيما يتعلق بالنقطة الاولى التي أثرتها، فانها توضح على وجه الدقة ما أعتقد انه مغالطة خطيرة. لقد أشرتَ الى ان الحكومة أبعد ما تكون عن انها لطيفة. وهذا صحيح. من ناحية ثانية، فان الحكومة على الاقل مسؤولة جزئياً، ويمكنها ان تصبح لطيفة بقدر ما نجعلها كذلك.

إن ما هو غير لطيف ومؤذ للغاية هو ما لم تشر اليه، وأعني قوة مجتمع الاعمال، المركز لدرجة عالية، والذي هو في الوقت الحاضر قوة متخطية

الحدود القومية على نحو ضخم في قطاعي الانتاج والتمويل. انه بعيد جداً عن اللطف. علاوة على ذلك، فانه غير مسؤول كلية. انه نظام استبدادي. وله أثر هائل في حياتنا وايضا في قضية لماذا الحكومة ليست لطيفة.

فيما يتعلق بكون الاسلحة هي الوسيلة للرد على ذلك، فان ذلك امر همجي صراحة. صحيح ان الناس يفكرون في ذلك. انهم يعتقدون انه اذا امتلكنا الاسلحة فاننا نستطيع ان نجعل الحكومة اكثر لطفا. ان يمتلك الناس السلاح، فان الحكومة تمتلك الدبابات. وان يمتلك الناس الدبابات فالحكومة تمتلك الاسلحة الذرية. ليس هناك من وسيلة للتعامل مع هذه القضايا بقوة العنف، حتى وان كنت تعتقد ان ذلك مشروع اخلاقيا. ان وجود السلاح بأيدي المواطنين الامريكيين لن يجعل البلاد اكثر لطفا، بل انه سيجعلها اكثر وحشية، وتدميرية، وعدم رحمة. لذلك، ما دام المرء يستطيع ادراك الباعث الذي يقف وراء معارضة السيطرة على السلاح، فانني اعتقد انه امر مضلل على نحو يبعث على الحزن.

د.ب: في عرض لكتاب Chronicles of Dissent قمناه به، اقترح الذي يعرض الكتاب ان اسالك سؤالين جلفين. لذا فكرتُ في ان احتفظ باجلفهما الى نهاية المقابلة. هل انت جاهز؟

انني جاهز لانهاء المكالمة **(ضحك خافت)**.

د.ب: اريد ان اعرف من هو البرفيسور الذي يعمل في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، وولد يوم ٧ كانون الاول ١٩٢٨ في فيلادلفيا. لديك خمس ثوان فقط.

كيف لي ان اعرف كل شيء عن بروفيسورات المعهد.

د.ب: عيد ميلاد سعيد غداً، نعوم.

النظام الاقتصادي العالمي الناشيء

١ شباط ١٩٩٤

د.ب: في خريف عام ١٩٩٣ اعلنت صحيفة الفايننشال تايمز بصوت عال: ان القطاع العام اخذ في التقهقر في كل مكان. كان هذا قبل اقرار المبادرتين الرئيستين: اتفاقية التجارة الحرة الامريكية الشمالية NAFTA والاتفاقية العامة للتجارة والتعريفات GATT. كيف كانوا قادرين على الاقدام على ذلك، وما هي العواقب؟

بداية، فان ذلك صحيح الى حد كبير. لكن قطاعات رئيسة من القطاع العام ما تزال حية وفي حالة حسنة، وعلى نحو أخص تلك الاجزاء التي تموّن مصالح الثروة والقوة. انها آخذة بالانهيار الى حد ما، لكنها ما تزال حية الى حد بعيد. انها لن تختفي. كيف كانوا قادرين على الاقدام على ذلك؟ تلك تطورات كانت تحدث منذ نحو عشرين سنة تقريبا قبل الآن. كان عليهم ان يتحملوا التغييرات الرئيسة في الاقتصاد العالمي التي تحدثنا عنها في حوارات سابقة. ولسبب واحد، فان فترة الهيمنة الاقتصادية العالمية الامريكية قد انتهت مع مطلع سنوات السبعينات. وعاودت اوروبا واليابان الظهور كوجودين سياسيين واقتصاديين رئيسيين. كان هناك الحاح على الفوائد والارباح. كانت تكاليف حرب فيتنام ذات أهمية كبيرة بالنسبة الى الاقتصاد الامريكي، وذات فائدة مفرطة بالنسبة الى منافسيه. وقد نزع ذلك الى تغيير التوازن العالمي. على اي حال، مع مطلع سنوات السبعينات، شعرت الولايات المتحدة انه لم يعد باستطاعتها مواصلة دورها التقليدي كبنك عالمي، والذي اتفق عليه في اتفاقية

بريتون وودز مع نهاية الحرب العالمية الثانية. لقد فكّك نيكسون ذلك النظام. وأدى ذلك الى فترة من النمو الهائل في رأس المال المالي غير المنظم. وقد تسارع ذلك مع الارتفاع قصير المدى في أسعار السلع، الذي ادى الى تدفق البترودولار بشكل هائل الى النظام العالمي غير المنظم الحالي.

كانت هناك تغييرات تكنولوجية قد حدثت في الوقت نفسه، وكانت لها اهميتها. ان ثورة الاتصالات جعلت من السهولة الشديدة تحويل رأس المال ـ او الاوراق المالية المكافئة لرأس المال (حوالات وشيكات)، في الواقع، المكافئات الالكترونية ـ من مكان لآخر. ما هو اكثر من ذلك، ان دستورها تغير بشكل جذري. ففي حين انه في مطلع سنوات السبعينات كانت ما نسبته تسعين بالمائة تقريبا من الصفقات المالية مخصصة للتجارة والاستثمار طويل المدى، فان تلك النسبة انخفضت في الوقت الراهن الى عشرة بالمائة. وان تسعين بالمائة تستخدم الآن في المضاربات. وهذا يعني ان مقادير ضخمة من رأس المال، ١٤ تريليون، حسب التقديرات الحديثة للبنك الدولي، هي الآن قابلة للانتقال بسرعة كبيرة وسهولة في مختلف انحاء العالم باحثة بشكل رئيسي عن سياسات انكماشية. انه هجوم ضخم ضد المساعي الحكومية لتحفيز الاقتصاد. واعتقد ان ذلك اشير اليه في مقالة الفايننشال تايمز نفسها التي اشرت اليها. هذا احد العوامل.

وقد ارتبط بذلك نمو جوهري جدا في عولمة الانتاج، وبذلك اصبح اكثر سهولة مما كان عليه الامر في الماضي لتحويل الانتاج من مكان الى أماكن يمكنك فيها الحصول على عمالة ارخص، ومستويات قمع اعلى ،وأجور متدنية. وهكذا يصبح اكثر سهولة بالنسبة الى مدير تنفيذي في احدى الشركات المتحدة ويعيش في غرينتش ـ ولاية كونيكتيكت ـ ان تكون له مكاتب شركة متحدة وبنك في نيويورك، وأن يكون المصنع في احدى دول العالم الثالث. وهذا يشمل اوروبا الشرقية في الوقت الراهن. ان هذه التطورات وضعت

اسلحة قوية بين ايدي اصحاب القوة المالية والشركات المتحدة. ومع الالحاح على ارباح الشركات المتحدة الذي بدأ في مطلع سنوات السبعينات، شُنَّ هجوم كبير ضد العقد الاجتماعي كله، الذي كان قد تطور خلال قرن من النضال، وكان نوعاً من التنظيم ـ حوالي انتهاء الحرب العالمية الثانية ـ مع البرنامج الجديد New Deal* و دول الرفاه الاجتماعي الاوروبية، وغير هذا. كان هجوماً كبيرا ضد ذلك، قادته بداية الولايات المتحدة وانكلترا، وفي الوقت الراهن يصل الى القارة. كان لذلك نتائجه الرئيسة. فقد كانت احدى النتائج انهيار خطير في عملية التوحيد، التي تحمل معها انهياراً في الاجور وأشكالاً اخرى من حماية الحقوق. وادى ذلك الى استقطاب المجتمع، وبشكل رئيسي في الولايات المتحدة وبريطانيا، لكنه آخذ في الامتداد.

صباح اليوم بالذات كنت استمع الى اذاعة BBC. وقد اذاعت تقريراً عن دراسة جديدة تتعلق بالاطفال في بريطانيا، توصلت الى ان الاطفال الذين كانوا يعيشون في البيوت العمالية قبل قرن من الزمان كانوا يتمتعون بمعايير تغذية افضل من ملايين الاطفال الذي يعيشون الآن في بريطانيا في الفقر. ذلك واحد من الانجازات الضخمة لثورة تاتشر، والتي نجحت في تدمير المجتمع البريطاني وتدمير اجزاء كبيرة من القدرة التصنيعية البريطانية وجرّ انكلترا ـ كما تقول الفاينننشال تايمز ـ الى تكية اوروبا. ان انكلترا الآن إحدى افقر الدول في اوروبا ـ ما تزال فوق اسبانيا والبرتغال ـ ولكن ليس كثيراً. انها ادنى من ايطاليا. ذلك هو الانجاز البريطاني.

وكان الانجاز الامريكي مشابهاً كثيراً. اننا بلد اكثر غنى، واكثر قوة،

---

* البرنامج الجديد: برنامج تشريعي واداري وضعه الرئيس الامريكي فرانكلين روزفلت طلباً للانعاش الاقتصادي والاصلاح الاجتماعي خلال العقد الرابع من هذا القرن.

ولذلك من غير الممكن ان ننجز ما انجزته بريطانيا تماماً. لكن الريغانيين نجحوا في دفع الاجور الامريكية الى الاسفل، ولذلك فاننا الآن ثاني ادنى الدول الصناعية. بريطانيا هي الادنى، الاجور في ايطاليا أعلى بنسبة ستين بالمائة. وبموازاة ذلك هناك فساد في العقد الاجتماعي العام. الانهيار في الانفاق العام او طبيعة الانفاق العام الذي يذهب الى الاقل امتيازا. ان ذلك اكثر حسما. انه مجرد ملازمة. يجب ان نتذكر على الدوام، ومن الاهمية بمكان القول، ان طبيعة الانفاق العام التي تذهب الى اصحاب الثروات والامتيازات، والتي هي هائلة، تبقى مستقرة. ذلك مكوّن رئيس لسياسة الدولة.

«ب»: ما مدى ونوعية المعارضة المحلية ومقاومتها لكل من NAFTA و GATT؟

كان ذلك مثيراً جداً. التوقع العام كان ان NAFTA ستسير. بل ان لا احد يعرف ما هي ابداً. ولذلك فانه تم التوقيع عليها سراً. لقد وضعت على مسار سريع في الكونغرس، اي لا مناقشة لها. ولم تكن هناك فعلا تغطية اعلامية. من الذي سيعرف عن اتفاقية تجارية معقدة؟ لذلك كانت الفكرة، ان ننطلق بسرعة. ولم ينجح ذلك. ومن المهم ان ذلك لم ينجح. هناك عدة اسباب. فلسبب واحد، فان الحركة العمالية اضحت منظمة هذه المرة، وجعلت منها قضية. وسبب اخر كان هو المرشح المستقل الثالث (روس بيرو) الذي حاول ان يجعل منها قضية عامة. وانقلبت الامور. فعند سماع الجماهير بها، ومعرفتهم بكل شيء يتعلق بها، اخذوا يعارضونها. كانت التغطية الاعلامية في هذا المجال ذات اهمية قصوى. فعادة تحاول وسائل الاعلام ابقاء ولاءاتها الطبقية في الخلفية. لكن الحواجز، في هذه القضية، انهارت. لقد مضت وسائل الاعلام مسعورة وخاصة نحو النهاية عندما بدا انه ستكون هناك مشكلة. كان هناك انتقال سريع جدا بعد اقرارها. وقد كتبت عن هذا في مجلة Z. لكن مع

ذلك، ورغم هذا السد الاعلامي الهائل والهجوم الحكومي ولوبي الشركات المتحدة الضخم، الذي يقزم كلية اي شيء آخر، برغم ذلك، فان مستوى المعارضة بقي مستقراً. لو انك تلقي نظرة على استفتاءات الرأي العام خلال تلك الفترة، فستجد ان نحو ستين بالمائة من الذين استطلعت اراؤهم بقوا معارضين. لقد تفاوت الامر قليلا جداً من هنا الى هناك، لكن ذلك امر حقيقي تماماً. في الواقع، ان النتيجة النهائية مخادعة جداً. كان هناك استطلاع نشر قبل يومين من اليوم الذي كان فيه على الناس ان يقيّموا اعمال العمال فيما يتعلق بـ NAFTA. كان الجمهور معارضا بشكل ساحق لاعمال الحركة العمالية ضد NAFTA اذ بلغت نسبة المعارضين لها سبعين بالمائة. من ناحية اخرى، فان الجماهير اتخذت بالضبط ايضا الموقف نفسه الذي كان العمال يتخذونه. فلماذا كانوا معارضين لهم؟

اعتقد انه من السهولة بمكان تفسير ذلك. فقد مضت وسائل الاعلام مسعورة ابتداء من بيل كلينتون وحتى (انثوني لويس) كما ذكرت لي في مقابلة سابقة (٦ كانون الاول ١٩٩٣) اذ كانت هناك هستيريا بسبب تكتيكات العمال الجامدة وهذه الزعامات العمالية المتخلفة التي تحاول ان تعود بنا الى الماضي، شوفينيون متعصبون، وغير ذلك. في الواقع، فان محتوى النقد العمالي لم يظهر فعليا في الصحف. لكن كانت هناك هستيريا شديدة حوله في مختلف انحاء الطيف. طبيعي ان الناس يرون ما في الصحف، وان القياديين العمال فعلا يقومون بافعال سيئة. وفي الواقع ان الحركة العمالية ـ واحدة من بضع مؤسسات اكثر او اقل ديمقراطية في البلاد ـ كانت تمثل موقف الغالبية من هؤلاء الذين كان لهم رأي في NAFTA. من البين من خلال الاستطلاعات ان الناس أنفسهم الذي وافقوا على المواقف التي كانت الحركة العمالية تتبناها ـ على الرغم من انهم ربما لم يكونوا قد عرفوها ـ كانوا معارضين، او ظنوا انهم كانوا معارضين لتكتيكات الحركة العمالية.

اظن لو ان شخصا ما القى نظرة عن كثب على مناظرة غور ـ بيرو التلفزيونية، سيكتشف الشيء نفسه. كانت هناك بعض الوقائع المثيرة فيما يتعلق بهذه المناظرة التي يجب ان تدرس عن قرب اكثر. انني لم اشاهدها، لكن اصدقاء شاهدوها. اعتقدوا ان بيرو ابلى بلاء حسنا. لكن الصحافة، بالطبع، كان لها رد فعل مختلف كلية. فتحليلات الاخبار بعد المناظرة مباشرة كانت تقول ان غور حقق نصراً كاسحاً. والامر نفسه كان صباح اليوم التالي في العناوين الرئيسة: انتصار هائل للبيت الابيض. لو انك تلقي نظرة على استفتاءات الرأي العام في اليوم التالي، حيث كان المواطنون يسألون عن آرائهم في المناظرة. ان نسبة الذين اعتقدوا ان بيرو قد تحطم كانت اعلى بكثير من نسبة الناس الذين قد شاهدوها، الامر الذي يعني ان غالبية الناس كانوا يأخذون انطباعهم عما حدث في المناظرة من الصفحات الاولى في اليوم التالي او من اخبار التلفزيون. وعندما تمت فلترة القصة من خلال جهاز الاعلام ـ ايا كان ـ فانها انقلبت الى ماهو مطلوب من اجل الاهداف الدعائية مهما حدث. ذلك موضوع لاجراء بحث، لكن فيما يتعلق برد فعل الجماهير على تكتيكات الحركة العمالية، فان الامر ملفت للنظر تماماً.

د.ب: علمت من احدى المجلات ذات التوزيع الجماهيري- و التي حصلت عليها وهي مجلة Third World Resurgence - ان نصف مليون مزارع في البنغال، الهند، تظاهروا ضد GATT. اتساءل فيما اذا كانت صحيفتك المحلية (بوسطن غلوب) قد ابرزت ذلك.

انا ايضاً قرأت ذلك في المجلة التي أشرت اليها وفي مجلات هندية. ولا اذكر انني قد رأيت ذلك هنا. ربما كان هناك شيء ما. لا اريد القول انه لم يذكر بدون تحقق. لكن هناك الكثير من المعارضة الشعبية لـ GATT في الهند. والأمر نفسه في المكسيك بالنسبة الى NAFTA. على نحو عرضي، سالت عن GATT. الذي خططوه فيما يتعلق بـ NAFTA قاموا به فيما يتعلق بـ GATT

لذلك لم تكن هناك فعليا معارضة جماهيرية لـ GATT، او حتى وعي بها. وتراودني الشكوك في وجود مجموعة ضئيلة في البلاد تعلم عنها. ولذلك ربما يمكن الانطلاق بها بسرعة سرا، كما كان منويا. من الملفت للنظر، انهم لم يستطيعوا ان يفعلوا ذلك تماماً مثلما كان الامر عليه في قضية NAFTA. فقد تطلب ذلك جهدا كبيرا لانجازها. في المكسيك كانت هناك معارضة شعبية كبيرة. وهذا لم يشر اليه الا بشق النفس هنا. وما حدث في شياباس لم يكن مفاجأة كبيرة جداً.

كانت هناك محاولة لتصوير التمرد في شياباس على انه شيء يتعلق بالجنوب المتخلف عن الشمال المتطور الحديث. في البداية فكرت الحكومة في ان تدمره باستخدام العنف، لكنها تخلفت عن ذلك، وستدمره من خلال عنف اكثر رقة حينما لا يكون احد يرى ذلك. ان جزءاً من السبب الذي حدا بهم الى عدم استخدام العنف هو، بالتأكيد، انهم كانوا خائفين من انه كان هناك الكثير جداً من التعاطف معهم في مختلف انحاء البلاد، وانهم اذا كانوا سيواجهونهم بقمعية فانهم سيسببون لانفسهم الكثير من المشاكل على امتداد الطريق وحتى الحدود المكسيكية. ان الهنود المايان في شياباس، هم بشكل او بآخر المواطنون الاكثر عرضة للاضطهاد في المكسيك. وبرغم ذلك، فان المشكلات التي يتحدثون عنها هي مشكلات الغالبية العظمى من المواطنين المكسيك. ان المكسيك مستقطبة الى حد بعيد جداً من خلال حقبة الاصلاحات الليبرالية الجديدة التي قادت الى القليل جدا من التقدم الاقتصادي، ولكنها استقطبت المجتمع بشدة. لقد انهارت حصة الحركة العمالية في الدخل بشكل راديكالي. و عدد اصحاب البلايين آخذ في الارتفاع بشدة.

د.ب: لكنني وجدت التغطية الاعلامية عن المسكيك خلال مناقشات NAFTA متفاوتة بطريقة ما. لقد اشرت الى صحيفة

نيويورك تايمز. لقد اقروا في عدد من المقالات ان الفساد الرسمي كان وما يزال اخذا بالتوسع والانتشار في المكسيك. حقيقة، فانهم في احدى الافتتاحيات سلموا بان (ساليناس) قد سرق انتخابات الرئاسة سنة ١٩٨٨. لماذا ظهرت تلك المعلومة؟

اعتقد ان ذلك مستحيل كبته. اضافة الى ذلك، كانت هناك تقارير متناثرة في صحيفة تايمز عن احتجاج شعبي ضد NAFTA. وقد كتب مراسل الصحيفة في المكسيك (تيم غولدن) قصة قبل اسبوعين من التصويت، ربما في مطلع تشرين الثاني، قال فيها ان الكثيرين الكثيرين من العمال المكسيكيين قلقون من ان اجورهم سوف تنهار بعد NAFTA. ثم كانت بعد ذلك براعة الختام. قال: ان ذلك يقتطع موقف اناس مثل روس بيرو وآخرين الذين يعتقدون ان NAFTA سوف تلحق الضرر بالعمال الامريكيين لصالح العمال المكسيكيين. بكلمات اخرى فانهم جميعا سوف يُلوَوْن. لقد قدم ذلك في اطار نقد للناس الذين كانوا يعارضون NAFTA هنا. لكن كانت هناك مناقشة ضعيفة جداً تتعلق بالمعارضة الشعبية ذات الحجم الكبير في المكسيك، التي تضمنت، على سبيل المثال، اكبر نقابة تجارية غير حكومية. ان نقابة التجارة الرئيسة مستقلة تقريبا كما كانت نقابات التجارة السوفيتية. كانت هناك احتجاجات جماهيرية واسعة لم يشر اليها هنا. فالحركات المعنية بالبيئة كانت معارضة. وغالبية الحركات الشعبية كانت معارضة. وخرج مؤتمر الاساقفة المكسيك ببيان قوي جداً ينتقد NAFTA ويصادق على موقف أساقفة امريكا اللاتينية في سانتو دومينغو في شهر كانون الاول ١٩٩٢. كان هناك مؤتمر لاساقفة امريكا اللاتينة وهو المؤتمر الاول منذ عودة (بوبيلا) و (ميدللين) في سنوات الستينات والسبعينات، والذي كان مهما للغاية. ولم تتم الاشارة اليه هنا، حسب معرفتي. لقد حاولت الفاتيكان السيطرة عليه هذه المرة للتأكد من انه لن يخرج بهذه الافكار الفاسدة المتعلقة بالنظرية اللاهوتية التحررية والخيار

التفضيلي للفقراء. لكن بالرغم من القبضة القوية جدا للفاتيكان، فان الاساقفة وقفوا بقوة تامة ضد الليبرالية الجديدة والتعديل البنيوي وسياسات السوق الحر. وكرر الاساقفة المكسيك ذلك في نقدهم لـ NAFTA. ان كان هناك اي شيء يتعلق بذلك هنا، فانني لم أره.

د.ب: ماذا عن الموقف السياسي والنفسي الذي يجد اناس مثلنا انفسهم فيه بكونهم «ضد» وكونهم معادين، مقاومين نشطين اكثر منهم مؤيدين نشطين.

ان NAFTA حالة جيدة لان نقاد NAFTA في الواقع، كانو مؤيدين نشطين. قلة قليلة من نقاد NAFTA كانوا يقولون لا للاتفاقية. بيرو كانت لديه اقتراحات بناءة. الحركة العمالية، ومكتب تكنولوجيا التخمين في الكونغرس ـ الذي نشر تقريرا مهما آخر تم تجاهله ايضاـ ونقاد آخرون، رأيتهم شديدي الانتقاد. كانوا يقولون انه لن يكون هناك اي ضرر فيما يتعلق بـ NAFTA. لكن ليس هذا فقط يجب ان يكون مختلفا. ان المجالات التي يجب ان يكون مختلفا فيها تم رسمها بشيء من التفصيل. على نحو عرضي، فان ما يدعى اليسار لعب اللعبة نفسها. وقد كتب (جميس غالبرايث) وهو اقتصادي ليبرالي يساري في جامعة تكساس، مقالة شجب فيها اليسار السوفيتي. وقد اختارني على اني الشخص الرئيسي، مستشهدا بمقالة قلت فيها نقيض ما نسبه اليّ. لكن ذلك امر طبيعي. كان ذلك في مجلة ليبرالية يسارية World Policy Review. قال: يوجد هناك هذا اليساري السوفييتي، قومي متعصب، لا يريد للعمال المكسيكيين ان يحسنوا حياتهم. ثم مضى يتحدث كيف ان المكسيكيين يفضلون NAFTA. وبكلمة المكسيكيين فانه كان يقصد الصناعيين والمدراء التنفيذين والمحامين المتحدين المكسيكيين. انه لم يقصد الفلاحين والعمال المكسيكيين. لم يتفوه بكلمة عنهم. وبدءاً من اناس مثل (جيمس غالبرايث) وانثوني لويس وعلى امتداد الطريق وحتى اليمين، تجد هذه التلفيقات المفيدة

جداً، بان نقاد NAFTA كانوا سلبيين ومعارضين وانهم كانوا شوفينيين وضد التقدم وأرادوا العودة الى الوراء، الى الحمائية القديمة. حينما تمتلك سيطرة كلية على النظام الاعلامي، فان من السهولة الشديدة نقل تلك الصورة. وهي تفضي الى النتيجة التي تصفها، من أن النقاد معارضون وليسوا مؤيدين. ان ذلك ليس صحيحاً. اقرأ التقارير والدراسات والتحليلات وسترى انها تحمل مقترحات بناءة جداً.

د.ب: في مطلع شهر كانون الثاني طلب اليك من قبل صحيفة واشنطن بوست تقديم مقالة انتفاضة يوم راس السنة في شياباس. هل كانت هذه اول مرة يطلبون منك ان تكتب شيئاً لهم؟

كانت تلك المرة الاولى والأخيرة. وكانت لزاوية Outlook ليوم الأحد. كنت مندهشا، اذ لم يطلب مني على الاطلاق الكتابة لصحيفة رئيسة. لقد كتبتها ولم تظهر.

د.ب: هل هناك من تفسير؟

لا. لقد أرسلت للطباعة، حسبما اعلم. المحرر الذي طلب مني ذلك اتصل بي قائلاً، يبدو ان الامور على ما يرام. ثم اخبرني ـ فيما بعد ـ انها قد الغيت من قبل مستوى عال. لا أعرف اكثر من هذا عنها. ومع ذلك، باستطاعتي ان أخمن. ان تلك المقالة كانت عن شياباس، ولكنها ايضا كانت عن NAFTA واعتقد ان الواشنطن بوست كان متطرفة اكثر من تايمز في ابقاء الحوار حول هذا الموضوع ضمن اضيق الحدود.

د.ب: في تلك المقالة تكتب ان احتجاج الفلاحين الهنود في شياباس يعطي «لمحة خاطفة صريحة عن قنابل موقوتة تنتظر الانفجار، ليس في المكسيك فقط». ما الذي تفكر فيه؟

خذ لوس انجلوس على سبيل المثال. في مجالات عديدة، مجتمعات مختلفة، وغير ذلك، لكن هناك نقاطا تتشابه مع تمرد شياباس.

ان لوس انجلوس هي مكان حيث كان للناس فيه أعمال وحياة. وقد دمرت تلك الاعمال والحياة. لقد دمرت الى حد كبير بسبب العمليات الاقتصادية الاجتماعية التي كنا نتحدث عنها. على سبيل المثال، لنقل، ان مصانع المفروشات انتقلت الى المكسيك حيث باستطاعتها ان تلوث هناك بكلفة ارخص بكثير. الصناعة العسكرية، المدخل العام الكبير الى نظام التكنولوجيا المتقدمة، انهارت بطريقة ما، وبخاصة في منطقة لوس انجلوس. لقد اعتاد الناس ان تكون لهم اعمالهم في صناعة الصلب والفولاذ. ولم يعد ذلك متاحاً لهم. لقد تمردوا. ان تمرد شياباس كان مختلفاً تماما. كان اكثر تنظيماً، واكثر بنائية، وهذا هو الفارق بين مجتمع ضعيف الاخلاق بكل ما في الكلمة من معنى، مثل لوس انجلوس، وهو النوع الذي لدينا، وبين مجتمع ما يزال يحتفظ بنوع من التكاملية والحياة المشتركة، وغير ذلك، بالرغم من انه اكثر فقراً. حينما تنظر الى مستويات الاستهلاك، فان مما لا شك فيه ان الفلاحين المكسيكيين اشد فقرا من الناس في لوس انجلوس. هناك مجموعات تلفزيون اقل للشخص الواحد. ووفق معيار اخر، اكثر اهمية، فان التماسك الاجتماعي، وتكامل المجتمع، متقدمان اكثر. لقد نجحنا في الولايات المتحدة، ليس فقط في مجال استقطاب البنى الاجتماعية، وانما ايضا في تدميرها. لهذا السبب تجد هذا العنف المفرط. تلك قضية.

خذ واحدة اخرى اكثر دراماتيكية. فبعد مرور يومين على التصويت على NAFTA اقر مجلس الشيوخ قانون الجريمة. وقد رحب به بحماسة كبيرة من قبل اقصى اليمين على انه اعظم قانون مضاد للجريمة على الاطلاق. اعتقد ان ذلك القانون قد زاد، بمعدل خمسة أو ستة أضعاف، الانفاق الفيدرالي على

«مكافحة الجريمة». ليس فيه شيء بنّاء. هناك المزيد من السجون، والمزيد من الشرطة، وعقوبات اشد، ومزيد من عقوبات الاعدام، جرائم جديدة. . .

د.ب: ثلاث ضربات وانت بعيد.

ثلاث ضربات وأنت بعيد. العضوية في اي مجموعة جريمة. لقد تحرك كلينتون بسرعة لالتقاط هذا على انه مبادرته الاجتماعية الرئيسة. ان ذلك يجعل الامر مفهوما، لدرجة انه كان يجب ان يظهر مباشرة بعد NAFTA. ان NAFTA سوف تستمر، وربما يتصاعد استقطاب المجتمع. لا احد لديه اي خطط بالنسبة الى اولئك الناس الذي يهمشون ويقمعون. سيكون هناك الكثير من الاوضاع من انموذج لوس انجلوس. ومن غير الواضح كم سيتقبل المواطنون من الضغط والانهيار الاجتماعي والفساد. ان احدى الوسائل هي نقلهم الى احياء الفقراء في المدن، معسكرات الاعتقال، وتركهم يفترسون بعضهم بعضا. لكن ذلك له طريق ضرب مصالح الاغنياء واصحاب الامتيازات والتأثير فيها. لذلك فاننا نبني نظام السجن، والذي، على نحو عرضي، يشكل ايضا، دفعة للاقتصاد. ان ذلك انفاق عام، وهو يعطي ايضا نوعا من التحفيز الاقتصادي. من الطبيعي ان يلتقط كلينتون ذلك بشكل دقيق على انه موضوعه ومن السهولة بمكان اثارة هستيريا فيما يتعلق بذلك. لكن ايضا لانه يعكس وجهة النظر العامة لما يسمى بالديمقراطيين الجدد، اقسام موجهة من قبل مجتمع الاعمال في الحزب الديمقراطي.

د.ب: نقطة واحدة اخيرة فيما يتعلق بالمكسيك: لقد تحدثت عن ان الاجور اخذة في الانحدار. لقد كان هناك ايضا اتحاد هام يخفق ويحطم. صف لنا ما حدث في مصنعين للسيارات في المكسيك، الاول لشركة فورد، والثاني لشركة فولكسفاجن.

ان شركتي فورد وفولسكفاجن هما مثالان كبيران. فخلال السنوات

القليلة المنصرمة ـ اعتقد انه كان عام ١٩٩٢ بالنسبة لشركة فولكسفاجن، وقبل ذلك ببضعة سنوات بالنسبة الى شركة فورد ـ قامت شركة فورد بفصل قوتها العاملة كلها من الخدمة، وأعادت استخدام فقط اولئك الذين وافقوا على ان لا يكونوا نقابيين وبمستوى اجور اقل بكثير مما كانوا يتقاضونه. كانوا (الشركة) مدعومين من قبل الحزب الحاكم دائما حينما يقومون بذلك العمل. في حالة شركة فولكسفاجن كان الامر مشابها جداً. فقد قامت هذه الشركة بفصل العمال الذين ايدوا قيام نقابة مستقلة من العمل. كانوا يرغبون في السماح للنقابة الحكومية المحتالة. لكن اولئك الذين سعوا الى اقامة نقابة مستقلة طردوا، اما الذين وافقوا على عدم دعم النقابة المستقلة فقد اعيد استخدامهم بأجور اقل.

بعد مرور عدة اسابيع على التصويت على NAFTA في الولايات المتحدة، تم فصل عمال مصنع GE and Honeywell في المسكيك بسبب نشاطات نقابية. لا اعرف ما هي النتيجة،لكن ذلك كان امرا رمزيا مرة اخرى.

تلك على وجه الدقة الاشياء التي تدور حولها NAFTA. وفيما اذا كانت NAFTA على المدى الطويل سوف تخفض اجور العمال المكسيكيين فانه امر من الصعب التنبؤ به. هناك مجموعة من العوامل المعقدة. اعتقد انها ربما تكون حسنة جداً. ان قضية انها ستخفض اجور العمال الامريكيين هي بالكاد موضع شك. واقوى المدافعين عن NAFTA، اشاروا الى ذلك في صحيفة صغيرة. ان زميلي في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (بول كروغمان) متخصص في التجارة الدولية وهو احد الاقتصاديين الذين قاموا ببعض الاعمال النظرية التي تظهر عيوب التجارة الحرة. وهو برغم ذلك كان مؤيدا متحمسا لاتفاقية NAFTA التي ـ ويجب ان اؤكد ـ ليست اتفاقية تجارة حرة. لكنه اشار ـ ان تمعن النظر ـ الى ان الناس الوحيدين الذي سيخسرون سوف يكونون

العمال غير المهرة. ملاحظة: ان سبعين بالمائة من القوة العاملة مصنفون على انهم «غير مهرة». انهم الوحيدون فقط الذين سيخسرون.

توجد لدى ادارة كلينتون أوهام متعددة ـ لا ادري ان كانوا يصدقونها ام لا ـ فيما يتعلق باعادة التدريب. انهم لا يفعلون اي شيء بخصوص ذلك، ولكن حتى ان فعلوا، فان من المحتمل ان يكون له أثره القليل جداً. ما هو صحيح بشأن عمال الصناعة صحيح ايضا بشأن العمال المهرة ذوي الياقات البيضاء. يمكنك ان تحصل على مبرمجي برمجيات في الهند مدربين تدريبا جيدا جدا، و بأجزاء من كلفة المبرمجين الامريكيين. ثمة شخص له علاقة بهذا النوع من المشاريع اخبرني مؤخرا ان المبرمجين الهنود يجلبون- فعليا- الى الولايات المتحدة، وباجور هندية ـ باجزاء من الاجور الامريكية ـ ليعملوا في تطوير البرمجيات.

ان فرص اعادة التدريب في ان يكون لها اثر كبير هي فرص ضئيلة. المشكلات مختلفة تماما. المشاكل هي انه عند البحث عن الارباح فانك سوف تحاول قمع حياة الناس قدر ما هو مستطاع. وبغير ذلك لن تستطيع القيام بعملك.

د. ب: شيء مثير حدث في الاباما يتعلق بـ Daimler - Benz مصنع السيارات الالماني الكبير.

ان فساد السياسات هذا الذي يدمر النقابات ويقوض الاجور له اثر كأثر المنشار. ليس فقط المكسيك والولايات المتحدة. انها ايضا تحدث في الدول الصناعية. لذا فان الولايات المتحدة قد عملت الآن في ظل ادارة ريغان على خفض الاجور الى اقل من مستوى منافسيها، باستثناء بريطانيا، فكان لذلك آثاره العالمية. لذا، فان احدى نتائج ما يسمى باتفاقية التجارة الحرة مع كندا

كانت من أجل تحفيز تدفق كبير للاعمال من كندا الى جنوب شرقي الولايات المتحدة لان هذه المناطق مناطق غير نقابية بشكل اساسي. الاجور اقل، وليس عليك ان تشعر بالقلق فيما يتعلق بالارباح. ان العمال لا يستطيعون ان يتنظموا الا بشق النفس. لذا، فان ذلك هجوم ضد العمال الكنديين. ما تصفه الآن يظهر عولمة هذه الآثار. ان Daimler - Benz والتي هي اكبر شركة المانية متكتلة، كانت تبحث بشكل اساسي عن ظروف عالم ثالث. فقد تدبرت الامر لتجعل الولايات الجنوبية الشرقية تتنافس الواحدة منها ضد الاخرى، لترى كيف باستطاعتها اجبار الجماهير على ان تدفع الاكثر لاحضارها الى هناك. وقدمت آلاباما الصفقة الاكبر. قدموا لها مئات الملايين من الدولارات على شكل فوائد ضرائب. وبشكل عملي اعطوها الارض مجانا: وافقوا على بناء كل انواع البنية التحتية لها. الكلفة بالنسبة الى مواطني آلاباما باهظة. لكن هناك مواطنين سوف يستفيدون. ان عددا صغيرا من المواطنين يشغلون هناك، مثلا في مجال الهامبورغر، وغير ذلك. لكن بشكل رئيسي، فان رجال بنوك رئيسيين، محامين متحدين، مواطنين يعملون في الاستثمار والمال وفي الخدمات المالية وغير ذلك، سوف يعملون بشكل رائع جداً.

ولقد كان من المثير انه حتى صحيفة وول ستريت جورنال، التي نادراً ما تكون نقادة لمجتمع الاعمال، اشارت الى ان هذا يشبه كثيرا ما يحدث حينما تذهب الشركات المتحدة الغنية الى دول العالم الثالث، وتسأل فيما اذا كانت سوف تستفيد بشكل افضل مما استفادته من ولاية آلاباما. ربما لا، رغم انه بالنسبة الى قطاعات في آلاباما، وبخاصة الشركات المتحدة ـ قطاعات المال والقطاعات المهنية الماهرة ـ سوف تكون هناك فوائد. ان الجماهير العامة سوف تدفع التكاليف.

وفي غضون ذلك فان Daimler- Benz باستطاعتها استخدام ذلك لخفض

مستويات الحياة بالنسبة الى العمال الالمان. تلك هي الطريقة التي تلعب اللعبة بها في الواقع. ان جنوب شرقي الولايات المتحدة حالة واحدة.

لكن المكسيك بالطبع، واندونيسيا، والآن اوروبا الشرقية، هي حالات افضل بكثير. على سبيل المثال، فان شركة فولكسفاجن سوف تطرد قوتها العاملة في المكسيك، وتعاود استخدامها. لكنها ايضا سوف تقيم مصانع في جمهوية التشيك - كما يفعلون الآن - حيث باستطاعتهم الحصول على عمال مقابل ما نسبته عشرة بالمائة من كلفة العمال الالمان. ان ذلك يحصل مباشرة عبر الحدود، انه مجتمع ممغرب. مستويات تعليمية عليا. اناس ذوو بشرة بيضاء وعيون زرقاء طيبون. ليس عليك ان تشعر بالقلق فيما يتعلق بذلك. بالطبع، انهم يصرون على الكثير من الفوائد. وهم لا يؤمنون بالسوق الحر اكثر من اي شعب غني آخر، ولذلك فهم يغادرون جمهورية التشيك ليدفعوا التكاليف الاجتماعية للتلوث، والمديونية، وغير ذلك. انهم سيلتقطون الارباح. انه الامر نفسه على وجه الدقة حينما تنتقل شركة GM الى بولندا. ان شركة GM تقوم الآن ببناء مصانع في بولندا، ولكنها بالطبع تصر على نسبة ثلاثين بالمائة كتعرفة حمائية. ان السوق الحر هو للفقراء. لدينا نظام مزدوج. اسواق حرة للفقراء واشتراكية الدولة للاغنياء.

د.ب: بعد عودتك من زيارة حديثة الى نيكاراغوا، اخبرتني انه يصبح اعتباراً من الآن فصاعدا اكثر صعوبة الحديث عن الفروق بين الاقتصاديين والدكاترة النازيين. ما الذي قصدته بذلك؟

تقرير صدر عن UNESCO. لم أر انه نشر هنا. لقد نشر في صحيفة الفايننشال تايمز اللندنية، وقدر الكلفة البشرية لما يسمى بالاصلاحات - وهي كلمة لطيفة الرنين - في اوروبا الشرقية منذ سنة ١٩٨٩. «الاصلاحات» مصطلح دعائي. انه يلمح الى ان التغييرات هي اشياء جيدة. فاذا استولت

حكومة شعبية على الصناعات الخاصة، فان ذلك لن يدعى «اصلاحا». وبالاشارة الى السياسات على انها «اصلاحات» فان الصحافة قادرة على تجنب اي نقاش حول ما اذا كانت هذه السياسات سياسات جيدة ام سيئة. انها جيدة بالتعاقد. لكن ما يسمى بالاصلاحات ـ وتعني اعادة اوروبا الشرقية الى حالة العالم الثالث التي كانت عليهاـ كانت لها تكاليف اجتماعية. وتحاول دراسة اليونيسكو تقديرها. على سبيل المثال، في روسيا، يقدرون عدد الوفيات بنحو نصف مليون وفاة سنويا كنتيجة مباشرة للاصلاحات، اي نتيجة انهيار الخدمات الصحية، والزيادة في الامراض، والزيادة في سوء التغذية، وغير ذلك. ان قتل نصف مليون انسان سنويا انما هو انجاز جوهري للاقتصاديين الاصلاحيين. وباستطاعتك ان تجد ارقاما مشابهة، وان لم تكن بمثل ذلك السوء. في بقية اوروبا الشرقية، ان تُلقِ نظرة على معدل الوفيات من سوء التغذية، والاستقطاب، والمعاناة، ستجد انه انجاز رائع.

ان تذهب الى العالم الثالث، فان الارقام خيالية. لذا على سبيل المثال، قدر تقرير آخر اصدرته UNESCO ان نحو نصف مليون طفل يموتون في افريقيا سنويا نتيجة خدمة الدين. ليس من نظام «الاصلاحات» فقط وانما خدمة الدين: نحو احد عشر مليون طفل مقدر ان يموتوا كل سنة بسبب الامراض القابلة للعلاج بسهولة، وغالبيتها يمكن التغلب عليها ببضعة سنتات هي قيمة المواد. لكن الاقتصاديين يقولون لنا انه من اجل التغلب عليها، فانه لا بد من التدخل في نظام السوق. ان هذا ليس جديداً. انه مذكّر جدا بالاقتصاديين البريطانيين خلال المجاعة الايرلندية في منتصف القرن التاسع عشر، حينما املت نظرية اقتصادية بان ايرلندا التي تضربها المجاعة يجب ان تصدر الغذاء الى بريطانيا، وقد فعلت، من خلال المجاعة الايرلندية، ويجب ان لا تعطى مساعدة غذائية لأن ذلك ينتهك المباديء المقدسة للاقتصاد السياسي. ان هذه المباديء لها هذه الصفة الغريبة بافادة الاثرياء وايذاء الفقراء.

د.ب: سوف تستذكر الاضطراب الذي حدث في سنوات الثمانينات حول تعذيب الساندينستيين للسكان من الميسكيتو الهنود على ساحل الاطلنطي. وقد قال الرئيس ريغان في تصريحه المكبوت الفذ ان ذلك كان «حملة من الابادة الجماعية العملية». اما مندوبة الولايات المتحدة في هيئة الامم المتحدة (جين كيركباتريك) فقد كانت اكثر تقييداً بقليل، إذ وصفتها بانها اعظم انتهاك جماعي لحقوق الانسان في امريكا الوسطى. ما الذي يحدث الآن مع الهنود الميسكيتو في نيكاراغوا؟

انهم يتحدثون عن حادثة، والتي وفقا لما ترويه مجموعة Americas Watch قتل خلالها عشرات من الميسكيتو، وكثيرون من الناس تم ترحيلهم بقوة وبطريقة بشعة جدا اثناء حرب الكونترا. ان قوات الارهاب الامريكية كانت تنتقل الى المنطقة وكان هذا رد الفعل. لقد كان ذلك بالتأكيد بشاعة، ولكنك لا تستطيع رؤيتها بالمقارنة بالبشاعات التي كانت جين كيركباتريك تحتفل بها في البلدان المجاورة في ذلك الوقت، او بالنسبة الى تلك القضية في نيكاراغوا، حيث الفظائع الجماعية الشاملة التي ارتكبت على ايدي ما يسمى بمقاتلي الحرية.

ما الذي يجري للميسكيتو الآن؟ كنت في نيكاراغوا في شهر تشرين الاول. كانت مصادر كنسية ـ الكنيسة الايفانجليكية المسيحية، بشكل رئيسي، التي عملت في الساحل الاطلنطي ـ تشير الى ان ١٠٠٠٠٠ من الميسكيتو كانوا يتضورون جوعاً حتى الموت، نتيجة ـ وبدرجة كبيرة ـ للسياسات التي كنا نفرضها على نيكاراغوا. وليس من كلمة واحدة هنا.

مشكلة اخرى عند الميسكيتو هي المخدرات. ان احدى العواقب الانموذجية للانتصارات الامريكية في العالم الثالث ـ والتي مرة اخرى تشتمل

على الكثير من اوروبا الشرقية ـ هي ان البلدان التي كنا ننتصر فيها تصبح مباشرة مراكز كبرى لتدفق المخدرات.

وهناك اسباب معقولة لذلك. ان ذلك جزء من نظام السوق الذي نفرضه عليهم. وقد اصبحت نيكاراغوا الآن مركزاً رئيساً لشحن المخدرات. هناك القليل من القلق والاهتمام فيما يتعلق بذلك هنا، ولذا فان ذلك يتسرب الى الصحافة. ان أنت ألقيت نظرة على الصحف الصغيرة فانك ستكتشف ان جزءاً كبيراً منها (المخدرات) يذهب عبر الساحل الاطلنطي الآن، لدرجة ان النظام الحكومي كله قد انهار. هناك ايضاً وباء المخدرات. وهذا يسير جنبا الى جنب مع كونها منطقة شحن المخدرات.

انها مشكلة الادمان الرئيسة بين اوساط الميسكيتو، وعلى نحو اخص، بين الغواصين. فالغواصون الميسكيتو الهنود، في كل من نيكاراغوا وهندوراس، مجبرون في ظل الظروف الاقتصادية على القيام باعمال الغوص في ظل ظروف مريعة. انهم مجبرون على القيام بأعمال غوص عميق جداً دون اي معدات من اجل الحصول على سرطانات البحر وعلى المحارات الاخرى. انه نظام السوق. لديك الكثير من الناس الفائضين عن الحاجة، غير الضروريين، ولذلك فانك تجعلهم يعملون في ظل هذه الظروف. فان لقوا حتفهم وماتوا، فسرعان ما تحضر آخرين غيرهم. تلك هي تقنية السوق الحر المعيارية. ومن اجل محاولتهم الحفاظ على عملهم، فانهم يتخمون انفسهم بالكوكائين. فبطريقة ما، يمكنهم ذلك من تحمل الألم. وقد كان هناك تقرير صغير عن استخدام الكوكائين بين اوساط الهنود الميسكيتو. وبالطبع، فان لا احد يهتم كثيرا بظروف العمل، او لماذا هم هناك. ذلك هو وضع الهنود الميسكيتو في نيكاراغوا اليوم. وفي هندوراس، فان الامر اسوأ من ذلك.

د.ب: ان هذا يكوّن مجلدات عن الفكرة العامة للضحايا المهيمن

عليهم الذين يمكن ان تعزى ورطتهم الى اعداء رسميين، وعندما يتم التخلص من الاعداء، يصبحون عندئذ ضحايا لا قيمة لهم.

انه مثال واضح على ذلك. ان كنت تريد مثالا آخر، مثالاً أبشع بشكل ما، انظر الى العدد الصادر اليوم من صحيفة بوسطن غلوب. ففي هذا العدد افتتاحية رئيسة كتبها (سيدني شانبرغ) يشن فيها هجوما عنيفا ضد السناتور كيري من ولاية ماساتشوستس لانه انسان غير صادق وذو وجهين، لانه يرفض الاعتراف بان الفيتناميين لم يكونوا كلية مستعدين لتقديم معلومات عن اسرى الحرب الامريكان.

وحسب ما يقوله شانبرغ، فان لا احد أميناً وصادقاً بما فيه الكفاية ليقول الحقيقة بخصوص هذا الامر. وهو يقول: يجب على الحكومة في النهاية ان تمتلك الامانة لتقول انها تركت الهند الصينية دون اي اعتبار بالنسبة للامريكيين جميعهم. بالطبع، فانه لم يخطر بباله ان يقترح انه يجب على الحكومة ان تكون امينة وصادقة بما فيه الكفاية لتقول: اننا قتلنا مليونين من الناس ودمرنا ثلاثة بلدان وتركناها في حالة حطام كلي ونقوم بخنقها منذ ذلك الحين. من الملفت للنظر على وجه الخصوص ان هذا هو سيدني شانبرغ. فهو يعتبر الضمير النبيل للصحافة بسبب شجاعته الجسورة في فضح جرائم الاعداء الرسميين، وأعني بول بوت. وقد حدث ايضا انه كان المراسل الامريكي الرئيسي في فنوم بينه عام ١٩٧٣، ابان ذروة القصف الامريكي لكمبوديا الداخلية، حينما كان عشرات الآلاف من الناس يقتلون، وكان المجتمع يطمس ويمحى.

لا احد يعلم الكثير جدا عن حملة القصف ونتائجها لان أناساً امثال سيدني شانبرغ رفضوا تغطيتها. ان ذلك لم يكن يتطلب جهدا كبيرا للكتابة. لم يكن عليه ان يذهب ليشق طريقه بتعب ومشقة في الغابة ليجد اللاجئين. كان باستطاعته ان يسير عبر الشارع من الفندق الفاخر الذي يقيم فيه في فنوم

بينه، حيث كان مئات الآلاف من اللاجئين قد طردوا من الريف الى المدينة. لقد درست تقاريره كلها، وتم استعراضها بالتفصيل في كتابي الذي وضعته مع (ادوارد هيرمان) ويحمل عنوان Manufacturing Consent. لقد رفض ببساطة اجراء مقابلات مع اللاجئين ليكتشف ما كان يجري في كمبوديا الداخلية. فقط بضع جمل من شهادة لاجيء ظهرت في رسائله الاخبارية.

لابراز الفساد، وجعله واضحاً جدا مثلما هو عليه بالضبط، فقد حدث ان كان هناك تقرير اكثر تفصيلا عن فظيعة امريكية. ان تشاهد الفيلم السينمائي The Killing Fields المأخوذ عن قصته، تجده يبدأ بوصف هذه الفظيعة، التي كتب عنها تقريرا لمدة ثلاثة ايام تقريبا. ما هو هذا التقرير؟ طائرات امريكية تقصف القرية الخطأ، قرية حكومية. تلك فظيعة. لقد كتب تقريرا عن ذلك. فما رأيك حينما يقصفون القرية المطلوب قصفها؟ لسنا معنيين بذلك. ان احد الاسباب التي تقف وراء حقيقة لماذا لا نعرف الا القليل جدا عن هذه الفظيعة الرهيبة في كبموديا الداخلية، هو ان اناسا مثل سيدني شانبرغ لم يكتبوا عنها.

وها هو الآن يتفاصح عن الافتقار الى الامانة والصدق وعن ثنائية الوجه عند الناس الذين لا يقولون اننا تركنا وراءنا اسرى الحرب. لقد كان امرا شنيعاً. ليس فقط في فيتنام، حيث كان الامر رهيبا، ولكن في كوريا حيث كان الامر أكثر سوءاً. ان معاملة الولايات المتحدة لاسرى الحرب في كوريا كانت فضيحة بينة. وقد تم بحثها بشكل حسن في الادب العالمي. وان تعد الى الوراء، الى حرب الباسيفيكي، فان الامر مخيف ايضا، بما في ذلك فترة ما بعد الحرب حينما احتفظنا بالاسرى قيد الاعتقال بشكل غير قانوني، كما فعل البريطانيون.

د.ب: Other Losses كتاب كندي يزعم انها كانت سياسة امريكية رسمية عملية منع الغذاء عن الاسرى الالمان. العديد منهم يفترض انهم ماتوا جوعاً.

انه كتاب (جيمس بيك). كان هناك الكثير من الخلاف فيما يتعلق بالتفصيلات وانا لست متأكدا من ماهية حقائق القضية. لقد قال ذلك. من ناحية اخرى، هناك اشياء لا خلاف فيها. لقد كتبت عنها مع (ايد هيرمان) في اواخر سنوات السبعينات، في كتابنا الذي يحمل عنوان Political Economy of Human Rights. كان ملفتا للنظر. ففي الوقت الذي كان فيه اول اهتياج عن اسرى الحرب الامريكان يتحرك ويثور، ظهرت اعمال عالمية عن المعاملة الامريكية والبريطانية لاسرى الحرب الالمان خلال وبعد الحرب العالمية الثانية. كانت هناك بعض المراجعات لهذه المادة. كانوا يمجدون المساعي الانسانية للامريكيين والبريطانيين.

ان تنظر في المادة، تجد ان ما حدث هو ان الامريكيين كانوا يديرون «معسكرات اعادة التثقيف» للاسرى الالمان. وبما انها كانت بمجملها انتهاكا للمواثيق العالمية، فقد تم التكتم عليها. وفي النهاية غيروا الاسم. اذ اطلقوا عليها اسما أوروبياً بدلا من معسكر اعادة التثقيف. وقد رُحّب بهذا وهلل له كمثال رائع على انسانيتنا لاننا كنا نعلمهم الاساليب الديمقراطية. بكلمات اخرى، كنا نعلمهم ان يتقبلوا معتقداتنا. لذلك، فانها كانت انسانية في معسكرات اعادة التثقيف هذه. لقد ابقوا عليها سرا لانهم كانوا خائفين من ان يقوم الالمان بالانتقام ومعاملة الاسرى الامريكيين بالطريقة ذاتها. كان الاسرى يعاملون بوحشية شديدة، ويقتلون، ويجوعون، وغير ذلك.

اضافة الى ذلك، فان الامر استمر بعد الحرب. فقد احتفظت الولايات المتحدة باسرى الحرب الالمان حتى منتصف سنة ١٩٤٦، كما اعتقد. لقد استخدموا في العمل الاجباري، وضربوا، وقتلوا. وكان الامر اكثر سوءاً في انكلترا. فقد احتفظوا بهم حتى ـ كما اعتقد ـ منتصف سنة ١٩٤٨. وكان هناك كل ما هو غير قانوني: العمل الاجباري، والعنف، وغير ذلك.

وفي نهاية المطاف، كان هناك رد فعل جماهيري في بريطانيا. وكانت (بيغي دوف) ـ امراءة مدهشة، توفيت قبل سنتين ـ هي التي بدأت ذلك، واصبحت في وقت متأخر من حياتها عضوا بارزا في حركة السلم العالمي خلال سنوات الستينات والسبعينات. وقد بدأت سيرتها الوظيفية باحتجاج ضد معاملة اسرى الحرب الالمان.

بشكل عرضي، لماذا اسرى الحرب الالمان فقط؟ ما الذي كان يحدث لاسرى الحرب الايطاليين؟ اننا لا نعلم اي شيء. السبب في ذلك هو ان المانيا بلد فعال جدا. فقد عملوا على نشر مجلدات من الوثائق المتعلقة بما حدث لاسرى الحرب الالمان. لكن ايطاليا كانت ذات طبيعة مختلفة عن المانيا. وفي ذلك الوقت، على الاقل، لم يكن هناك اي بحث او دراسة عن المعاملة الاكثر سوءاً، المؤكدة، لاسرى الحرب من الايطاليين.

استطيع ان اتذكر ذلك كطفل. كان هناك معسكر لاسرى الحرب بجانب مدرستي الثانوية. كان هناك خلاف بين اوساط الطلبة حول قضية الطلاب الذين يوبخون الاسرى بطريقة ساخرة ومهينة. كانت هناك مجموعة منا اعتقدت ان هذا كان مرعبا واعترضت عليه، ولكن قلة قليلة قالت ان ذلك ليس هو اسوأ ما في الامر، بالطبع.

د.ب: في الوقت نفسه فان هذا الامر كان يحدث مع اسرى الحرب بعد الحرب العالمية الثانية. كانت هناك عملية Paper Clip ويصف (كريس سمبسون) هذا في كتابه الذي يحمل عنوان (Blowback) وقد بحثت انت ذلك ايضا. لقد اشتمل الامر على استيراد ـ على نطاق واسع ـ مجرمي الحرب النازيين البارزين، علماء الصواريخ ... الخ.

لقد كان ذلك جزءاً منه. لكن الامر في الواقع كان اسوأ من ذلك بكثير.

لقد كانت هناك ايضا عملية تشمل الفاتيكان ووزارة الخارجية الامريكية والاستخبارات الامريكية ـ البريطانية، والتي اخذت بعض اسوأ المجرمين النازيين، مثل (كلاوس باربي) واستخدمتهم. لقد اضطلعت المخابرات الامريكية بكلاوس باربي واعيد الى العمليات التي كان النازيون قد كلفوه القيام بها. وفيما بعد، حينما اصبح الامر قضية، اشار بعض مشرفيه الى انهم لم يروا علام كانت كل هذه الجلبة. قالوا: كنا بحاجة الى رجل ليهاجم المقاومة. تحركنا. حللنا مكان الالمان. كانت لدينا المهمة نفسها التي كانت لديهم، وأعني تدمير المقاومة، وكان يوجد هنا رجل متخصص. كان يعمل لصالح النازيين لتدمير المقاومة، لذا سيكون من الافضل ان يوضع لمواصلة العمل نفسه بالضبط من اجلنا، حينما تحركنا لتدمير المقاومة.

وهكذا، فان باربي عمل لصالح الامريكيين مثلما عمل لصالح النازيين. ولما لم يعد باستطاعتهم حمايته اكثر من ذلك، انتقلوا الى عملية إيجاد موطيء قدم لهم في الفاتيكان، مع كاهن نازي كرواتي وآخرين. وعملوا على خطفه الى امريكا اللاتينية حيث تواصلت سيرته الوظيفية. في الواقع، اصبح سيد مخدرات كبيرا، وتورط في انقلاب عسكري في بوليفيا، وكل ذلك بتأييد امريكي.

كان كلاوس باربي مديراً صغيرا. كان هناك اناس اكبر بكثير. حاولنا اخراج (وولتر راوف) الرجل الذي ابتكر غرف الغاز، الى تشيلي. آخرون ذهبوا الى اسبانيا الفاشية. كانت تلك عملية كبيرة اشتملت على العديد من النازيين الكبار. كان ذلك فقط هو البداية. كان (رينارد غيلن) العنصر القيادي. كان رئيس الاستخبارات العسكرية الالمانية على الجبهة الشرقية. وليس عليّ ان أخبرك ما يعني ذلك. اننا نتحدث الآن عن اوزفيتش ومعسكرات الموت الجماعي.

تمت السيطرة على غيلن بسرعة من قبل الاستخبارات الامريكية وأسند اليه الدور نفسه. كانت الولايات المتحدة تدعم الجيوش التي أسستها المانيا في اوروبا الشرقية. واستمرت الولايات المتحدة في دعمها على الاقل حتى مطلع سنوات الخمسينات.

وقد ادى ذلك الى ان اخترق الروس المخابرات الامريكية. ولذلك فان عمليات الانزال الجوي لم تعمل بشكل جيد. لكنهم كانوا يحاولون دعم جيوش هتلر في اوروبا الشرقية. لقد اعيد غيلن الى العمليات التي كان قد نفذها في ظل الحكم النازي. اضافة الى ذلك، فان الالمان ـ كما يدعونهم ـ متخصصون في الارهاب المضاد، اي ان الناس الذين كانوا يحاربون المقاومة والانصار، قد تمت السيطرة عليهم من قبل الجيش الامريكي. وقد استغلت سجلاتهم وخدماتهم لايجاد مبدأ العصيان المضاد.

في الحقيقة، ان تنظر في ادبيات الجيش الامريكي المتعلقة بالعصيان المضاد، تجد أن الكثير مما تم الافراج عنه الآن، يبدأ بتحليل كتب مدرسية كتبت بالتعاون مع ضباط نازيين تسجل الخبرة الالمانية في اوروبا. وتصف هذه الكتب كل شيء من وجهة النظر النازية، ايٌّ مِن تقنيات السيطرة على المقاومة كانت ناجحة، وايها تلك التي أخفقت. ويبحث هذا بشيء من التفصيل من قبل (ميشال ماك كلنتوك) في كتاب يحمل عنوان Instrument of Statecraft وهو كتاب جيد جدا لم ار على الاطلاق انه تمت مراجعته. انه كتاب ايضاحي تماما فيما يتعلق بهذا الموضوع.

د.ب: هذا يشكل طباقا مهما مع افتتاح متحف الكارثة Holocaust في واشنطن د.سي. والشعبية الآخذة في الانتشار حالياً لفيلم ستيفن سبيلبرغ الذي يحمل عنوان قائمة شندلر، اي ان الولايات المتحدة لم تكن منهمكة بشكل بليد في تجنيد مجرمي الحرب

الالمان، ولكن كانت في الواقع منهمكة بشكل نشط. هل تقول فيما يتعلق بهذا انه اذا كتب تاريخ حقيقي لنتيجة الحرب العالمية الثانية فإن هذا الامر سيكون الجزء الاول؟

سيكون هذا جزءاً من الفصل الاول. ان تجنيد مجرمي الحرب النازيين وانقاذهم لامر سيء بما فيه الكفاية، لكن مواصلة النشاطات التي قاموا بها لامر اسوأ. ان الفصل الاول لتاريخ ما بعد الحرب ـ من وجهة نظري ـ سيكون وصف العمليات البريطانية والامريكية ـ في المقام الاول العمليات الامريكية ـ في مختلف انحاء العالم لتدمير المقاومة المناهضة للفاشية واعادة النظام الفاشي التقليدي الى السلطة.

وقد اتخذ ذلك اشكالاً متعددة في اجزاء مختلفة في العالم، في كوريا، حيث قمنا بذلك منفردين. كان ذلك يعني قتل نحو ١٠٠٠٠٠ انسان فقط في اواخر سنوات الاربعينات، قبل ما اسميناه بالحرب الكورية. وفي اليونان كان ذلك يعني دعم اول حرب عصيان مضاد، والتي دمرت المقاومة ذات القاعدة العمالية والفلاحية المناهضة للنازية وأعادت المتعاونين الى السلطة.

اما ايطاليا فانها حالة مثيرة جداً. فالكثير من المعلومات بدأت بالظهور الآن. لقد اراد البريطانيون اولاً، ثم الامريكيون، تدمير حركة المقاومة ذات الدلالة البالغة. كانت المقاومة قد حررت معظم شمالي ايطاليا، وأراد الامريكيون استعادة النظام الفاشي، مثلما اراد البريطانيون. هذا هو حزب العمال البريطاني. في الجنوب، استعادوا ببساطة النظام الفاشي، الصناعي. حاول الامريكيون انتخاب فاشيين قياديين، مثل (دينو غراندي) لكن الايطاليين لم يقبلوا ذلك، فأخذوا بطل حرب ايطالي، هو (بادوغليو) واستعادوا النظام القديم.

لكن المشكلة الكبرى كانت حينما وصلوا الشمال. هناك كان الايطاليون

محررين. فقد طرد الالمانيون على يد المقاومة الايطالية. كانت المنطقة تعمل. الصناعة كانت تعمل. في البداية كان على بريطانيا ثم الولايات المتحدة ان تعملا على تفكيك ذلك كله واستعادة النظام القديم. ان موقفيهما مثير للغاية. فقد ظهر الآن في كتب. هناك كتاب وضعه عالم ايطالي هو (فيديريكو روميرو) والذي يصف هذا الامر بواقعية شديدة. الانتقاد الكبير للمقاومة كان انها كانت تطرد «الملاك» القدامى لصالح العمال الشعبيين وسيطرة المجتمع. كان هذا يدعى «صرفا اعتباطيا» للملاك الشرعيين. كانوا ايضا يستأجرون ما يسمى «العمال الزائدون» اي كانوا يعطوا اعمالا الى الناس بعيداً عما يسمى بالفعالية الاقتصادية. وبكلمات اخرى، كانوا يحاولون العناية بالمواطنين وكانوا اكثر ديمقراطية. كان يجب ايقاف ذلك. كان التعهد الاول، كما تقول الوثيقة، التخلص من هذا الطرد الاعتباطي للملاك الشرعيين واستئجار العمال الزائدين.

كانت هناك ايضاً مشكلة اخرى اعترفوا بها. بالطبع، فان مشكلة الجوع والبطالة كانت المشكلة الاكثر قسوة بالنسبة الى ايطاليا في ذلك الوقت. لكن تلك هي مشكلة الايطاليين، كما فسرها الملحق العمالي البريطاني. ان مشكلتنا ـ مشكلة القوات المحتلةـ هي التخلص من هذا الاستخدام للعمالة الزائدة والطرد الاعتباطي للملاكين. وبعد ذلك باستطاعتهم ان يشعروا بالقلق فيما يتعلق بالمشكلة الاخرى. كل شخص يتضور جوعا. ويجب عليّ ان اقول ان هذا موصوف بايجابية كبيرة، تظهر كم نحن مطيعون للقانون.

الامر التالي كان محاولة تقويض العملية الديمقراطية وتحطيمها، والتي كانت الولايات المتحدة قلقة جدا بشأنها في ايطاليا. كان من الواضح ان اليسار سيكسب الانتخابات. فقد حصل على الكثير من الهيبة جراء انخراطه في اعمال المقاومة، وانتقص النظام المحافظ التقليدي من مصداقيته. الولايات المتحدة لن تحتمل ذلك. ان المذكرة الاولى للاجتماع الاول لمجلس الامن

القومي المشكل حديثا عام ١٩٤٧ مكرسة لذلك. كـانت هذه قضية رئيسة. لقد قرروا العمل على تقويض الانتخابات وبذلت مساعٍ كبيرة لتقويض الانتخابات، وتمت ممارسة كل انواع الضـغط لضمان ان النظام الديمقراطي لن يسـتطيع العمل وان رجالنا سيتدخلون.

ذلك مثـال اعيد احيـاؤه. نيكاراغوا حاليـا قضية اخـرى. انك تخنقهم. انك تجوعـهم. ثم يكون لديك تصويت حـر وكل شخص يتـحدث عن كم هي الديمقراطية مدهشة. كانوا متخوفين من ان العنف والقسر ربما لا يعملان. اعيد البـوليس الفـاشي وكسـارو الاضـرابات. قالوا: في حـال كـسب الشـيوعـيين الانتخابات الديمقـراطية بشكل شرعي، فان الولايات المتحـدة سوف تعلن حالة الطوارىء القـومية، وتـضع الاسطول السادس على اهبـة الاستـعداد في البـحر الابيض المتوسط، وتدعم النشاطات شبه العسكرية للاطاحة بالحكومة الايطالية. ذلك هو NCS1، اول تقرير لمجلس الامن القومي.

كان هـناك اناس آخرون اكـثر تطرفـا مثل (جـورج كينان) الذي قـال بان علينا ان نغـزو المنطقـة، وذهب الى أبعد من ذلك قـائلاً: بل لم لا نمنعـهم من اجراء الانتـخابات. حـاولوا كبحـه، معتـقدين ان التـدمير والارهاب والمجـاعة ستفعل ذلك. وقد حصل ذلك. ثم تظهر متابعة طويلة حتى سنوات السبعينات على الاقل، حينما جفت السجلات.

ربما مـا يزال الامـر مـستمـرا. من المحتـمل ان الجـهـد الرئيس لوكـالة المخابرات الامريكيـة في العالم كان تدمير الديمقـراطية الايطالية بدءاً من سنوات الاربعينات وحتى فتـرة قريبة جداً، بما في ذلك، دعم المحافل الماسونيـة اليمينية المتطرفة، والعناصر شبه العسكرية، والارهابيين، وغير ذلك. قصة بشعة جداً.

ان تنظر الى كل من فرنسا، وألمانيا، واليابان، سترى الامر نفسه. وذلك

مـا يجب ان يكون هو الفـصل الاول في تاريخ مـا بعد الحـرب. ان الشـخص الذي فتح هذا الموضوع ومواضيع اخرى عـديدة كان (غابرييل كولكو) في كتابه الكلاسي الذي يحـمل عنوان Politics of War الصـادر عـام ١٩٦٨ والذي تم تجاهله على نحـو مخجل فـعلا. انه قطعة رهيـبة. لم يكن بين يديه الكثـير من الوثائق حينذاك، لكن رؤيته انتهت لتصبح دقيقة تماماً. وقد اصبحت في الوقت الحاضر ملحقة بالكثير من المواد الدراسية المتخصصة.

د.ب: دعنا نتكلم عن حقوق الانسان في اطار معاصر مع واحدة من شركائنا التجاريين الرئيسيين، الصين.

اليوم هـو يوم جيد لـلحديث عن ذلك. فـوزارة الخارجـية نشرت لـتوها تقـريرها عن حـقـوق الانسـان في الصـين. لم اقـرأ التـقـرير كله. فـقط رواية الصحيفة، لكنني راغب في التنبؤ. في القمة الاسـيوية الباسيفيكية التي انعقدت في سيـاتل، كان الانجاز الجوهري الوحـيد هو ارسال المزيد من المعدات التـقنية المتطورة الى الصين، منتهـكين التشريع، وستـقوم الحكومة بتـقديم تفسيـر جديد للسـمـاح بذلك. لقـد وضع التـشـريع بسبـب تورط الصين في التـوالد النووي والصاروخي. لذا فـاننا بالتالي ارسلنا لهم مولدات نووية وسـاتاليتات معـقدة، وكمبيوترات Cary المتطورة. في منتصف تلك الـقمة هناك تقرير ضـئيل يمكنك ان تجـد انه مرتبط بالمواد المتعـقلة بالرؤية الكبرى في آسيـا. ويقول ان ٨١ امرأة قـد احتـرقن حـتى الموت، إذ أقفل عليـهن في مـصنع يقع فـيمـا يسـمى باقليم غواندونغ المزدهر، معجزة الصين الاقتصادية.

بعد مرور يومين قتل ستون عـاملاً في مصنع تملكه هونغ كونغ. وذكرت وزارة العمل الصينيـة ان احد عشر الف عامل قتلوا في حـوادث صناعية خلال الشهـور الثمانية الاولى فقط من عام ١٩٩٣، اي ضعف عدد الذين قتلوا خلال السنة السابقة.

هذه الفظائع والنساء اللواتي اقفل عليهن في المصنع لم تدرج ابدا في تقرير حقوق الانسان. من ناحية ثانية، فانه من الظلم القول ان الممارسات العمالية لم تدرج فيه. ابدا انهم يفعلون. كانت هناك ضجة كبرى تتعلق باستغلال العمال السجناء. قصص على الصفحات الاولى من صحيفة التايمز. انه امر مرعب. العمال السجناء كانوا معارضين لذلك. لكن حبس النساء في مصانع في مشاريع مملوكة اجنبيا حيث احترقن حتى الموت، هو واحد من تلك الاشياء التي تحدث.

ما الفرق؟ بسيط جدا. ان العمال السجناء لا يسهمون في المنفعة الخاصة. ذلك مشروع دولة. العمال السجناء في الواقع يقوضون الارباح الخاصة لانها تنافس الصناعة الخاصة. من ناحية اخرى، فان حبس النساء في مصانع حيث يحترقن حتى الموت يسهم في الارباح الخاصة. لذلك فان تشغيل العمال السجناء خرق لحقوق الانسان ،لكن ليس هناك حق بعدم الاحتراق حتى الموت. في الحقيقة، ذلك جزء من النظام الرأسمالي. اننا لصالح ذلك. ان الناس يمكن ان يحترقوا حتى الموت، لكن علينا ان نصل بالارباح الى حدها الاعلى. من ذلك المبدأ كل شيء يتبع. معارضة لعمال السجناء، الى الصمت عن احد عشر الف عامل قتلوا في حوادث صناعية.

د.ب: نظريات الديمقراطية تملأ الهواء، ومستشار الرئيس كلينتون لشؤون الامن القومي (انتوني ليك) يشجع توسيع الديمقراطية في الخارج. هل يمكنه ان يمدّ ذلك الى الولايات المتحدة؟

لا استطيع ان اقول لك ما الذي يدور في رأس انتوني ليك، لكن مفهوم الديمقراطية الذي تقدم مفهوم خاص جداً. انه المفهوم الذي يصفه اكثر الناس امانة ودقة. على سبيل المثال، هناك بعض الكتابات المهمة الحديثة التي كتبها (توماس كاروذرز) الذي اشتغل في ادارة ريغان في ما اسموه «مشروع مساعدة

الديمقراطية» خلال سنوات الثمانينات. وله كتب ،ومقالات عدة عن انجازات المشروع .انه يأخذ الالتزام على محمل الجدية، وهو امر غريب.

يقدم كاروذرز تقديرا اكثر دقة. قال: ان الولايات المتحدة سعت الى ايجاد شكل ديمقراطية عليا ـ دنيا، تترك بنى تقليدية من السلطة، مع ما كانت الولايات المتحدة على الدوام تقف الى جانبها، في سيطرة فاعلة. ان ذلك النوع من الديمقراطية حسن. ذلك النوع من الديمقراطية هو الذي يعزز، في البلاد ايضا، شكلا من الديمقراطية الذي يترك بني تقليدية من السلطة في السيطرة، وفي الواقع، في سيطرة اكبر. ان البنى التقليدية للسلطة هي القطاع المتحد ومؤسساته الفرعية. واي شكل من الديمقراطية يتركهم بدون تحدي، يكون مقبولاً. واي شكل يقوض سلطتهم لا يمكن احتماله ابداً.

د.ب: يجب ان يكون لدينا تعريف معجمي للديمقراطية ثم التعريف العملي.

التعريف العملي شيء يشبه ذلك الذي وصفه وانتقده ثوماس كاروذرز. ان التعريف المعجمي هو ان للديمقراطية الكثير من الابعاد المختلفة. لكن تقريبا، ان المجتمع يكون ديمقراطيا الى المدى الذي توجد فيه للناس فرصة ذات معنى ليكون لهم دور في تشكيل السياسة العامة. وبقدر ما هو ذلك صحيح، فان المجتمع ديمقراطي، وهناك الكثير من الطرق المختلفة التي يمكن ان يكون ذلك فيها صحيحا. باستطاعة المجتمع ان تكون لديه الزخارف الشكلية للديمقراطية وان لا يكون ديمقراطيا على الاطلاق. الاتحاد السوفيتي ـ على سبيل المثال ـ لديه انتخابات.

د.ب: لقد علقت ان الولايات المتحدة لديها ديمقراطية شكلية. لكن ما هو محتوى هذه الديمقراطية فيما يتعلق بالمشاركة الشعبية؟

المحتـوى بشكل عام كان اكـثر ضآلة. هناك تغـييرات، لكن على امـتداد فترات طويلة، فان انهـماك الجمهور في تخطيط السياسة العـامة او تنفيذها كان هامـشياً تمـاماً. انه مـجتـمع يديره قطاع الاعـمـال. ولفـتـرة طويلة، عكست الاحزاب مصالح قطاع الاعمال.

احـدى ترجمـات هذه النظرة ـ التي اعتـقد انـها تمتلك الكثير من القـوة خلفـهاـ هي مـا يدعوه العـالم السياسي (ثومـاس فيـرغسـون) نظرية استـثمـار السياسـة. وهو يناقش قـائلا: انه منذ مطلع القـرن التاسع عـشر، فـان ميـدان التنافس السياسـي كان ملكيـة يوجد فـيـها نزاع على السـلطة بين مجـموعـات المستـثمرين الـذين يلتحمـون مع بعضهـم فيمـا يتعلق ببعض المـصالح المشتـركة ويستـثمرون ليسيطروا على الدولة. ان الذين شـاركوا هم الذين يمتلكون الموارد والقوة الخاصة ليـصبحوا جزءاً من ائتلاف المسـتثمرين. ويقول اعتـقد ان فترات طويلة من التسوية السياسية ـ حـينما لا يحدث ان يكون هناك الكثير من السمة الرئيسـة في النظام السياسي ـ هـي فترات اتفقـت فيها مـجموعـات المستـثـمرين الرئيسـة اتفاقـاً تاماً حـول ما الذي يجب ان تبدو عـليه السيـاسات العـامة. ان لحظات النزاع الـتي ظهـرت، مـثل البـرنامج الجـديد، هـي قـضـايا تجـد بعض الاختلافات في وجهة النظر بين اوساط مجموعات المستثمرين.

لذا في فـترة البـرنامج الجديد كـانت هناك تجـمـعات مـتعـددة لرأس المال الخاص والتي كانت تتنازع على عدد من القضايا.

د.ب: انك تصور الشركات المتحدة على انها متعارضة مع الديمقراطية. وتقول: ان نطبق المفاهيم التي نستخدمها على التحليل السياسي نجدها فاشية. فاشية مصطلح اتهامي عال. فما الذي تقصده؟

اقصد فاشية بالمعنى التقليدي. لذا، حينما يصف شخص مثل (روبرت سكيدلسكي) النظم المبكرة لفترة ما بعد الحرب على انها على نمط من الفاشية، فانه يعني ببساطة نظام التنسيق الحكومي للقطاعات المتحدة. انه يوحّد العمال، ورأس المال، وغير ذلك، تحت سيطرة اولئك الذين يمتلكون القوة. ذلك الذي كان نظاما فاشيا تقليديا. انه مطلق. والسلطة فيه تتجه من الاعلى نحو الاسفل. حتى النظام الفاشي باستطاعته التباين في الطريقة التي يعمل بها، لكن الحالة المثالية هي السيطرة من الاعلى الى الادنى مع اتباع الجماهير التعليمات.

دعنا ننظر الى شركة متحدة. الفاشية مصطلح يطبق على الميدان السياسي، وهكذا فانه لا يطبق على نحو صارم على الشركات المتحدة. لكن ان تنظر فيما هي عليه، تجد ان السلطة تتجه على نحو صارم من الاعلى الى الادنى، من هيئة المديرين الى المديرين ذوي المرتبة الادنى، واخيرا الى الناس في طابق المتجر. وغير ذلك. ليس هناك من تدفق للسلطة او التخطيط من الادنى الى الاعلى. ويستطيع الناس ايقاع الفوضى وتقديم الاقتراحات، لكن الامر نفسه صحيح في مجتمع العبودية. ان بناء السلطة خطي، من الاعلى الى الادنى، وفي النهاية يعود الى الملاك والمستثمرين. اما بالنسبة الى هؤلاء الذين ليسوا جزءاً من تلك البنية، فليس لديهم شيء ليقولوه فيما يتعلق بذلك. باستطاعتهم ان يختاروا تأجير انفسهم اليه، والدخول في النظام ضمن مستوى معين، ويتبعوا التعليمات من الاعلى ليعطوها الى الادنى. باستطاعتهم ان يختاروا شراء السلع والخدمات التي تنتجها. وهذا كل ما في الامر. تلك هي مجموعية انهماكهم في اعمال الشركة المتحدة.

ذلك نوع من المبالغة لان الشركات المتحدة عرضة لشيء من المتطلبات القانونية وهناك درجة محدودة نوعاً ما من السيطرة الشعبية. هناك ضرائب

واشياء اخرى. ان ذلك يعكس المدى الذي يكون فيه النظام البرلماني ديمقراطيا. ان الشركات المتحدة اكثر استبدادية من الامور التي ندعوها استبدادية في النظام السياسي. انها واسعة. اننا لا نتحدث عن جزر صغيرة معزولة في بحر ضخم. اننا نتحدث عن جزر هي بحجم البحر. ان عملياتها ـ مشتملة على الكثير مما يسمى «تجارة» ـ تدار بشكل رئيسي من قبل ايدي مرئية، والتي يمكن يمكن ان تدخل تشويهات سوقية قاسية. لهذا، على سبيل المثال، فان شركة لها متنفس في بورتوريكو يمكن ان تقرر اخذ ارباحها في بورتوريكو بسبب الحسم الضريبي وتغيير نظام التسعير ـ ما يسمى تحويل التسعير ـ وبالتالي لا يبدو انهم يعملون ارباحا هنا. هناك تشويهات سوقية قاسية، كما هو فعلا، في اي شكل من اشكال التخطيط الداخلي. انه جزء جوهري جدا ونام من التفاعلات عبر الحدود، والذي يجب حقيقة ان لا يسمى تجارة.

ان نحو نصف ما يسمى صادرات امريكية الى المكسيك هو تحويلات بين شركة واحدة. انها لا تدخل السوق المكسيكي. ليس هناك شعور ذو معنى فيما يصدرونه الى المكسيك. انه يعني ان شركة فورد موتور لديها اجزاء اساسية مبنية هنا وتقوم بشحنها الى مصنع يمكن ان يكون على الجانب الآخر من الحدود حيث يحصلون على اجور ادنى وليس عليهم ان يشعروا بالقلق فيما يتعلق بالتلوث وبالنقابات، وبذلك النوع من الهراء. ثم يقومون باعادة شحنها الى هنا، وليس لدى المكسيك ما تقوم به ازاء ذلك.

وطبقا لآخر الارقام التي رأيتها، فان نحو سبعين بالمائة من الصادرات اليابانية الى الولايات المتحدة كانت تقع ضمن هذا التصنيف. ان هذه تشويهات سوق رئيسة، ومتنامية. حينما يقول الناس ان NAFTA و GATT هما اتفاقيتا تجارة حرة، فان هناك مجالات عديدة لا يبدو فيها هذا القول صحيحا. وبعض

هذه المجالات ان اتفاقيتي حقوق المستثمرين هاتين، كما يجب ان يطلق عليهما، توسعان سلطة وقوة الشركات العالمية و الموارد المالية. وهذا يعني توسيع قدرتها على القيام بعمليات تشويه سوق داخلياً.

اذا رغبت في الحصول على معيار لنتائج تشويه مباديء السوق، والتي لا اعتقد ان شخصاً ما قام بها، فمن المحتمل ان تجد ان ذلك امر له دلالة تماماً. ان اشياء مثل تغيير التسعير لزيادة الحد الأعلى من الفائدة هي اكثر او اقل مكافأة لحواجز غير تعريفية للتجارة ولقيود التصدير التطوعية. لكنني اعرف عن عدم وجود تقديرات لتدخل الشركات المتحدة داخليا في عمليات السوق بذات الطريقة. ربما تكون ضخمة من حيث الحجم وعلى ثقة من انها ستمتد من خلال اتفاقيات التجارة. تلك مؤسسات استبدادية ضخمة والتي هي ذات طبيعة سوق محتكر مع كثير من التدخل الحكومي. هناك عوامل سوق تؤثر فيها، لكن داخليا، ليس لديها الا القليل لتصبر على مباديء السوق، وهي استبدادية. لذلك، حينما يتحدث اناس مثل انتوني ليك، ـ للعودة الى النقطة الاساسية ـ عن ديمقراطية سوق اخذة في الاتساع، فانهم يعملون على توسعة شيء ما، ولكن ليس توسعة السوق، وليس توسعة الديمقراطية.

د.ب: انك تصف التجارة الحرة على انها حماية للاغنياء، في حين ان نظام السوق هو للآخرين.

هذا ما يتحدر. لذا، فان الفقراء هم فعلا عرضة لنظام السوق. الاغنياء ليسوا كذلك. الايديولوجية تدعو الى ما يسمى اسواق عمالية مرنة. ان الاسواق العمالية المرنة هي اسلوب خيالي للقول بانك حينما تذهب الى النوم في الليل فانك لا تعرف فيما اذا كان سيكون لديك عمل صباح الغد. هذا هو السوق العمالي المرن. وهو يتزايد بفعالية. ان اي اقتصادي باستطاعته ان يثبت

ان ذلك يزيد من الاستخدام الفاعل للموارد اذا لم يكن لدى الناس امن وظيفي. تلك هي طبيعة نظام السوق الذي سيكون الفقراء عرضة له. لكن الاغنياء يمتلكون اشكال الحماية بكل انواعها. وقد تم ايضاح هذا على نحو دراماتيكي في الانتصار الرائع لكليتون خلال القمة الباسيفيكية الآسيوية، حينما قدم ما وصفته الصحافة برؤيته الكبيرة لمستقبل السوق الحر. انتقى انموذجه لمستقبل السوق الحر شركة بوينغ، التي استمدت ثروتها وقوتها بشكل اساسي من تدخل الدولة. تلك حماية من اجل الاغنياء.

انعكاسات على الديمقراطية

١١ نيسان ١٩٩٤

د.ب: لقد عدت لتوك من منطقة سان فرانسيسكو باي حيث كانت جولاتك المعتادة من الاحاديث، والمقابلات، والاستقبالات. فهل ثمة شيء مختلف فيما يتعلق بهذه الرحلة؟

هناك اثر ملفت للنظر فيما يتعلق بالناس الذين شاهدوا فيلم أكبار ـ وينتونيك والذي يحمل عنوان Manufacturing Consent. كثيرون من الناس تعرفوا الي في حرم الجامعة وفي الشوارع. وفيما عدا ذلك، فان الامر عادي لما اجده في انحاء البلاد. انه يتخذ شكلا مختلفا الى حد ما في اماكن مختلفة. انه مركّب من الرعب بين اليأس من ناحية والجوع الى القيام بشيء ما واقتراح ما كطريق للتقدم من الناحية الاخرى.

د.ب: هل تشعر بالقلق من ان هذه الرؤية المتزايدة والادراك يمكن ان تثبطك بشكل ما؟

ان في ذلك ميزة اعتقد انها مفرطة التعاسة وان ذلك يمكن ان يكون في الواقع متأصلا في محيط الفيلم وايضا في الانهيار العام للانتلجنسيا اليسارية، واعني النزعة نحو شخصنة القضايا وفرض سوء فهم خطير يتعلق بالطريقة التي تحصل بها الاشياء، كما لو انها تحدث الآن، لان الافراد يظهرون ويقودون الناس، في حين، في الواقع، ان ما يحدث هو ان الناس يتنظمون، وبين فينة واخرى سوف يعينون ناطقا باسمهم.

د.ب: دعنا نتحدث عن الديمقراطية. حينما يتحدث المنظرون الديمقراطيون عن «الغوغاء» فمن يقصدون بذلك؟

انهم يقصدون عموم الناس الذين دعوا في السنوات السابقة بالغوغاء، وفي السنوات الاخيرة دعوا بـ «الدخلاء الجهلة الفضوليون». ان يكونوا اكثر تهذيبا فانهم يدعونهم «الجمهور العام».

د.ب: لماذا من الضروري ابقاء الغوغاء قيد الانضباط؟

أي شكل من السلطة المركزة، مهما كان، لا ينوي ان يكون عرضة للسيطرة الديمقراطية الشعبية، او ـ بقدر ما يتعلق الأمر بذلك ـ لنظام السوق. ان القطاعات القوية، بما فيها اصحاب الثروة المتحدين، معارضون بشكل طبيعي للديمقراطية العاملة، بالنسبة الى انفسهم، على الاقل. انه امر طبيعي. انهم لا يريدون قيودا خارجية على قدرتهم لاتخاذ القرارات والتصرف بحرية. وذلك يستلزم أن تكون النخب غير ديمقراطية بشكل مفرط.

د.ب: وهل كان ذلك دائما هو القضية؟

على الدوام. بالطبع، ان الامر يختلف بشكل ضئيل جدا لان هناك اشكالا معينة من الديمقراطية مرغوبا فيها، ما يسمى احيانا «الديمقراطية الشكلية». ان النظرية الديمقراطية المعاصرة هي ببساطة اكثر تعقيدا ووضوحا عما كانت عليه في الماضي. انها تتبنى وجهة النظر القائلة ان دور الجمهور« الدخلاء الجهلة الفضوليون» كما دعاهم (وولتر ليبمان) هو ان يكون دور «المتفرجين» لا «المشاركين» الذين يظهرون كل سنتين ليصادقوا على قرارات اتخذت في مكان ما او ليختاروا بين ممثلي القطاعات المهيمنة فيما يسمى بالانتخابات. ان ذلك الشكل من الديمقراطية مقبول، وهو فعلا مساعد لانواع معينة من الجماعات الحاكمة، واعني اولئك الذين في مجتمعات اكثر او اقل رأسمالية، وبالفعل

البرجوازية الناشئة قبل قرن او اثنين من الزمان. لسبب واحد، فان ذلك له نتيجة شرعية، ولسبب آخر، فانه يقدم خيارات مهمة للقطاعات الاكثر امتيازا التي تدعى احيانا الطبقة السياسية او قطاعات صناع القرار، ربما شيء يشبه ربع السكان في مجتمع ثري.

د.ب: في نقاشات حول الديمقراطية تشير الى تعليقين من تعليقات (ثوماس جيفرسون).

بالقرب من نهاية حياته (توفي سنة ١٨٢٦) وقبيل وفاته بقليل، كان ثوماس جيفرسون قد تحدث بمزيج من القلق والامل عما كان قد تم انجازه. كان هذا بعد مرور خمسين سنة تقريبا على (اعلان الاستقلال). قال عدة اشياء هامة. فقد ميز بين مجموعتين: «الارستقراطيين» و«الديمقراطيين». وهو يعرف الارستقراطيين بانهم «اولئك الذين يخشون الناس ويرتابون فيهم ويرغبون في سحب السلطات كلها منهم الى ايدي الطبقات الاعلى». اما الديمقراطيون فهم «اولئك الذين يتماثلون مع الناس، ويثقون بهم، يدللونهم ويعتبرونهم انهم الاكثر صدقا وأمنا، وبرغم ذلك فانهم ليسوا المستودع الاكثر حكمة للمصلحة الشعبية». لذا فان الديمقراطيين يقولون ان الناس يجب ان يكونوا تحت السيطرة سواء كنت اعتقد ام لا بانهم سوف يتخذون القرارات الصحيحة. ان الارستقراطيين يخشون الناس ويرتابون فيهم ويقولون ان الطبقات العليا سوف تأخذ السلطات كلها.

ما دعاه بالارستقراطيين يتضمن الانتلجنسيا الحديثة سواء في تشكيلتها اللينينية او في التشكيلة التي تظهر في ديمقراطيات الدولة الرأسمالية. وهكذا فان هؤلاء الذين يحذروننا من «الدوغماتية الديمقراطية فيما يتعلق بالرجال الذين هم احسن قضاة لمصالحهم السياسية» يقولون انهم ليسوا افضل قضاة، بل نحن. واستشهد باحد مؤسسي العلوم السياسية المعاصرة (هارولد لاسوويل)

الذي يمثل وجهة نظر معيارية. انهم ما دعاه جيفرسون بالارستقراطيين. ان رؤيتهم فيها شبه وثيق بالمبدأ اللينيني القائل بان الحزب الطليعي للمفكرين الراديكاليين يجب ان يتسلم السلطة ويقود الجماهير الغبية الى مستقبل مشرق. هذه الرؤى سرت عبر اوساط الجماعات التي تعتبر بمثابة مفكرين موثوقين في مجتمعاتهم. وفي الحقيقة، فان هذا هو انتصار ارستقراطيي ثوماس جيفرسون، وهو الشيء الذي خشي وامل في امكانية عدم حدوثه، لكنه بالفعل حدث، ليس في الاشكال التي تنبأ بها كلية، ولكن ضمن الصفة العامة. ان هذه التبصرات ـ التي كان جيفرسون من اوائل المتحدثين عنهاـ استمرت طوال القرن التاسع عشر.

وفيما بعد، قام (باكونين) بتمييز مشابه، متنبئا ان الطبقات المثقفة الآخذة في ان تصبح مرئية كعنصر مستقل في العالم سوف تنقسم الى مجموعتين، اولئك الذين دعاهم «البيروقراطية الحمراء» وهم الذين سيتسلمون السلطة ويخلقون اكثر انواع الحكم الاستبدادي حقدا وفسادا في التاريخ الانساني، واولئك الذين سيتوصلون الى ان السلطة تكمن في القطاع الخاص وسوف تصبح الخدم المفكرين للدولة والسلطة الخاصة فيما نسميه اليوم مجتمعات الدولة الرأسمالية، وبلغته، سوف «تضرب الشعب بعصا الشعب» اي انهم يدعون الديمقراطية في حين انهم يخدمون، كما دعوا فيما بعد «رجالا مسؤولين» (ليبمان) والذين سيقومون باتخاذ القرارات واجراء التحليلات والاحتفاظ بـ «القطيع المنذهل» (ليبمان) في ايديهم. هذان تصنيفان لما دعاه جيفرسون بالارستقراطيين. الديمقراطيون موجودون، لكنهم هامشيون على نحو متزايد.

د.ب: تستشهد ايضا بفيلسوف ومثقف القرن العشرين (جون ديوي) في نوع من الارتباط مع جيفرسون. ما الذي لدى ديوي ليقوله عن هذا الموضوع؟

كان ديوي احد اواخر الناطقين بما يمكنك ان تدعوه رؤية جيفرسون عن الديمقراطية. بالطبع، فانه كان يكتب بعد مرور قرن. وجيفرسون نفسه، قبل بضعة سنوات من الملاحظات التي اقتبستها، حذر من خطر وقوع الحكومة في ايدي ما دعاه مرة اخرى «ارستقراطية المؤسسات البنكية و التكتلات الثرية» وهو ما نسميه اليوم «الشركات». وحذر من ان ذلك سيكون نهاية الديمقراطية، وهزيمة الثورة الامريكية .وهذا ما حدث في القرن التالي.

كان ديوي يكتب في مطلع القرن العشرين، وكانت رؤيته تتمثل في ان الديمقراطية ليست غاية بحد ذاتها، ولكنها وسيلة، يكتشف الناس ويوسعون ويظهرون بواسطتها طبيعتهم الانسانية الاصلية وحقوق الانسان، والتي هي متجذرة في الحرية والتضامن واختيار العمل والاشكال الاخرى للمشاركة في نظام اجتماعي ووجود فردي حر. وقال: ان الديمقراطية تنتج اناسا احرارا. ذلك هو «الهدف النهائي» للمجتمع الديمقراطي. ليس انتاج البضائع، ولكن «انتاج كائنات بشرية حرة يرتبط الواحد منها بالآخر بشروط المساواة». لقد اعترف ان الديمقراطية بذلك المعنى كانت نبتة ذابلة جداً.

لقد وصف السياسة على انها «الظلال التي تلقى على المجتمع من قبل مجتمع الاعمال الكبير» واعني من «المؤسسات البنكية والتكتلات الثرية» التي اشار جيفرسون اليها، وهي بالطبع القطاعات الاكثر قوة على نحو واسع هذه الايام. لقد أحس ان تلك الحقيقة اصلاحا محدودا جدا ان لم يكن مستحيلا. وهذه هي كلماته: ما دامت «السياسة هي الظل الملقى على المجتمع من قبل مجتمع الاعمال الكبير، فان توهين الظلال لن يغير الجوهر». لذا فان الاصلاح يمكن ان يحقق بعض الفائدة، ولكنه لن يجلب الديمقراطية والحرية. فهما تقوضان من قبل المؤسسات الكبيرة ذات السلطة الخاصة، والتي هي ـ كما اعترف جيفرسون وليبراليون كلاسيون اخرون ـ مؤسسات مؤيدة للاستبداد

والحكم المطلق. انها غير مسؤولة. انها استبدادية في بنيتها الداخلية. وهي قوية الى ابعد بكثير من اي شيء كان ديوي قد حلم به. لقد اوضح ايضا ـ على وجه الدقة ـ ماهيتها. لقد اوضح على نحو تام انه طالما لا توجد سيطرة ديمقراطية على مكان العمل ـ في المؤسسات البنكية والتكتلات الثرية ـ فسوف تكون هناك فقط الديمقراطية الاكثر محدودية.

د.ب: سؤال يتعلق بعلم المنهج والبحث عندك. انك تسترجع وتحيي مادة قيمة جدا، تتعلق بكل من جيفرسون و باكونين وديوي وادم سميث. هناك قصة سانت اوغستين الرائعة عن القراصنة والاباطرة التي تستخدمها. متى قرات سانت اوغستين فيما يتعلق بالخلاف بين القراصنة والاباطرة؟

لقد لفت انتباهي الى قصة سانت اوغستين صديق هو اسرائيل شاحاك، المعارض الاسرائيلي. لقد ذكر ذلك لي. انها قصة لطيفة.

د.ب: هل تقوم بارشفة وتخزين هذه الامور دائما. لقد استخرجت اقتباسا من (جون جاي) عن ان «اولئك الذين يمتلكون البلاد يجب ان يحكموها». اين وجدت ذلك؟

لقد قرأته في مكان ما.

د.ب: انها خدمة مؤثرة جداً.

هذا الأدب هو كل ما يمكن الحصول عليه. ثوماس جيفرسون وجون ديوي، على سبيل المثال، من الصعب التفكير في اشخاص اكثر بروزا منهما في التاريخ الامريكي. كل هذه الاشياء هي مُثُل امريكية بشكل ممتاز. حينما تقرأ اليوم جون ديوي، او ثوماس جيفرسون، فان اعمالهما تبدو كانها تشبه شيئا من الجنون الماركسي. لكن ذلك يظهر كم فسدت الحياة الفكرية. هذه

تطورات مباشرة من الفترة الليبرالية الكلاسيـة. وبطرق عدة، فانهم استقبلوا صيغتهم المبكرة والاكثر قوة في أحايين كثيرة، في اناس مثل (ويلهم فون همبلودت) وهو شخص كان مدار اهتمامي الى حد كبير، وهو الذي ألهم (جون ستوارت ميل).

كان فون همبلودت احد مؤسسي التقليد الليبرالي الكلاسي في القرن الثامن عشر. وقد أحسّ ـ مثل آدم سميث وليبراليين كلاسيين في الفترة ما قبل الرأسمالية ـ انه في جذور الطبيعة الانسانية تكمن الحاجة الى عمل خلاق حر في ظل سيطرة المرء المستقلة. وذلك يجب ان يكون في قواعد اي مجتمع جدير بالاحترام. وقد وصلت هذه الافكار الى ديوي. وهي بالطبع مناهضة بعمق للرأسمالية من حيث السمة. في القرن الثامن عشر، لم يتكلم آدم سميث عن نفسه كمناهض للرأسمالية لان هذا كان في فترة ما قبل الرأسمالية، ولكن باستطاعتك ان ترى على وجه الدقة الى اين يؤدي هذا. انه يفضي الى النقد الليبرالي اليساري للنظام الرأسمالي، والذي برأيي، انه ينمو بلا تردد بعيداً عن الليبرالية الكلاسية، ويتخذ اشكالا متعددة. انه يتخذ الشكل الديوي لنسخة من سيطرة العمال في الاشتراكية الديمقراطية. انه يتخذ الشكل الماركسي اليساري لاناس مثل (آنتون بانيكويك) و (روزا لوكسمبورغ) ويغذى مباشرة في التقليد الفوضوي ـ الاشتراكي المؤيد لمذهب حرية الارادة. ان هذا كله قد اسيء استعماله او تم نسيانه في الحياة الفكرية المعاصرة. اعتقد ان تلك التقاليد غنية ومتينة على نحو يبعث على الرضا، بل انني اعتقد انه يمكن العودة بها الى اصولها المبكرة في عقلانية القرن السابع عشر.

د.ب: دعنا ناخذ ادم سميث على سبيل المثال. فهو بالطبع المعبود الذي يحتفل به من قبل مجتمع الشركات المتحدة باعتباره عراب النظام الراسمالي. لكن بحثك يكشف معلومات مروعة جداً عن ادم سميث.

انها ليست مروعة في الحقيقة. انها معروفة في ثقافة سميث. لنستذكر ـ على سبيل المثال ـ ان سميث قد اعطى حجة ليبين ان السوق العامل على نحو ملائم سوف ينزع نحو المساواة وان ذلك النظام المثالي سيكون اكثر النظم مساواة. فكلما اقتربت من الوصول الى المساواة، تكون اقتربت من الوصول الى مجتمع مثالي. كذلك فانه ناقش انه في ظل هذه الظروف فقط يمكن للسوق ان يعمل بكفاية. كان شديد الانتقاد لما اسماه بـ «الشركات ذات رأس المال المشترك» والتي نسميها الشركات المتحدة التي كانت موجودة في شكل مختلف تماما في زمانه عما هي عليه الآن. كان متشككاً جداً في هذه الشركات بسبب فصل السيطرة الادارية عن المشاركة المباشرة، وايضا بسبب أن من المحتمل ان تتحول الشركات الى اشخاص خالدين، وهو الامر الذي حصل بالفعل في القرن التاسع عشر، بعد فترة قصيرة من وفاته.

ان ذلك لم يحدث من خلال قرارات برلمانية، ولم يصوت احد عليها في الكونغرس. كان هذا تغيرا له دلالته في المجتمع الامريكي، وفي كل مكان في العالم ايضا، من خلال قرارات قضائية. لقد صنع القضاة، والمحامون المتحدون، وآخرون، مجتمعاً جديداً، يوجد فيه الاشخاص المخلدون ـ واعني الشركات المتحدة ـ الذين يمتلكون السلطة الهائلة. وفي هذه الايام، فان اعلى مائتي شركة متحدة في العالم تسيطر على ما يزيد على ربع الموجودات الكلية، والامر آخذ بالتزايد. في هذا الصباح بالذات نشرت مجلة Forbes قائمتها السنوية التي تتضمن اسماء اكبر الشركات الامريكية، وموجوداتها، وانفاقاتها، ووجدت ان هناك ارباحاً متزايدة، وتركُّزاً اكثر، وانخفاضا في فرص العمل، وهو الاتجاه الذي يسود منذ بضعة سنوات.

د.ب: تقترح انه من اجل تعزيز الديمقراطية، فان من الواجب على الناس «البحث عن بنى فاشية وتحديها، والتخلص من

اي شكل من اشكال السلطة المطلقة والسلطة الهرمية، كيف يمكن لذلك ان يعمل في بنية عائلية، على سبيل المثال؟

في اي بنية، بما في ذلك البنية العائلية، هناك اشكال مختلفة من السلطة. ان العائلة ذات النظام البطركي(الابوي) يمكن ان تكون فيها سلطة صارمة جداً، من الأب عادة، تضع القواعد التي ينصاع الآخرون لها، وفي بعض الحالات، تفرض عقوبات قاسية ان يكن هناك انتهاك لهذه القواعد. هناك علاقات هرمية اخرى بين الاقرباء، بين الام والاب، علاقات جنسوية، وهكذا فان هذا كله يجب ان تطرح اسئلة بشأنه في بعض الاحيان. اعتقد انه باستطاعتك ان تجد ادعاءات شرعية بالسلطة، اي، ان تحدي السلطة يمكن في بعض الاحيان ان يوجد. لكن عبء البرهان يقع على كاهل السلطة. لذا على سبيل المثال، فان بعض اشكال السيطرة على الاطفال مسوغة. انه امر عادل للحيلولة دون وضع الطفل او الطفلة يده في الفرن، او لنقل، دون عبور الشارع اثناء حركة المرور. بل انه امر مناسب وضع قيود واضحة على الاطفال. انهم بحاجة اليها. انهم بحاجة الى ان يدركوا اين هم في العالم. ومع ذلك، فان هذه الاشياء كلها يجب ان يتم القيام بها بحساسية، وبادراك وبوعي ذاتيين، حيث ان اي دور فاشي يقوم المرء به، او اي شخص آخر يقوم به، يتطلب التسويغ .انه ليس تبرير الذات.

د.ب: هذا سؤال صعب. متى ينتقل ذلك الطفل الى حالة الاستقلال الذاتي حيث لا يحتاج الوالدان الى القيام باعباء السلطة؟

لا اعتقد ان هناك صيغا لذلك. وأحد اسباب ذلك، انه ليس لدينا فهم وادراك علميان متينان لهذه الامور. ليس لدينا. هناك مزيج من الخبرة والحدس، وايضا مقدار معين من الدراسة التي تمنح اطارا محدودا من الفهم، يتعلق بقضية اي الناس يمكن ان يكونوا مختلفين. و وراء ذلك، هناك الكثير

من الفروقات الفردية. لذا لا اعتقد ان هناك اجابة بسيطة عن ذلك السؤال. ان نمو الاستقلال وضبط النفس وتوسيع مدى الخيارات الشرعية والقابلية لممارستها أمور آخذة في التنامي.

د.ب: دعنا نتحدث عن وسائل الاعلام والديمقراطية. من وجهة نظرك، ما هي متطلبات الاتصالات في مجتمع ديمقراطي؟

انني اتفق مع آدم سميث حول هذا الامر. اننا نرغب في ان نرى ميلا نحو المساواة. ان المساواة لا تعني الشكل الاضافي المفرط للمساواة في الفرص الذي يعتبر جزءاً من نظام القيم المسيطر هنا. انها تعني مساواة الحقيقة والقدرة في كل مرحلة من مراحل وجود المرء للوصول الى المعلومات والخيارات والقرارات والمشاركة على اساس تلك المعلومات. ولذلك فان نظام الاتصالات الديمقراطي هو النظام الذي يشتمل على مشاركة شعبية ذات حجم واسع، ويعكس، من ناحية، المصالح الشعبية، ومن ناحية ثانية، القيم الواقعية مثل الحقيقة والكمال والاكتشاف، وغير ذلك. ان السعي و انتشار الفهم العلمي ـ على سبيل المثال ـ ليس شيئاً ينتج عن الخيارات البرلمانية. انه ليس كذلك الى حد ما بسبب التمويل، وغير ذلك. لكنه ايضا يتبع طريقه الخاص. وهو يتبع القيم التي هي ذات اهمية بحد ذاتها.

د.ب: في كتابه الاخير (Telecommunications, Mass Media and Democracy) يتحدث (بوب ماك شيسني) عن المناقشة المستمرة بين عامي ١٩٢٨ ـ ١٩٣٥ حول السيطرة على الاذاعة في الولايات المتحدة. كيف انتهت تلك المعركة؟

ان ذلك موضوع مثير جدا، وقدم خدمة مهمة باظهارها. انه وثيق الصلة بالموضوع اليوم، لاننا منهمكون في معركة مشابهة جدا حول هذا المسمى «الطريق العام للمعلومات». في سنوات العشرينات، جاءت الوسائل الرئيسة

الاولى للاتصال الجماهيري بسرعة بعد الصحافة المطبوعة، وتمثلت في الاذاعة. ومن الواضح ان الاذاعة مصدر محدود. لم يكن هناك اي سؤال في ذهن اي انسان من حيث ان الحكومة كانت تنوي تنظيمها. كان السؤال هو: اي شكل سيتخذه هذا التنظيم الحكومي؟

كان هناك بشكل اساسي خياران: بالامكان تقديم هذه التقنية الجديدة، هذا الشكل الجديد من الاتصال الجماهيري، كخدمة جماهيرية، اي ان تكون اذاعة عامة، بمشاركة شعبية، وديمقراطية بقدر ما هو المجتمع كذلك. ان الاذاعة العامة في الاتحاد السوفيتي كانت ديكتاتورية، والاذاعة العامة في كندا او انكلترا ديمقراطية الى حد ما وبقدر ما هما المجتمعان ديمقراطيان، واللذن هما كذلك الى حد ما. وقد تواصل النقاش في مختلف انحاء العالم، على الاقل في المجتمعات الاكثر قوة التي تمتلك خيارات، وانقسمت حول ذلك.

لقد سارت الولايات المتحدة في اتجاه، وبقية العالم ـ ربما كله، لا استطيع التفكير في استثناء ـ في الاتجاه الآخر. ان العالم كله تقريبا سار في اتجاه الاذاعة العامة. واختارت الولايات المتحدة الاذاعة الخاصة. ان كلمة «اختارت» كلمة مضحكة. فتوزيع السلطة في الولايات المتحدة قاد الى تتجير الاذاعة. ليس مائة بالمائة، ولذلك فانه مسموح لك بانشاء محطات اذاعية صغيرة، لنقل، محطة اذاعة جامعية، باستطاعتها الوصول الى بضع مجموعات من المباني. لكنها في الواقع، سلمت الى سلطة خاصة. كان هناك ـ كما يشير ماك شيسني ـ صراع جدير بالاعتبار حول ذلك. فقد كانت هناك مجموعات كنسية وبعض المجموعات العمالية ومجموعات ذات مصلحة عامة، احست ان على الولايات المتحدة ان تسلك الطريق نفسه الذي كانت تسلكه بقية دول العالم. لقد اخفقوا. انه مجتمع يديره مجتمع الاعمال. وذلك يظهر نفسه في العديد من الفروقات بين الولايات المتحدة وبقية العالم الصناعي. والافتقار الى الرعاية الصحية الشاملة مثال بارز آخر.

على اية حال، فان سلطة مجتمع الاعمال كسبت المعركة. والملفت للنظر اكثر، انها كسبت انتصارا ايديولوجيا، مدعية ان تسليم الاذاعة الى سلطة خاصة كان عملية ديمقراطية لان لديك خيارات في السوق. ان ذلك مفهوم عجيب غريب جدا للديمقراطية، والذي يعني ان سلطتك في هذه الديمقراطية تعتمد على كمية الدولارات التي تمتلكها، وخيارات الانتقاء من بين الخيارات المبنية بواسطة التركيز الحقيقي للسلطة محدودة. لذلك فانه مفهوم غريب جدا للديقمراطية، نوع من طبيعة الديمقراطية التي تحصل عليها في مجتمع استبدادي. لكن برغم هذا، فان ذلك كان يعتبر ديمقراطية. وقد حظيت بقبول واسع، بما في ذلك قبول الليبراليين، باعتبارها الحل الديمقراطي. مع حلول منتصف وأواخر سنوات الثلاثينات، كانت تلك اللعبة قد انتهت.

وأعيد لعبها ـ في العالم، على الاقل ـ بعد مرور حقبة حينما ظهر التلفزيون. في الولايات المتحدة لم تكن هناك اي معركة على الاطلاق حول هذا الامر. فقد كان مُتّجراً به بشكل كامل دونما اي نزاع. لكن مرة اخرى في بقية العالم، ربما في بقية العالم كلها، انتقل الى القطاع العام، ومرة اخرى حدث انفصام كبير بين الولايات المتحدة والدول الاخرى. كان هناك تعديل طفيف لهذا في سنوات الستينات. واحد اسباب ذلك ان الاذاعة والتلفزيون اخذتا تصبحان في ذلك الوقت مُتّجرتين الى حد ما في المجتمعات الاخرى، ايضا، كنتيجة لتمركز السلطة الخاصة الذي وجدناه في الولايات المتحدة. في الولايات المتحدة تم في سنوات الستينات افتتاح اذاعة وتلفزيون عامين. ولم تستكشف اسباب هذا على الاطلاق بقدر ما اعلم، لكن ما يبدو ان الذي حدث ان الشركات المتحدة ادركت ان من المزعج لها ان تنفذ المتطلبات الاساسية لهيئة الاتصالات الفيدرالية بتخصيص جزء من عملها لخدمة اهداف المصلحة العامة. وهكذا فقد كان على CBS وغيرها ان يكون لها مكتب كبير، وعدد كبير من العاملين والبيروقراطيين، الذين يضعون كل سنة مع بعضهم

مجموعة من الادعاءات المخادعة حول كيفية انهم نفذوا هذا الشرط التشريعي. ان ذلك بمثابة الم في الرقبة. ومن المحتمل ان هذه الشركات قررت عند نقطة معينة ان من الاسهل بالنسبة اليها طرح العبء كله عن كواهلها والسماح بنظام اذاعي عام صغير وقليل التمويل. وباستطاعتها عند ذلك، القول انه ليس عليها ان تقوم بهذه الخدمة بعد ذلك. ذلك ما حدث. وهكذا يكون لديك تلفزيون عام واذاعة عامة، صغيران، قليلا التمويل.

د.ب: هذا يحدث على نحو متزايد. فمحطة PBS تدعى في بعض الاحيان Petroleum Broadcasting Service.

هذا مرة اخرى انعكاس لمصالح وسلطة نظام مجتمع الاعمال، الواعي طبقيا، والذي يخوض دائما حربا طبقية مكثفة وواعية لذاتها. ان هذه القضايا تظهر مرة اخرى في القرارات التي سوف تتخذ فيما يتعلق بتقنية الاتصالات الجديدة، الانترنت، التقنيات التفاعلية، التي يتم تطويرها، وهلم جراً. ومرة اخرى فاننا سنجد على وجه الدقة النزاع نفسه، انه يدور الآن تماماً.

د.ب: (لورنزو ميلام) هو احد رواد المجتمع الاذاعي في الولايات المتحدة. ويقول التالي حول الاذاعة العامة: «حريتنا التي يجب ان تسمع حل مكانها في الاذاعة برامج البث المباشر الغبية، وبرامج معادة لا نهاية لها من ثقافة السيارة من قبل بوسطنيين امبين، آسف، نعوم «وبرامج اخبارية وطنية تطحن مثل النقانق التجاري. وفي التلفزيون، فان اي حرية للوصول والاطلاع من قبل الفقراء المطرودين استعيض عنها بالاسود الآكلة للنو (الثيتل الافريقي ذو راس كراس الثور وقرنين معقوفين وذيل طويل) (لورنس ويلك) وبرامج تمتد لساعة من الزمن مكرسة لاعجب مواضيع الاراضي المسيحية المخصصة لصيد الطرائد والنزهات. اننا الذين كنا نامل ذات مرة في ان الاذاعة والتلفزيون التجاريين سوف يعايشان

امالنا الاولية، علينا الآن ان نكون راضين عن كشف حقيقة اننا الاكثر امتقاعا فيما يتعلق بامثال (اوبراه) و (جيرالدو) و (ارسينيو) المقحمة بين طقوس ذبح ابنائنا».

لا أرى اي سبب يوضح لماذا كان يجب على الانسان ان تكون لديه آمال بعيدة المدى تتعلق باي شيء غير اعتيادي. على الصعيد التجاري، فان ادارة الاذاعة لها أهداف معينة، واعني الاهداف المرسومة والمقررة من قبل اولئك الذين يمتلكونها ويسيطرون عليها. ان إهدافها هي ان يكون لديها جمهور مطيع غير فعال من المتفرجين في الميدان السياسي غير مشاركين، مستهلكون في الميدان التجاري، وبالتأكيد ليسوا صناع قرار، ومشاركين، مجتمع من الناس الذين هم مقسّمون الى ذرات ومعزولون، وبالتالي فانهم لا يستطيعون ان يتنظموا لوضع مواردهم المحدودة مع بعضها بحيث يصبحوا قوة مركزة. هذا هو بالضبط ما تريده سلطة مجتمع الاعمال الخاصة. من خلال ذلك باستطاعتك ان تخمن تماما طبيعة النظام الذي سيظهر.

د.ب: هل يقرر المالكون دائما المحتوى ويقودونه؟

بشكل ما، فان الامر كذلك. اي، إنْ يذهب المحتوى ـ في اي وقت ـ الى ابعد من الحدود التي ستتحملها الملكية، فانها سوف تتحرك بالتأكيد لتقيده. من الناحية الاخرى فان هذا يسمح بمقدار واسع من المرونة. لذلك فان المستثمرين لا ينزلون الى استديو التلفزيون للتأكد من ان مدير الاخبار او مضيف عرض محلي يقومان بما يريدونه. من الناحية الاخرى، هناك الآليات المعقدة الاخرى التي تجعل من المؤكد، على نحو واسع، انهما سوف يقومان بما يريده المالكون والمستثمرون. هناك عملية تصفية شاملة تمكن الناس من النهوض، من خلال النظام، بأدوار ادارية فقط اذا اظهروا انهم قد ذوّتوا القيم المطلوبة من قبل السلطة الخاصة.

عند تلك النقطة، باستطاعتهم وصف انفسهم على انهم احرار تماما. لذا فانك سوف تجد بين الفنية والاخرى نوع النموذج الليبرالي المستقل المتوهج. انني اتذكر اعمدة كتبها (توم ويكر) تقول: انظروا، لا يخبرني احد بما عليّ أن اقول. انني اقوم باي شيء احسه. انه نظام حر مطلق. وبالنسبة اليه، فان ذلك صواب تماما. فبعد ان اظهر لرضى الرؤساء ـ لكسب رضاهم ـ انه قد ذوت قيمهم، فانه كان حراً كلية في كتابة اي شيء أراده.

د.ب: ضمن الاطار الايديولوجي، فان كلا من PBS وNPR عرضة للهجوم بسبب انهما جناح يساري.

هذا نوع مثير من الانتقاد. الواقع انهما مؤسستا نخبة تعكسان على العموم وجهات نظر ومصالح المهنيين الاثرياء المقربين جدا من دوائر الاعمال بما في ذلك المدراء التنفيذيين للشركات المتحدة. يحدث ان تكون دوائرهما ليبرالية من خلال معايير معينة. اي، ان تجريا استفتاء بين اوساط المدراء التنفيذيين على قضايا مثل حقوق الاجهاض. لم ار على الاطلاق انه قد اجري هذا، لكنني افترض انهما ستكونان الى جانب ما يسمى المجتمع الليبرالي، والامر نفسه بالنسبة الى مجموعة القضايا الاجتماعية. انهما تنزعان الى ان لا تكونا اصوليتين، مسيحيون مولودون من جديد، على سبيل المثال. ربما تنزعان الى ان تكونا اكثر معارضة من الناس العاديين لعقوبة الاعدام. سوف تجد الثروة والامتيازات ـ بما في ذلك المدراء التنفيذيون للشركات المتحدة ومستثمرون كبارا، وهلم جرا ـ عند المجموعة الليبرالية فيما يتعلق بسلسلة كاملة من القضايا. والامر نفسه سيكون صحيحا فيما يتعلق باشياء مثل الحقوق المدنية وحرية الحديث. وباعتبار ان تلك الامور هي مظاهر النظام الاجتماعي الذي منه اكتُسبت فانهما ستنزعان الى تأييدها. ان تنظر الى الدعم الذي تتلقاه نقابة الحريات المدنية الامريكية، فانني على ثقة انك ستجد كثيرا من اصحاب الثروة الخاصة يدعمونها. فبواسطة هذه المعايير، بواسطة هذه المقاييس، فان النخب

القوية التي تهيمن اساسا على البـلاد وتملكها تنزع الى جانب ان تكون ليبرالية. ويعكس ذلك نفسه في مؤسسة مثل PBS.

د.ب: لقد تحدثت في الاذاعة العامة الوطنية مرتين خلال ثلاث وعشرين سنة، في برنامج (ماك نيبل - ليهرر) احداهما خلال سنواته العشرين. ماذا لو انك تحدثت في البرنامج ذاته عشر مرات؟ هل كان الامر سيختلف؟

ليس كثيـرا. لست متأكدا تمامـا من هذه الارقام. لا اردي من اين تأتي، وذاكرتي ليست بتلك الدقـة. على سبيل المثال، فقـد تحدثت في محطات PBS المحلية في مدن هامة.

د.ب: انني اتحدث عن الشبكة الوطنية.

ربما شيء من هذا القبيل صحيح تقريبا. انني لا اعرف الارقام على وجه الدقة. ان ذلك لن يـوجد فرقـا كبيـرا. في الواقع، من وجهـة نظري، اذا كان مديرو النظام الدعائي اكـثر تفكيرا وعقلانية، فانهم يسـمحون بالمزيد من الوقت الضائع لمعارضين ونقـاد حقيقيـين. لان ذلك ما يزال لن يحدث فرقا كـبيرا في الوزن الشامل للدعاية فيما يتعلق بالوجه الآخـر والتأطير المستمر للقضايا، حتى في قصص الاخـبار. وفي تلك الكـتلة الضخمـة من نظام وسائل الاعـلام التي هي مكرسة لحرف الناس وجـعلهم اكثر غباء وسلبية. انهـا ايضا تعطي الانطباع بالنقاش وبالتالي تكون لها وظيفة مـنطقية. ان هذا لا يعني القول انني ضد فتح وسائل الاعلام هذه قليلا، ولكن اعتقد ان لها اثراً محدوداً.

ما تريده انت هو شيء مـا يقدم كل يوم، بشكل شـامل وواضح، صورة مختلفة للعالم، صورة تعكس اهتـمامات ومصالح الناس العاديين، والتي تأخذ شيئا ما يشـبه وجهة النظر عن الديمقراطية والمشاركـة التي تجدها من اناس امثال

جيفرسون، او ديوي. حينما يحدث ذلك، وقد حدث، حتى في مجتمعات معاصرة، فان له اثره. دعنا نقل، في انكلترا، حيث حتى سنوات الستينات كانت هناك وسائل اعلام ضخمة رئيسة من هذا النوع. وقد ساعدت في مساندة واضفاء الحيوية على ثقافة الطبقة العاملة، والتي كان لها اثر كبير في المجتمع البريطاني.

د.ب: في عام ١٩٩٠ اجرينا واحدة من مقابلاتنا العديدة. كانت لنا مناقشة موجزة تتعلق بدور الرياضة ووظيفتها في المجتمع الامريكي. ربما انني حصلت على المزيد من التعليقات على ارائك اكثر من اي شيء آخر. جزء منها كان مقتطفا في Harper's لقد ضغطت على بعض الازرار فيما يتعلق بقضية الرياضة. ماذا عن ذلك؟

لقد نلت بعض ردود الفعل المضحكة، والكثير من ردود الفعل الغاضبة، وكانني كنت بشكل ما اسلب الناس تسليتهم وضحكتهم. ليس لدي شيء ضد الرياضة. انني احب مشاهدة لعبة جيدة في كرة السلة وما يشبه ذلك. من الناحية الاخرى علينا ان نعترف ان هناك دورا تلعبه هذه الهستيريا الجماهيرية فيما يتعلق بمشاهدي الرياضة. انه دور مهم. انها تلعب دوراً في المقام الاول في جعل الناس اكثر سلبية لانك لا تقوم بها. انت تراقب شخصا ما يقوم بها.

ثانياً، انها تلعب دوراً في توليد مواقف متطرفة وشوفينية، تصل في بعض الاحيان الى مستوى متطرف تماماً. لقد رأيت شيئا في الصحف قبل يوم او يومين حول كيف ان فرق المدارس الثانوية منهمكة الآن بشكل انفعالي بالفوز مهما بلغ الثمن، لدرجة انهم لا يستطيعون حتى القيام باشياء مدنية مثل القاء التحية على بعضهم البعض، لانهم على استعداد ليقتل الواحد منهم الآخر. لذلك كان عليهم ان يتخلوا عن مصافحة اليد المتعارف عليها قبل او بعد اللعب.

تلك هي الاشياء التي يولدها مشاهدو الالعاب الرياضية، وعلى نحو

خاص حينما يخططون لتنظيم مجتمع يكون ملتزما هستيريا بمجالديهم، ان ذلك امر خطير جدا، وله الكثير من النتائج المؤذية. علاوة على ذلك، اعتقد ان اشياء تشبه تلك هي امور مفهومة، وهي جزء من النظام التخطيطي، جزء من نظام ضبط العلاقات العامة.

كنت اقرأ منذ فترة ـ ليست طويلة جدا ـ شيئا عن مفاخر الطريق العام للمعلومات. لا استيطع الاستشهاد به على نحو الدقة، لكنني سوف اعيد صوغ الطابع العام. كان ذلك يتحدث عن كم سيكون الامر رائعا مع هذه التقنيات التفاعلية الجديدة. وقد أورد مثالين رئيسين. بالنسبة الى النساء، هو تلك الاساليب المحسنة جدا للتسوق المنزلي. لذا سوف تكون قادرا على مشاهدة الانبوب، وبعض النماذج سوف تظهر مع السلعة ويفترض فيك ان تفكر قائلاً: يا الهي، يجب عليّ ان تكون لدي هذه، وإلاّ فان اطفالي لن يذهبوا الى الجامعة، او ايا كان التفكير. لذا فانك تضغط على زر ويقومون بايصال السلعة الى بابك خلال ساعتين. تلك تقنية تفاعلية تحرر المرأة. في الناحية المقابلة، فان المثال الذي اعطي فيما يتعلق بالرجال كان لعبة Superbowl. ان كل ذكر امريكي، مفعم بالحيوية في البلاد، ملتصق بها. وكل ما باستطاعتهم القيام به الآن هو المشاهدة والهتاف وشرب البيرة. لكن عندما تكون لدينا تقنية تفاعلية، فبالاستطاعة سؤالهم ـ في حين يكون الظهير الربعي يتلقى تعليماته من المدرب حول طريقة اللعب التالية ـ ماذا يجب ان تكون طريقة اللعب. يجب عليه ان يمرر الى لاعب آخر، او شيء ما. سوف يكونون قادرين على ادخال ذلك في كمبيوتراتهم، وسوف تذهب الى موقع مركزي. لن يكون لذلك اي اثر فيما يتعلق بما يفعله الظهير الربعي، لكن بعد اللعبة، فان القناة التلفزيونية سوف تكون قادرة على ان تضع الارقام، ستة وثلاثون بالمائة يجب ان تكون قد مررت. تلك تقنية تفاعلية بالنسبة الى الرجال. الآن، انت تشارك فعلا في العالم. انس ما يتعلق بكل هذا العمل من اتخاذ قرار حول ماذا يجب ان

يحدث بشأن الرعاية الصحية. انك الآن تقوم بشيء مهم فعلا: تقرير اي طريقة لعب يجب على الظهير الربعي ان يتبع. ان ذلك يعكس ادراك وفهم النتيجة المخدرة لهذه الانظمة في جعل الناس سلبيين، مرذذين، مطيعين، غير مشاركين، غير مهتمين، تمكن السيطرة عليهم وضبطهم بسهولة.

د.ب: لقد كان لك ايضا، في الوقت نفسه، الاحتفاء بهؤلاء اللاعبين الرياضيين، او، في حالة (تونيا هاردنغ) على سبيل المثال الشيطنة.

ان تستطع شخصنة الاحداث، سواء اكانت (هيلاري كلينتون) ام تونيا هاردنغ، فانك توجه الناس بعيداً عما هو محور قضية وعما هو مهم. ان عبادة (جون ف. كيندي) مثال جيد مع النتائج التي كانت لها فيما يتعلق باليسار.

د.ب: كنت في الجامعة الامريكية في واشنطن د.سي. في شهر كانون الاول ١٩٩٣. وقف طالب وقال: اليس ذلك رائعاً؟ لدينا الآن لوحات نشرات الكمبيوتر هذه كلها، ولدينا الفرصة لكي نكون على البريد الالكتروني، وتوسيع معلوماتنا وادراكنا... الخ. ولقد صدمت باجابتك. كنت تتكلم عن حاجتنا للمزيد من الاتصال الانساني وانه كان هناك خطر في التقنيات الجديدة.

اعتقد ان هناك اشياء جيدة فيما يتعلق باتصالات الانترنت هذه. وهناك ايضا مظاهر لها تهمني وتقلقني. ان تلك استجابات حدسية. لا استطيع اثباتها. لكن احساسي ان الناس ليسوا من المريخ، ليسوا روبوتات، وان ذلك الاتصال الانساني المباشر، واعني بذلك الاتصال وجها لوجه، جزء مهم للغاية من الحياة والوجود الانساني، ويطور فهما ذاتيا وينمي المسؤولية الصحية وغير ذلك. لديك علاقة مع اشخاص، تكون مختلفة حينما تنظر اليهم اكثر مما تكون عليه حينما تضغط على مفاتيح لوحة وتخرج رموزاً. ان مد ذلك الشكل

من التجريد والعلاقة البعيدة ـ بدلاً من الاتصال الشخصي المباشر ـ تجعل الشك يراودني في ان ذلك ستكون له آثاره غير السارة فيما يتعلق بالشيء الذي يشبه به الناس. اعتقد انها تحط من قيمة الناس.

د.ب: دعنا ننتقل الى مجال اخر. فالمؤرخ (بول بوير) يقول في كتابه When Time Shall Be No More ان «التقارير تظهر ان من بين ثلث الى نصف السكان» هو يتكلم عن الامريكيين «يعتقد ان بالامكان تفسير المستقبل في نبوءات توارتية». هل سمعت عن هذه الاشياء؟

انني لم ار ذلك الرقم الضخم، لكنني رأيت كثيرا من الاشياء التي تشبهه. لقد رأيت دراسة ثقافية مستعرضة قبل سنتين، اعتقد انها كانت قد نشرت في انكلترا، قارنت بين سلسلة كاملة من المجتمعات، فيما يتعلق بمعتقدات من ذلك النوع. وقد كانت الولايات المتحدة خارج تلك الدراسة. لقد كانت فريدة في العالم الصناعي. في الحقيقة، ان معايير الولايات المتحدة كانت مشابهة لمجتمعات ما قبل الصناعة.

د.ب: لماذا؟

ذلك سؤال مثير، لكنه صحيح بالتأكيد. انه مجتمع اصولي جداً. انه يشبه ايران في درجة الالتزام الديني المتعصب. انك تخرج بنتائج مفرطة الغرابة. على سبيل المثال، اعتقد ان نحو خمسة وسبعين بالمائة من السكان يؤمنون بالشيطان. وقد اجري استفتاء للرأي العام قبل عدة سنين حول نظرية النشوء والارتقاء. وسئل الناس عن آرائهم فيما يتعلق بنظريات مختلفة حول النشوء والارتقاء، وحول كيف اصبح العالم على ما هو عليه. ان عدد الناس الذين يؤمنون بنظرية داروين حول النشوء والارتقاء كان اقل من عشرة بالمائة. وكان نحو نصف عدد السكان مؤمنين بالتعاليم الكنسية حول النشوء والارتقاء

المقود الهيا. اما غالبية البقية فقد كانوا يعتقدون ان العالم خلق قبل الفي سنة. وهذا ينتشر خارج الحدود. تلك نتائج غير عادية جداً. لماذا يجب ان تكون الولايات المتحدة بعيدة عن نطاق هذه القضايا التي تم بحثها ومناقشتها لفترة من الوقت؟

اذكر ما قرأته من كتابات عالم سياسي يكتب عن هذه الاشياء هو (ويليام دين برنهام) ربما قبل عشرة او خمس عشرة سنة. فقد قام ايضا بدراسة مشابهة. لقد قال: ربما يكون هذا انعكاسا لنزع التسييس، اي، عدم القدرة على المشاركة في شكل ذي معنى في الميدان السياسي، الذي ربما يكون له اثر مادي اكثر أهمية، بسبب التفاوت الملفت للنظر بين الحقائق والوصف الايديولوجي لها. ان ما يدعى في بعض الاحيان الثقافة المثالية يختلف بشكل جذري جدا عن الثقافة الواقعية فيما يتعلق بنظرية المشاركة الشعبية امام واقع العزلة والعنة. ان ذلك ليس مستحيلا. والناس سوف يجدون بعض الاساليب لتجديد انفسهم، وليصبحوا مترابطين مع الآخرين، وليأخذوا دوراً في قضية ما. سيقومون بذلك بشكل او بآخر. فان لم يكن لديهم خيارات المشاركة في النقابات العمالية، او المنظمات السياسية التي تعمل فعلاً، فانهم سوف يجدون طرقا اخرى. والاصولية الدينية مثال كلاسي.

اننا نرى ذلك يحدث في اجزاء اخرى في العالم هذه الايام، وظهور ما يسمى بالاصولية الاسلامية له اهميته نتيجة لانهيار البدائل القومية العلمانية، التي اما انها شوهت سمعتها، او انها حُطمت، تاركة بضع خيارات اخرى. ان شيئا ما من هذا القبيل ربما يكون صحيحا فيما يتعلق بالمجتمع الامريكي. ويعود هذا الى القرن التاسع عشر. فقد كان بامكانك في القرن التاسع عشر ان تجد بعض المحاولات المتعمدة من قبل قياديي مجتمع الاعمال لتعزيز وتشجيع المتحمسين والواعظين الذين يقودون الناس الى النظر في

طريقة اخرى. والامر نفسه حصل خلال الفترة المبكرة من الثورة الصناعية في انكلترا. ويكتب (اي. بي. ثومبسون) عن هذا الامر في كلاسيته التي تحمل عنوان The Making of the English Working Class .

د.ب: ما الذي سيفعله المرء حول ما قاله كلينتون في حديثه الاخير في State of the Union. لقد قال: «اننا لا نستطيع تجديد بلادنا ما لم تكن غالبيتنا، اعني كلنا، على استعداد للانضمام الى الكنائس».

لا ادري ما الذي في ذهنه على وجه الدقة، لكن الايديولوجية واضحة المعالم جدا. ان تكرس نفسك لنشاطات خارج الميدان الشعبي، فاننا قوم سوف نكون قادرين على ادارتها بشكل مستقيم. ان من المثير جدا رؤية الاسلوب الذي يتم به هذا في منتجات العلاقات العامة للشركات المتحدة يمينية الجناح. ان احدى كبرياتها هي (برادلي فاونديشن)، المكرسة لمحاولة تضييق الطيف الايديولوجي الذي اتجه نحو اليمين في المدارس والجامعات والمؤسسات الايديولوجية عموما خلال سنوات الثمانينات، كجزء من الحرب الايديولوجية المكرسة من قطاع الاعمال. تلك هي مهمتهم. وقد نشر مديرهم (ميشال جويس) مؤخرا مقالة حول هذا الموضوع، وجدتها ساحرة. ولا ادري فيما اذا كان هو قد كتبها ام شخص آخر من قسم العلاقات العامة. لقد كانت ملهمة جداً، في هذا المجال، وقد صنعت بشكل شديد البراعة.

انها تبدأ بلغة منمقة جذابة، ربما خجولة، من اليسار. حينما يبدأ الليبراليون اليساريون او النشطاء الراديكاليون قراءتها، فانه يتولد لديهم احساس بالتعاطف وتقدير الفضل. وتراودني الشكوك في انها موجهة اليهم والى الشباب. انها تبدأ بالحديث عن قضية كم هو النظام السياسي بعيد عنا، وكم يطلب الينا ان نحضر بين فينة واخرى، وان ندلي بأصواتنا ثم نذهب الى

البيت. ان هذا خلو من المعنى. ان هذا ليس مشاركة حقيقية في العالم. ما نحتاجه هو مجتمع مدني مؤد لوظيفته ونشط، يقوم فيه الناس مع بعضهم باشياء هامة، وليس فقط بهذا العمل من كبس زر الآن وفيما بعد. ذلك هو الاسلوب الذي تبدأ به، ثم تصل الى الصفحة ٢ وهي تقول: «كيف نتغلب على هذا القصور عن الكفاية».

من الملفت للنظر، ان هذا القصور عن الكفاية لا يتغلب عليه بالمزيد من المشاركة الفاعلة في الميدان السياسي. انما يتغلب عليه بالتخلي عن الميدان السياسي والذهاب الى الكنيسة، والحصول على عمل، والذهاب الى المخزن وشراء شيء ما. تلك هي الطريقة التي تؤدي بها دورك كمواطن. تلك هي الطريقة لتصبح مواطنا حقيقيا في مجتمع ديمقراطي، بالانهماك في نشاطات مثل البحث عن عمل والذهاب الى الكنيسة.

ليس هناك خطأ في الذهاب الى الكنيسة. لكن توجد بعض الفجوات هنا. ما الذي حدث للميدان السياسي؟ ان ذلك يختفي من المناقشة بعد التعليقات الاولى حول كيف ان ذلك خلو من المعنى. بالطبع، ان تتخلّ عن ميدان الصراع السياسي، فان شخصا آخر سيكون هناك. الشخص الذي سيكون هناك هو العنصر الضائع في المناقشة الكلية، واعني، السلطة الخاصة، الشركات المتحدة.

وفي حين تستمر المناقشة، تجد هناك اشارة ما الى ميدان التنافس السياسي والى الطريقة التي من خلالها يقوم الناس بقمعنا. لكن من هم الناس الذين يحاولون تصميم برامج اجتماعية؟. انهم الذين يديرون البلاد. انهم يلقون بأوامرهم الينا ويرفسوننا، وعلينا نحن ان ندافع عن انفسنا امامهم، وهكذا دواليك. لذا هناك شكل من السلطة الخارجية، اعني، هناك ادارات انكليزية في مكان ما او بيروقراطيون او مخططون اجتماعيون يحاولون التحدث عن

القيام بشيء ما من اجل الفقراء. انهم اولئك الذين يديرون المجتمع فعلياً. انهم تلك السلطة المجهولة، المنعزلة، غير المسؤولة، الموجودة لدينا،بينما نحن نذهب الى الكنيسة ونبحث عن عمل ونفي بالتزاماتنا كمواطنين.

في الوقت ذاته فان ميدان التنافس العام الحقيقي، والمراكز الحقيقية للسلطة في البلاد مفقودة كليا من المناقشة. ان هذا لم يتم القيام به خطوة فخطوة تماماً. انني اجعله ينهار. حينما تتفحصه بدقة فانك ترى دعاية ذكية جداً، وفكرة جيدة التصميم، وجيدة الصنع. ان هدفها، بالتأكيد، هو جعل الناس اغبياء وجهلة، قدر المستطاع، وغير فاعلين وغير مطيعين قدر الامكان ايضا. وفي الوقت نفسه، جعلهم يشعرون انهم يتحركون بطريقة ما نحو اشكال اعلى من المشاركة من خلال التخلي عن ميدان التنافس العام. انها ايضا تخدم الدور العصيب لتنحية الانتباه عن السلطة الفعلية. هذا هو الشيء الذي ليس بالاستطاعة فعلا انجازه في دولة استبدادية، حيث السلطة المركزية مرئية جدا. لكنه امر منجز على نحو مألوف جدا في الولايات المتحدة. هذا هو الجناح اليميني.

انك تراه في التطرف الليبرالي، ايضا. ان الحملة الاعلانية لادارة كلينتون كانت مثيرة، باعتبارك اشرت الى كلينتون. فقد وضعوا قبل الانتخابات كتابا يحمل عنوان Mandate for Change وهو من نوع الكتب التي تجدها في اكشاك الصحف في المطارات مقابل خمسة سنتات. لقد تحدثنا عنه من قبل، لكن يجدر استذكاره في هذا السياق لتوضيح الاتساع الواقعي للطيف في مجتمع يديره قطاع الاعمال. كان يدور حول الاشياء الرائعة التي كانوا سيقومون بها. كان الفصل الاول يتحدث عن اقتصادات المقاولة وخططهم الرائعة كلها المتعلقة بهذا الامر. لقد اوضحوا انهم لن يكونوا ليبراليين قديمي الطراز. انهم يدركون مكمن الخطأ في ذلك. من الناحية الاخرى، فانهم لن

يكونوا جمهوريين قساة قلوب. انهم يشكلون طريقا جديداً، اقتصادات المقاولة، والتي هي موضع اهتمام وقلق الناس العاملين وشركاتهم. ان ادارة كلينتون سوف تفعل شيئاً من اجلهم. وتظهر كلمة «فوائد» مرة، اعتقد في اشارة الى الايام السيئة حينما كان الجمهوريون يحاولون صنع الكثير جداً من الفوائد. ان كلمة «رؤساء» لا تظهر. وكذلك كلمة «مديرين» و «المالكون» و«المستثمرون» لا تظهر. انهم ليسوا هناك. فقط العمال والشركات التي يعملون فيها، شركاتهم هم، وماذا عن المقاولة؟ انها موجودة. المقاولون هم اناس يدخلون بين فترة واخرى ويساعدون العمال ويحسنون الشركات التي يعملون فيها ثم يختفون فجأة. تلك هي الصورة. هنا العمال وشركاتهم والمقاولة تساعدهم بين حين وآخر وإدارة كلينتون تأتي لافادتهم. ان البنية الفعلية للقوة والسلطة مفقودة كليا، بقدر ما هو عليه الوضع في منشورات مؤسسة برادلي. ان هذا يكون مفهوما ان انت تحاول تحويل الناس الى انسان آلي سلبي ومطيع.

د.ب: لربط هذه المناقشة المتعلقة بالدين والايمان اللاعقلاني وراسمالية الدولة، قرات مؤخراً مقالة في مجلة MITI (وزارة التجارة الدولية والصناعة) في اليابان. كانت هناك مناقشة ساحرة من قبل بيروقراطي في MITI كان قد تلقى تدريبه في الولايات المتحدة في كلية ادارة الاعمال في هارفارد. يقول ان طلبة صفه في هارفارد، كانوا يدرسون قضية شركة طيران مفلسة - ربما Eastern او Pan Am - توقفت عن العمل. كانت تعرض امام طلبة الصف مقابلة مسجلة اجريت مع رئيس الشركة، الذي اشار بكبرياء الى انه طوال الازمة المالية كلها و الافلاس النهائي للشركة لم يطلب على الاطلاق مساعدة الحكومة. ويستذكر هذا الرجل الياباني بذهول، ان طلبة الصف انفجروا في التصفيق مستحسنين ذلك، ثم يقول: «هناك مقاومة قوية ضد التدخل الحكومي في امريكا. انني افهم ذلك،

لكنني صدمت. هناك كثير من المساهمين في الشركات. ما الذي حدث لمستخدميه، على سبيل المثال؟ ثم يعكس ما يصوره على انه اخلاص امريكا الاعمى لايديولوجية السوق الحر. يقول: «انه شيء يقرب تماما من الدين: انك لا تستطيع ان تتناقش حول ذلك مع غالبية الناس. صدقه او لا تصدقه». انه امر مثير.

انه امر مثير جزئيا بسبب العجز عن ادراك وفهم ما يحدث في الولايات المتحدة. ان كانت شركة Eastern Airlines هي الشركة التي كانوا يتحدثون عنها، فان مديرها (فرانك لورنزو) كان يحاول في الواقع ايقاف الشركة عن العمل. لقد جنى فائدة شخصية من ذلك، لكنه اراد ان يكسر النقابات وان يدعم مشاريعه الاخرى، والتي نقل الفوائد اليها من Eastern Airlines بهدف ترك صناعة الخطوط الجوية اقل نقابية واكثر وقوعا تحت سيطرة الشركة، وليترك لنفسه ثروة أكثر، وقد حدث ذلك كله. لذا من الطبيعي انه لم يطلب تدخلا حكوميا لان الامور كانت تسير بالطريقة التي ارادها. من الناحية الاخرى فان الاعتقاد بان الشركات المتحدة لا تطلب التدخل الحكومي هو نكتة. انهم ينشدون التدخل الحكومي والسلطة الحكومية على مستوى استثنائي. وانقاذ شركة Chrysler من مأزقها المالي مثال مشهور، وان كان ثانويا.

خذ صناعة الخطوط الجوية. فقد وجدت من خلال تدخل حكومي. وجزء كبير من سبب النمو الضخم في البنتاغون في اواخر سنوات الاربعينات، كان من اجل انقاذ صناعة الطيران الاخذة في الانهيار، والتي من الواضح انها لا تستطيع البقاء معتمدة على سوق مدني. هناك كتاب هام ومثير صدر للتو، لمؤلفه (فرانك كوفسكي) يتعلق بهذا الموضوع. ويلقي نظرة خاطفة على تفصيلات War Scares التي كانت تناور سنتي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ في محاولة لتفرض بالقوة مشاريع قوانين الانفاق، من خلال الكونغرس، التي يمكن ان

تنقذ صناعة الطيران. انه ليس الشيء الوحيد الذي كانوا يعملون من اجله، لكنه كان مصنعا كبيرا، واستمر هذا. ان صناعة الطيران هي الصناعة التصديرية الامريكية الرئيسة. وشركة Boeing هي المصدر الامريكي الرئيس.

علاوة على ذلك، فان الميزات التنافسية الامريكية الفعلية تكمن فيما يسمى «الخدمات». فنحو ثلث فوائد التجارة والخدمات مرتبطة بالطيران، باشياء مثل السياحة، والسفر، وهكذا دواليك. تلك صناعات ضخمة تحدث من خلال تدخل حكومي ضخم وتستمر بالطريقة نفسها. ان الشركات المتحدة تطلبه. وهي لا تستطيع البقاء بدونه، انه وسادة. والشعب يقدم التقنية الاساسية وعلم المعادن، وكل ما يتعلق بالكترونيات الطيران، وهلم جرا، من خلال نظام الدعم العام. انك لا تستطيع ان تجد قطاعا في الاقتصاد الامريكي يؤدي وظيفته ويستمر في ذلك الا من خلال تدخل الدولة. قبل يوم او اثنين مضيا كانت القصة البارزة في صحيفة وول ستريت جورنال تدور حول كيف ان ادارة كلينتون تعيد احياء المكتب القومي للمقاييس والتقنية، وتضخ فيه تمويلات جديدة في محاولة ليحل مكان جهاز البنتاغون الآخذ في الانحطاط نوعا ما. ان من الصعوبة بمكان المحافظة على البنتاغون، ولكن عليك ان تعمل على الابقاء على ذهاب الدعم الى الشركات المتحدة الكبيرة. يجب عليك ان تدفع تكاليف البحث والتطوير. ولذلك فانهم يتحولون نحو المكتب القومي للمقاييس الذي استخدم في محاولة لاستنباط كم هو الطريق طويل. انه يصف كم من مئات الشركات المتحدة تقرع ابوابه طالبة الهبات. الفكرة القائلة ان المستقصي الياباني يخفق في رؤية هذا فكرة جديرة بالملاحظة. انها معروفة جدا في اليابان، ومن الصعوبة بمكان تصور انهم لا يدرّسونها في كليات الاعمال.

د.ب: اتذكرك وانت تحدثني عنك حينما كنت طفلا في فيلادلفيا، اول لعبة بيسبول حضرتها. رياضيو فيلادلفيا يلاعبون يانكي نيويورك. حدثني عن ذلك إنْ كنت لا تمانع.

ما أزال استطيع ان اتذكرها. من المفروض انها كانت نحو سنة ١٩٣٧، على ما أظن. فقد أخذت واقرب صديق لي الى هذه اللعبة من قبل مدرسة الصف الرابع التي كان اسمها الآنسة كلارك، والتي كنا نحبها بجنون. كانت مناسبة رائعة، ليس فقط لاننا كنا ذاهبين الى اول لعبة بيسبول لنا، ولكن لان الآنسة كلارك كانت معنا. جلسنا في المدرج المكشوف، المقاعد الرخيصة، في ميدان مركزي، خلف (جوي دي ماغيو) مباشرة و نجم الفريق الرياضي المنافس لنا، والذي اعتقد ان اسمه كان بوب جونسون. كنا بشكل طبيعي نشجع فريق مسقط رأسنا، نادي فيلادلفيا، الذين كانوا يربحون ٧ ـ ٣ داخلين في الجولة السابعة حينما انقلبت الامور لصالح اليانكي ليربحوا بواقع ١٠ ـ ٧. كارثة كبرى. باستثناء ذلك رأينا ابطالنا كلهم: جوي دي ماغيو، لوغيرغ، رد رفنغ، وبقيتهم. باستطاعتي ان اتذكر ذلك بوضوح شديد.

د.ب: ان اعضاء فريقكم كانوا دائما يخسرون في تلك السنوات، اليس صحيحاً؟

بالنسبة الى صبي يترعرع في فيلادلفيا في تلك السنين، فقد كانت اوقاتاً صعبة. ليس فقط فريقنا ولكن كل فريق في فيلادلفيا كان يخسر دائما. لذا فاننا كنا موضوع سخرية حينما نلتقي اصدقاءنا وابناء اقربائنا من نيويورك، الذين كانوا دائما يربحون. ان لدي شبهة مؤكدة ان الشباب الذين ترعرعوا في فيلادلفيا في تلك الايام يجب ان يكون لديهم نوع من عقدة النقص العميقة.

د.ب: لقد اصبحت الامور سيئة جداً بالنسبة الى الرياضيين لدجة انهم في النهاية تركوا المدينة.

هكذا سمعت.

الرعاية الصحية

٢ أيار ١٩٩٤

د.ب: اظن انك انتهيت من مطالعة صفحات الرياضة ومستعد للبدء في العمل اليومي.

فقط بعض الصفحات الرياضية. ما تزال هناك الاسبوعيات.

(ضحكة خافتة).

د.ب: اصبح من الصعب وعلى نحو متزايد اجراء مقابلات معك، وهذا يعود الى انني لا اعرف اين توقفنا في احاديثنا وما الذي تحدثنا عنه خلال مقابلاتنا. لذا في بعض الاحيان تكون هناك هذه الضبابية. هل تقوم باجراء هذه المقابلات كلها في مكتبك في الدور العلوي من منزلك؟

في الغالب هنا. في بعض الاحيان يأتي اناس الى مكتبي في العمل، وهم الذين معهم كاميرات التلفزيون والطاقم.

د.ب: لا افترض ان باستطاعتك رؤية الافق في بوسطن من منزلك في ليكسنغتون. لكن ان استطعت، هل تعرف ما اطول مبنيين في بوسطن؟

نعم.

د.ب: ما هما؟

مبنى جون هانكوك ومبنى برودنشيال.

د.ب: ما الذي يقولانه لك؟

انهما سيكونان مشرفين على برنامجنا الصحي اذا سلك كلينتون طريقه.

د.ب: هناك اجماع عام على ان نظام الرعاية الصحية الامريكي يحتاج الى اصلاحات. كيف ولماذا انشيء؟

لقد أنشيء ببساطة. ان الرعاية الصحية لم تخصخص كلية على الاطلاق. ليس باستطاعتها ان تكون كذلك. انها ليست سلعة. لكن لدينا نظام صحي مخصخص نسبيا، وكنتيجة، فانه غير فاعل، وبيروقراطي بشكل مفرط، مع نفقات ادارية ضخمة، وينتقل نحو تدخل تقني عال اكثر من الصحة العامة، والوقاية، وهكذا دواليك. لقد اصبح باهظ الكلفة بالنسبة الى قطاع الاعمال الامريكي. وقد خرجت مجلة Business Week وهي مجلة اعمال رئيسة، مؤخراً بعدة مقالات تدافع عن برنامج تأمين حكومي وطني على النمط الكندي، وهو ما نسميه برنامج الفرد الدافع.

د.ب: ما هو ذلك البرنامج؟

ان الانموذج الكندي هو واحد من خطط منوعة والتي تبقى حول العالم الصناعي. انه بالاساس برنامج تأمين حكومي. الرعاية الصحية ما تزال فردية، لكن الحكومة هي المؤمّن.

د.ب: ان خطة كلينتون تدعى «المنافسة المدارة». شركات التامين الكبيرة تدعم هذه الخطة بشكل او باخر. فما هي المنافسة المدارة ولماذا تدعمها شركات التامين الكبيرة؟

ان المنافسة المدارة سوف تدفع شركات التأمين الصغيرة خارج السوق،

وهذا هو سبب معارضتهم لها. انها تعني ان شركات التأمين الكبيرة سوف تضع كتلا مختلطة كبيرة من مؤسسات الرعاية الصحية، والمستشفيات، والعيادات، والمختبرات، وهلم جرا، مع بعضها البعض. سوف تكون مسؤولة عن تنظيم رعايتك الصحية. وسوف يتم انشاء وحدات مقايضة مختلفة لتقرير اي من هذه الكتل المختلطة ستعمل معها. ويفترض بهذا ان يقدم نوعا من قوى السوق. لكن شركات التأمين الكبيرة سوف تشرف على العمل. انها تعني نظام احتكار القلة. عدد صغير جدا من الكتل المختلطة الكبيرة في منافسة محدودة مع بعضها البعض، وبموثوقية، تدير بشكل مصغر الرعاية الصحية لانها شركات اعمال، انها تعمل من اجل الربحية لا من اجل راحتك.

د.ب: طبقا لما يقوله (هاريس بول) فان الامريكيين يفضلون، باغلبية كبيرة، نظام الرعاية الصحية الكندي (الفرد الدافع). ان تلك النتائج الملفتة للنظر لا تعطى الا الحد الادنى من الاهتمام الاعلامي.

ان الاستفتاءات، بالطبع، تعتمد بالضبط على كيفية طرح السؤال. لكن كانت هناك بعض التقارير عن الاستطلاعات على امتداد السنوات. وأفضل عمل اعرفه في هذا المجال هو ما قام به (فيسنت نافارو). هل قابلته حول هذا الموضوع؟ يجب عليك ان تقابله، ان لم تكن قد فعلت. انه انسان جيد للغاية.

د.ب: نعم انه في جونز هوبكنز.

لقد قام بالكثير من العمل حول هذا، وقد درس بين اشياء اخرى نتائج العديد من الاستفتاءات. واشار الى انه كان هناك تأييد مستمر لشيء يشبه نظام الاسلوب الكندي منذ بدأت الاستفتاءات حول هذا الامر. في الواقع، لقد حاول ترومان ان ينجز برنامجا كهذا في سنوات الاربعينات، والذي كان من شأنه ان يضع الولايات المتحدة في مصاف بقية دول العالم الصناعي. لقد ضرب من الخلف من خلال هجوم ضخم شنته الشركات المتحدة مع نوبات

غضب حول كيف اننا في طريقنا للتحول الى مجتمع بلشفي، وهلم جرا. وفي كل مرة كانت تظهر فيها القضية، يكون هناك هجوم مشترك اعظم. احيانا كان يفشل. ان احدى منجزات رونالد ريغان العظمى العائدة لاواخر سنوات الستينات كانت قراءة الرسائل في الراديو والتلفزيون التي كتبت اليه من قبل شركات التأمين عن كيف انه اذا تم اقرار قانون الرعاية الطبية فاننا جميعنا نقول لابنائنا وأحفادنا بعد حقب من الآن اي نوع من الحرية استخدم.

د.ب: يستشهد (دافيد هيملشتين) و (ستيفي وولهاندلر) ايضا بنتائج استفتاء اخر: حينما سئل الكنديون فيما اذا كانوا يريدون نظاما امريكي الاسلوب، فان خمسة بالمائة فقط قالوا نعم.

في الوقت الحاضر، حتى قطاع الاعمال لا يريدونه. انه غير فعال كثيرا، وبيروقراطي كثيرا، وباهظ الكلفة بالنسبة اليهم. لقد قدرت شركات السيارات قبل سنتين ان هذا النظام يكلفهم نحو خمسمائة دولار زيادة للسيارة الواحدة، وذلك بسبب عدم فعالية وكفاءة النظام الصحي الامريكي، بالمقارنة مع فعالية النظام الكندي. حينما يبدأ العمل يتعرض الى الاساءة، ينتقل الامر الى الاجندة الشعبية .لقد كان الشعب يؤيد تغييرا كبيراً لفترة طويلة.

ان الشعب خارج النظام السياسي، ولذلك فانها قضية غير مهمة كثيرا. هناك عبارة لطيفة حول هذا النوع من الاشياء ظهرت في عدد حديث من مجلة الايكونوميست اللندنية، مجلة قطاع الاعمال البريطاني. كانت تتعلق ببولندا. ان جماهيرهم الانتخابية تشعر بالقلق على نحو بيّن من حقيقة ان بولندا قد ذابت في هذا النظام اذ لديهم انتخابات ديمقراطية، وهي نوع من الازعاج. ان سكان دول اوروبا الشرقية كلها يتعرضون للتحطيم من خلال التغييرات الاقتصادية المسماة «الاصلاحات» ـ والتي يفترض بها ان تجعلهم يبدوا جيدين ـ والتي تحشر عبر حلوقهم. ان البولنديين معارضون للاصلاحات. وقد صوتوا

ضد الاصلاحات الحكومية. اشارت مجلة الايكونوميست الى ان هذا الامر لم يكن شاقاً كثيرا لان «السياسة معزولة عن السياسيين». وذلك شيء جيد. تلك هي الطريقة المستخدمة هنا، ايضا. السياسة معزولة عن السياسيين. باستطاعة الناس ان تكون لهم آراؤهم، بل باستطاعتهم ان يصوّتوا اذا كانوا يريدون. لكن السياسة تمضي في طريقها البهيج، الذي قررته قوى اخرى.

د.ب: لقد علقت على مصطلح اخر يدعى «اللاواقعية السياسية».

ما تريده الجماهير يدعى «لا واقعية سياسية» اي حينما تترجم ذلك الى الانكليزية، فان ذلك يعني ان المراكز الكبرى للسلطة و الامتيازات معارضة لها. ان التغيير في نظام الرعاية الصحية هو الآن واقعية سياسية لان الانظمة الرئيسة للسلطة، بما فيها مجتمع الشركات المتحدة الامريكي، يريدون تغييرا طالما انه يؤذيهم. وكما اشرت، فان من الملفت للنظر انه حتى مجلة بيزنس ويك، الممثلة لقطاعات كبيرة من مجتمع الشركات المتحدة، تريد الانتقال الى نظام الاسلوب الكندي لانه حتى اللاكفاية واللافاعلية المتبقية ونفقات نظام اسلوب كلينتون، سوف تكون ـ كما يفترضون ـ مؤذية بالنسبة اليهم.

د.ب: يقول فيسنت نافارو ان برنامج رعاية صحية عاما وشاملاً «مرتبط مباشرة بقوة الطبقة العاملة ووسائلها السياسية والاقتصادية».

ان هذا صحيح تماما فيما يتعلق بالتجربة الكندية والاوروبية. خذ كندا، التي كان لديها نظام شبيه جدا بنظامنا حتى منتصف سنوات الستينات. لقد تغير اولا في اقليم واحد، ساسكاتشيوان، حيث كانت هناك حكومة الحزب الديقمراطي الجديد ذات القاعدة العمالية القوية. كانت قادرة على انجاز برنامج تامين خاص بالاقليم، يدفع شركات التامين للانسحاب من العمل. وتحول

ليصبح ناجحاً جداً، وفاعلاً جداً. كان يعطي رعاية طبية جيدة، ويخفف من التكاليف، واكثر تدرجا في مجال الدفع. تلك حقيقة حاسمة. وقد تمت محاكاتاه من قبل اقاليم اخرى، ايضا تحت الضغط العمالي، في اغلب الاحيان من خلال الحزب الديمقراطي الجديد كوسيلة. انه هذا النوع من الحزب السياسي المظلة مع ميزة اصلاحية لطيفة ودعم عمالي. وسرعان ما تم اعتماده في كندا كلها.

التاريخ في اوروبا متشابه جداً. فمنظمات الطبقة العاملة كانت احدى الآليات الرئيسة ـ ولكن ليست الوحيدة ـ التي يستطيع الناس من خلالها مع قوة وموارد محدودة جداً الاتفاق على المشاركة في ميدان التنافس العام. هذا هو احد الاسباب التي تفسر لماذا هي النقابات موضوع كره شديد من قبل مجتمع الاعمال والنخبة. انهم مدمقرطون جدا في شخصيتهم. ونافارو على حق بالتأكيد؛ التاريخ كان يقول: ان قوة العمل وتنظيمها، وقدرتها على الدخول الى ميدان التنافس العام مرتبطة بالتأكيد ـ ربما حتى مرتبطة بشكل حاسم ـ بمأسسة برامج اجتماعية من هذا النوع.

د.ب: ربما هناك حركة موازية تجري الآن في الولايات المتحدة. في كاليفورنيا هناك مبادرة لايجاد برنامج رعاية صحية وفق اسلوب الفرد الدافع.

هناك ولايات عديدة تلهو بذلك. ان هذا المجتمع ما يزال الى درجة كبيرة مجتمعا يديره قطاع الاعمال. ان قطاع الاعمال ما يزال يلعب دوراً جامحا في تقرير نوع النظام الذي سوف يوضع، ما لم تكن هناك تغييرات ذات اهمية في الولايات المتحدة. اي ما لم تتصاعد الضغوط الشعبية والمنظمات الى ابعد مما نراه الآن، بما في ذلك طبقة العمال، فان نتيجة هذا ستقرر مرة اخرى من قبل مصالح قطاع الاعمال.

د.ب: انني لست واضحا تماما فيما يتعلق بكيفية صوغ هذا السؤال. كان يجب ان يكون على علاقة بطبيعة المجتمع الامريكي كان يكون ممثلا في تعليقات مثل «قم بعملك» و «لا تتاجر عليّ» و«الروح الريادية». كل تلك الهراء الفردي. ما الذي يعنيه ذلك بالنسبة اليك فيما يتعلق بالمجتمع والثقافة الامريكيين؟

انه يقول لك ان النظام الدعائي يعمل طوال الوقت، لانه لا توجد ايديولوجية كبيرة في الولايات المتحدة. ان مجتمع رجال الاعمال ـ على سبيل المثال ـ لا يؤمن بذلك. لقد كان يصر دائما على حالة تدخلية قوية لدعم مصالحه ـ ما يزال يقوم بها وقد كان دائماـ بالعودة الى اصول المجتمع الامريكي. ليس هناك من شيء فردي فيما يتعلق بالشركات المتحدة. انها مؤسسات متكتلة استبدادية في صفتها، لكنها فردية بشق النفس، وفي داخلها تبدو انت كمسنّن عجلة، في آلة كبيرة. هناك بضع مؤسسات في المجتمع الانساني فيها مثل تلك الهرمية الصارمة والسيطرة من القمة الى القاعدة. ليس هناك شيء يتعلق بـ «لا تتاجر عليّ». انك تتاجر طوال الوقت. ان النقطة الاساسية للايديولوجية هي محاولة جعل اناس آخرين من خارج قطاعات السلطات المنسقة يخفقون في الاشتراك والدخول في عملية صنع القرار في ميدان التنافس السياسي. النقطة هي ترذيذ كل شخص آخر في حين تترك القطاعات القوية تتكامل وتُنظم بشكل جيد وبالطبع تسيطر على الموارد.

الى جانب هذا، هناك عامل آخر. هناك مسحة من الاستقلال والفردية في الثقافة الامريكية والذي اعتقد انه شيء جيد جداً. هذا الشعور لا «تتاجر عليّ» هو شعور صحي من عدة اوجه. انه صحي حتى النقطة حيث يرذذك فيها ويبعدك عن العمل مع الناس الآخرين. لذلك فان له جانبه الصحي وجانبه السلبي. انه الجانب السلبي الذي يتم التأكيد عليه في الحملات الدعائية والتلقين.

د.ب: هل فكرت في قضية لماذا الولايات المتحدة مجتمع عنيف؟

ان للولايات المتحدة صفات عديدة مختلفة عن المجتمعات الاخرى. جزء منها هو انها ضعيفة نسبيا، فيما يتعلق بالقيود الاجتماعية والمشتركة. لذا، ان تَجُلْ انحاء اوروبا على سبيل المثال، تجد ان الحراك، ببساطة، اقل. الناس يميلون، على الاكثر، الى ان يكونوا حيث ترعرعوا، وان يعيشوا ويعملوا بالقرب من حيث كانوا. ان الدول نفسها صغيرة بمقاييس الولايات المتحدة. وحركة الانتقال عبر الحدود اقل بكثير من حركة الانتقال من مكان الى آخر داخل الولايات المتحدة. لكن حتى داخل المجتمع نفسه فان الناس يميلون اكثر بكثير من هنا، إلى أن يكونوا جزءاً من المجتمعات المستمرة النامية باستمرار.

لقد تحطمت المجتمعات هنا كثيرا. اضافة الى ذلك، فان مجتمعات قد تلاشت. ان المنظمات التي تعمل على جمع الناس مع بعضهم ليعملوا معا ـ مثل النقابات ـ ضعيفة جداً في الولايات المتحدة. والوحيدات الرئيسات الباقية هي الكنائس. اعتقد ان لذلك اثر تمزيقي شديد، الى جانب الايديولوجية التي اشرت اليها سابقاً. المثل الاعلى هو احصل على ما تستطيع من اجلك. ذلك هو المثل الاعلى الذي يطبع في رؤوس الناس. وقد اشار (بايارد روستين) النشط في مجال الحقوق الانسانية، الى هذا الامر سابقا في مطلع سنوات الستينات، حينما سئل عن سبب قيام الاطفال السود بسرقة السيارات. قال: هذا ما كان يقال لهم يوميا في التلفزيون. يقال لهم طوال الوقت ان ما يفترض بك القيام به هو الوصول باستهلاكك الى اقصى حد باي طريقة تستطيع. ولذلك فانهم يقومون بهذا. تلك هي الخيارات المتاحة لهم. ليست لديهم الخيارات المتاحة للاطفال البيض اصحاب الامتيازات النسبية، واعني، الذهاب للعمل في شركة للقانون والاشتطاط على الناس بتلك الطريقة. وهكذا فانهم يشتطون على الناس بأساليب وطرق متاحة لهم، لكنهم بشكل اساسي يتبعون

الايديولوجية التي لا تقدم فقط وانما تطبع في رأسك ليل نهار مقولة: الوصول باستهلاكك الى الحد الاقصى ولا تهتم باي شخص آخر.

د.ب: ولديك وسائل الاعلام الحاضرة التي تركز على النتائج لا على الاسباب. هل تعرف ما هو «التهشيم والانتزاع»؟ هذا شيء اكتشفته الليلة الماضية وانا اشاهد اخبار التلفزيون من شيكاغو. حينما تكون سيارتك في حركة سير او متوقفة عند اشارة ضوئية، ياتي اناس ويحطمون الشباك وينتزعون جزدانك او يسرقون محفظتك.

في بوسطن يحدث الامر نفسه. هناك شكل جديد يدعى «سرقة السامري الطيب». يتظاهرون بعجلة مسطّحة على الطريق العام وحينما يتوقف احد ما، يثبون، ويسرقون سيارته، ويضربونه، اذا كان محظوظا. اما ان كان غير محظوظ فانك تقتله وتأخذ السيارة.

هناك مرة اخرى مقدار كبير من التركيز على النتائج. الاسباب عميقة. هناك اسباب اجتماعية نادراً ما نلمح اليها، وهناك الكثير جداً من الاسباب المباشرة، احدها زيادة الاستقطاب في المجتمع الذي كان يجري على امتداد الخمسة والعشرين عاما الماضية، وتهميش قطاعات واسعة من السكان الذين جعلوا زائدين. انهم زائدون من اجل انتاج الثروة، اي انتاج الارباح، ولهذا السبب ليس لديهم قيمة انسانية، باعتبار ان الايديولوجية الرئيسة تقول ان الحقوق الانسانية للناس تعتمد على ما يستطيعون الحصول عليه من اجل انفسهم في نظام السوق.

قطاعات اوسع وأوسع من السكان مستثناة وليس لديها اي شكل من التنظيم او غير قابلة للحياة والنمو، اسلوب بنّاء للتفاعل وبالتالي اتباع الخيارات المتاحة، والتي غالباً ما تكون العنف. وبالفعل، هؤلاء هم الذين يشجعون الى مدى واسع في الثقافة الشعبية.

د.ب: ليس فقط ما تحت الطبقية. فقد اشار تقرير حديث لمكتب الاحصاء الى انه كانت هناك زيادة بنسبة خمسين بالمائة في الفقراء العاملين، اي الناس الذين لديهم فرص عمل وهم برغم ذلك تحت خط الفقر.

ذلك جزء من جعل المجتمع (عالما ثالثا) ليست فقط البطالة، ولكن ايضا انخفاض الاجور. لقد كانت الاجور اما تركد او تنحط، وفعليا تنحط، منذ اواخر سنوات الستينات. في سنوات ريغان انهارت. ومنذ سنة ١٩٨٧ فان الاجور الفعلية آخذة في الانحطاط بالنسبة الى الناس من حملة الشهادات الجامعية، وكان ذلك تغيرا ملفتاً للنظر. من المفروض ان تكون هناك عودة الى الوضع السوي تجري الآن، هذا صحيح. انها نحو نصف معدل الابلالات الطبيعية لما بعد الحرب. ان خلق اعمال خلال هذا الإبلال هو اقل من ثلث معدل الابلالات من الركود لما بعد الحرب.

المرونة تعني عدم الامان. انها تعني انك تذهب الى فراشك في الليل وانت لا تعرف ان كان سيكون لديك عمل صباح الغد ام لا. هذا يسمى مرونة سوق العمل، واي اقتصادي يمكنه تفسير ذلك على انه امر جيد بالنسبة الى الاقتصاد، حيث بواسطة «الاقتصاد» الآن نفهم كيفية صنع الارباح. اننا لا نقصد بـ «الاقتصاد» الطريقة التي يعيش الناس فيها. ان ذلك امر جيد بالنسبة الى الاقتصاد، وفرص العمل المؤقتة تزيد من المرونة. كذلك فان الاجور المنخفضة تزيد من عدم الامن الوظيفي. انها تبقي التضخم منخفضاً. ان هذا امر جيد بالنسبة الى الناس الذين يمتلكون المال، ولنقل، حاملو السندات. لذا، فان هذا كله يسهم فيما يسمى «الاقتصاد الصحي» اي الاقتصاد ذو الارباح العالية جداً. الارباح تحصد بشكل جيد. ارباح الشركات المتحدة آخذة بالتضخم. لكن بالنسبة الى غالبية السكان، فان ذلك ظروفاً مقيتة مروعة.

والظروف المريعة، دون وجود كثير من التوقعات المأمولة فيما يتعلق بالمستقبل، ربما تؤدي الى عمل اجتماعي بنّاء، ولكن حينما يعوزنا ذلك فانهم يعبرون عن انفسهم من خلال العنف.

د.ب: من المثير انه يجب عليك ان تقول ذلك. امثلة المذابح الجماعية في مواقع العمل. افكر في قتلى مكاتب البريد ومطاعم الغذاء السريع حيث يثار سخط العمال لسبب او لآخر او ان تطلق النار عليهم.

ليست الاجور الفعلية هي التي ركدت او انحطت فقط، ولكن ظروف التشغيل اصبحت اكثر سوءاً. باستطاعتك ان ترى ذلك في ساعات العمل المستمرة. اليوم نتحدث وهو يوم ٢ أيار. ويوم امس كان الاول من ايار، الذي كان في مختلف انحاء العالم يوم عطلة الطبقة العاملة، في كل مكان، باستثناء الولايات المتحدة. عيد العمال بديء به بالتضامن مع العمال الامريكيين الذين كانوا يعانون ظروفا قاسية غير عادية في مسعى منهم لتحقيق مبدأ ثماني ساعات عمل يوميا. كان هذا في سنوات ١٨٨٠ وما بعد. ان فعالية السيطرات الايديولوجية الامريكية، سيطرات قطاع الاعمال، جعلت الولايات المتحدة البلد الوحيد الذي لم يعرف فيه على الاطلاق يوم التضامن مع العمال الامريكيين. ففي سنوات الثلاثينات نال العمال الامريكيون الحقوق الاساسية، بما في ذلك حق العمل لمدة ثماني ساعات يوميا، وهو ما كان قد أنجز قبل فترة طويلة، في امكنة اخرى.

لكن منذ ذلك الحين، كان ذلك يتآكل. كانوا قد فقدوا الثماني ساعات اليومية منذ فترة. كانت (جولييت سكور) اقتصادية في جامعة هارفارد، قد وضعت كتابا مهما حول هذا الموضوع يحمل عنوان Overworked American وقد صدر قبل سنتين. بحثت في الكتاب اشياء من قبيل ساعات العمل. كانت

هذه الساعات مستقرة. ان كنت اذكر ارقامها على نحو صحيح، فنحو عام ١٩٩٠، وهي الفترة التي كانت تكتب فيها، كان على العمال ان يعملوا ستة اسابيع عمل زيادة تقريباً سنويا للمحافظة على ما يشبه مستوى الأجور الفعلية لسنة ١٩٧٠.

الى جانب زيادة ساعات العمل تأتي زيادة خشونة ظروف العمل، وزيادة عدم الامان، وانخفاض القدرة على حماية المرء لنفسه بسبب انهيار النقابات. خلال سنوات حكم ريغان، تم تخفيض الحد الادنى من البرامج الحكومية المتعلقة بحماية العمال ضد حوادث اماكن العمل وغير ذلك، لمصلحة زيادة الارباح الى حدها الاعلى. علاوة على هذا، ولما كان الريغانيون نظروا الى الحكومة التي يديرونها على انها مشروع إجرامي في خدمة الاغنياء فانهم لم يضعوا موضع التنفيذ قوانين تتعلق بظروف عمل آمنة، وما شابه ذلك. وهذا مرة اخرى يؤدي الى العنف. في ظل غياب خيارات بناءة، مثل التنظيم النقابي، فان ذلك يؤدي الى العنف .انه أمر ليس مثيرا للدهشة جداً.

تعليق اخير عن قصة عيد العمال هذا: صباح هذا اليوم، ٢ أيار، وعلى الصفحات الاخيرة من صحيفة بوسطن غلوب كان هناك خبر صغير يقول ـ وقد دهشت حينما رأيته ولا اعتقد انني قد رأيت هذا على الاطلاق هنا في الولايات المتحدة ـ الاحتفال «بعيد العمال في بوسطن». لذا كان من الطبيعي ان اتفحصه. وقد انتهى الى انه كان هناك فعلا احتفال بعيد العمال، احتفال من النوع العادي، من قبل العمال المهاجرين ـ العمال الامريكيون اللاتينيون والعمال الصينيون ـ الذين كانوا قد أتوا الى هنا مؤخراً. لقد تنظموا للاحتفال بعيد العمال وللتوحّد من اجل حقوقهم. ذلك مثال دراماتيكي عن كم كانت فعالية الجهاز الدعائي وجهاز التلقين لمجتمع الاعمال في تجريد الناس من اي وعي بحقوقهم وتاريخهم. عليك ان تنظم العمال الصينيين والامريكيين

اللاتينيين ليكون هناك احتفال ـ من قبل مائتي شخص ـ بيوم عالمي للتضامن مع العمال الامريكيين.

د.ب: عودة الى الوراء لنتحدث اكثر عن قضية الصحة. كان هناك شيء من الاهتمام الاعلامي فيما يتعلق بمرض الايدز والقليل فيما يتعلق بسرطان الثدي. ان نصف مليون امراة في الولايات المتحدة سوف يمتن خلال سنوات التسعينات بسبب سرطان الثدي، والكثيرون من الرجال سيموتون بسبب سرطان البروستات. ما وجهة نظرك فيما يتعلق بذلك؟ ان تلك القضايا لا تعتبر اسئلة سياسية، اليست كذلك؟

من الواضح ان هذه الاشياء كلها هي اسئلة سياسية، ان كنا نقصد بتلك اسئلة سياسة. بامكانك ان تضيف الى تلك الحسبة عدد الاطفال الذين سيموتون او يعانون بسبب ظروف الفقر المفرطة في مرحلة الطفولة، وما قبل الولادة، وما بعدها في فترة مبكرة.

خذ سوء التغذية. ان ذلك ينقص فترة الحياة الى حد بعيد تماماً. ان تُحصِ ذلك في الوفيات فان ذلك يفوق وزن اي شيء تتحدث عنه. لا اعتقد ان الكثير من الناس في حقل الصحة العامة سوف يشكون في النتيجة القائلة ان الاسهام الكبير لتحسين الصحة، وأعني تخفيض ارقام الوفيات وتحسين نوعية الحياة، يأتي من معايير الصحة العامة البسيطة، مثل تأمين الناس بتغذية ملائمة، وظروف حياة صحية وآمنة، والمياه، وهلم جرا. انك تعتقد ان مثل هذه القضايا في بلد غني كهذا البلد ليست قضايا كبيرة، ولكنها كذلك بالنسبة الى الكثيرين من المواطنين.

لقد اشارت مجلة Lancet مؤخراً ـ وهي المجلة الطبية البريطانية، واكثر المجلات الطبية سمعة في العالم ـ الى ان اربعين بالمائة من الاطفال في مدينة

نيويورك يعيشون تحت خط الفقـر، اي يعانون من ظروف سوء التغذية وظروف الفقـر الاخرى، الامـر الذي يعني مشاكـل صحيـة شديدة الخطورة على امـتداد حيـاتهم ومعـدلات وفـاة عـاليـة جداً. وقـد اشـارت احـدى المجلات الطبـيـة الامريكية قبل سنتين الى ان الذكـور السود في حي هارلم لديهم نفس معدلات الوفيـات تقريبا الموجـودة في بنغلادش. ويعود هذا بشكل اسـاسي الى التدهور المفـرط في ظروف الصـحـة العـامـة الاكثـر اسـاسـيـة. ويشـمل ذلك الظروف الاجتماعية.

د.ب: ان الحكومة في غالب الاحوال مغرمة باعلان الحرب على المخدرات، الحرب على الجريمة، لكن لم يكن هناك حرب على سرطان الثدي على سبيل المثال.

هناك حرب على السرطان عموماً. والكثيـر من البحوث البيولوجية تمول لمعالجة السرطان كهدف لها، ولكن ليس بصورة محددة سرطان الثدي.

د.ب: بعض الناس ربطوا الزيادة في انتشار سرطان الثدي وسرطان البروستات بالتفسخ والانحلال البيئي والغذاء وزيادة المضافات والمواد الكيمياوية الحافظة للطعام من الفساد. ما الذي تعتقده حول ذلك؟

من المحتـمل انه جزء مـن السبب. كم هو عـامل كبيـر او خطير، فـانني لست متاكداً.

د.ب: هل انت مهتم باي حال فيما يسمى بحركة الغذاء الطبيعي او العضوي؟

بالتـأكيد اعـتقـد انه يجب ان تكون هناك اهتمـامات فـيمـا يتعلق بنوعـية الغذاء، اود القول ان هذا يقع ضمن القضية المتعلقـة بالصحة العامة عموماً. انه

يشبه ان تكون هناك مياه جيدة، والتأكد من ان الناس لديهم غذاء كاف، وهلم جرا. هذه الاشياء كلها هي تقريبا ضمن التصنيف نفسه، اي، انها لا علاقة لها بالمعالجة الطبية ذات التقنية المتقدمة، ولكن بالظروف الجوهرية للحياة. قضايا الصحة العامة هذه، والتي يعتبر تناول طعام بدون سموم جزءاً منها، هي العناصر الشاملة في نوعية الحياة والوفيات، فيما يتعلق بتلك القضية.

د.ب: كنت في مؤتمر عقد قبل اسبوعين في واشنطن د.سي. نهضت امرأة من بين الحضور، وبالاضافة الى عزو كل انواع القوة الى اليسار، فانها ايضا انتقدت بشدة حقيقة انك الى جانب القوة النووية. هل هذا يصف على وجه الدقة وجهات نظرك؟

لا، لا اعتقد ان اي احد يقف الى جانب القوة النووية، حتى مجتمع الاعمال، لانها مكلفة جداً. لكن ما انا الى جانبه هو ان نكون عقلانيين حول هذا الموضوع. ان العقلانية حول الموضوع تعني الاعتراف بان قضية القوة النووية ليست قضية اخلاق. انها قضية تقنية. يجب عليك ان تسأل ما هي عواقب القوة النووية ضد البدائل. لا اعتقد إن هذا صحيح، ولكن تصور ان الخيارات الوحيدة هي القوة الهيدروكربونية والنووية. واذا كان عليك ان تتبنى هذه او تلك، فان عليك ان تسأل نفسك ايهما اكثر خطرا على البيئة، وعلى الحياة الانسانية، وعلى المجتمع الانساني؟ انه ليس سؤالا سهلا بكل ما في الكلمة من معنى. من الناحية الثانية فان اي شكل من القوة النووية له ميزاته. هناك مشاكل مخازن النفايات المشعة والتي هي خطيرة تماماً. ان المشكلات التقنية بالامكان التغلب عليها. هناك مشكلات مخاطر كيف يسهم هذا في تكاثر الأسلحة النووية .تلك عناصر سلبية.

من ناحية اخرى، هناك ايضا عناصر ايجابية مثل النقص في التلوث. هناك عناصر سلبية اخرى مثل وجود درجة عالية من المركزية في قوة الدولة،

القوة المركزة المرتبطة بالقوة النووية. لكن في الناحية المقابلة، هذا ايضا صحيح في صناعة الهيدروكربون. ان شركات الطاقة هي بضع من اكبر الشركات في العالم. ان جهاز البنتاغون مبني الى درجة مدهشة للحفاظ على قوتها. هناك مدى من خيارات اخرى، بما في ذلك الصيانة. القوة اللامركزية، خيارات مثل الطاقة الشمسية، وهلم جرا. ان لها ميزات. لكن في الخارج فان هذه مشاكل يجب ان يتم التفكير من خلالها.

د.ب: دعنا نتحدث بموازاة هذه الخطوط عن الفكرة العامة للنمو والتطور الاقتصادي. ان الولايات المتحدة، مع خمسة بالمائة من سكان العالم، يستهلكون اربعين بالمائة من الموارد العالمية. لا يتوجب عليك ان تكون حاصلا على جائزة نوبل او عبقريا لتحسب الى ماذا يؤدي ذلك.

لسبب واحد، فان الكثير من ذلك الاستهلاك يسبب الاستهلاك. انه ليس استهلاكا ذلك الذي عليه ان يتحمل حاجات الناس الحقيقية. ان مقداراً ضخما من دعائية الاعمال، اعني مخرجات صناعة العلاقات العامة، الاعلان، وهلم جرا، هي ببساطة مسعى لخلق احتياجات. وقد تم ادراك هذا لمدة طويلة، وحقيقة، فانه يعود الى الايام الاولى للثورة الصناعية. هناك استهلاك كثير، والكثير منه مُغرٍ. ربما ان الناس يكونون افضل واكثر سعادة لو انه لم يكن يكن موجوداً. ايضا، فان الاستهلاك منحرف الى درجة كبيرة.

ينزع الاستهلاك الى ان يكون اكثر لدى اولئك الناس الذين لديهم الكثير من المال، ولاسباب واضحة. وهكذا فان الاستهلاك يتجه نحو الترف، لدى الاثرياء اكثر من انحرافه نحو الضروريات لدى الفقراء. وهذا الامر لا ينطبق على داخل الولايات المتحدة فقط، وانما على مستوى عالمي. وهذا يؤدي الى الارقام التي تصفها. ان البلدان الاغنى هي الاكثر استهلاكاً، ولكن داخليا

بالنسبة الى البلدان الاغنى فـان الاثرياء هم الاكثر استهلاكـا. والكثير من ذلك الاستهلاك مُغرٍ. انه لا يتعامل الا قليلا مع الاهتمامات والاحتياجات والمصالح الانسانية الـرئيسة. وهو ايضا على المدى البـعيد، خطر جداً. انه يكون صـحيا للاقتصـاد ان كنت تقيس الصحة الاقـتصادية من خلال الفوائـد. ان تقم بقياس صحة الاقتصاد من خلال ما يعنيه بالنسبة الى الناس فان ذلك امر غير صحي، وعلى نحو خاص على المدى البعيد.

د.ب: كانت هناك بعض المقترحات قد وضعت وتتعلق بشيء يسمى «التنمية المستدامة». هناك تجربة اجتماعية في منطقة الباسك في اسبانيا في موندراغون. هل بامكانك وصف ذلك؟ هل ذهبت هناك؟

لم أكن هناك، ولكن اعـرف مـا الذي تعنيـه. مـوندراغون هي تعـاونيـة يملكها العـمال وهي ذات نجـاح اقتصـادي تام، تحتوي على صناعـات تصنيعـية ذات طبيـعة معقـدة. وبرغم ذلك، تذكر، فانها مـدخلة في اقتصاد رأسـمالي. لذلك لم تعد ملتـزمة بالتنمـية المستدامــة اكثر مما هو الأمـر عليه لدى اي قطاع آخر في الاقتصـاد الرأسمالي. داخلياً، فانها ليست تحت السـيطرة العمالية، بل انهـا تحـت السـيطرة الادارية. لذا فـانهــا نوع من المزيج مما يدعى فــي بعض الاحـيان بالديمقـراطيـة الصناعيـة، التي تعني ان الملكيـة، على الاقل من حـيث المبدأ، من خلال القـوة العاملة، ممتزجة مع عناصـر الهيمنة والسيطرة الهـرمية، الامر الذي يعني انها غير مدارة عماليـا. لذلك فانها مزيج. لقد اشـرت سابقا الى ان مـجتــمع الاعـمــال، لنقل، الشــركـات المتـحـدة، أقـرب إلى الـبنيـة الديكتاتورية، الى البـنى الهرمية الصـارمة، كمـا هو عليه الحال في المؤسـسات الانسانية كلها.

قبل ان نترك قضية الرعـاية الصحية بشكل كامل، هناك نقطة اخرى تجب الاشـارة اليهـا. ان القلق الدائم هو ذلك الذي قـد بحثـناه، واعني حقـيقـة ان

البرامج كلهـا سواء اكانت مـن كلينتون وحتى اليـمين ـ تضع السلطة في ايدي شركات تامين ضخمة، الامر الذي يعني انهـا سوف تحاول تصغير ادارة الرعاية الصـحيـة لتـقليلهـا الى ادنى مـستـوى ممكن، لانهـا، الشـركات، هـي صانعـة الارباح، وهي ايضا سوف تنزع بعـيدا عن اشياء ـ مثل الوقاية ومعـايير الصحة العامة، والتي هي ليست موضع اهتمام الشركات ـ نحـو الجانب التقني، وهذا يعني ايضا ان على الشـعب ان يدفع لعدم كفايات ضـخمة ضمنيـة، مثل ارباح ضخمة، اجـور شركات كبيرة ولياقـات متحدة اخرى، الى بيروقراطيـة كبيرة، للتحكم بتفصيل دقيق بما يقـوم وما لا يقوم به الاطباء والممرضون. لذلك هناك الكثـيـر من عدم الـكفاية واللامـسـاواة. ومن وجـهة نـظري مجـرد عناصـر لا اخلاقية. لكن ذلك عامل واحد فقط.

هاك عـامل آخـر نادراً ما تمت منـاقشـتـه. وهو ان برنامج كلينتـون وكل البرامج المشـابهة هي عدوانية بشكل راديكالي. فـقط اسأل مَن الذي يدفع وكم يدفع. في نـظام الاسلوب الكنـدي، نظام التـأمين الحكومي، فـان التكـاليف موزعة مثلما هي تكاليف الضريبة موزعة. لذلك فانه الى المدى الذي يكون فيه النظام الضريبي عـدوانيا ـ اي الناس الاغنياء يدفـعون اكثر وفي الواقع يدفـعون نسبة اعلى، الامر الذي يفترض فيه على نحو صحيح ان يكون المعيار الاخلاقي الوحيـد، في كل المجتـمعات الصناعـيةـ فـان تكاليف الرعاية الصـحية مـوزعة بتكاليف اكثر على الاكثر ثراء.

ان البـرامج كلـهـا التي يتم اقـتـراحــهـا هنا هي برامج عـدوانـيـة بشكل راديكالي. انهـا برامج عديـمة النكهة، لان الحـاجب في شـركة مـتحـدة والمدير التنفيذي فيها يدفعان المبلغ نفسه. اي كأنهـما كليهما قد دفعا الضرائب نفسها، وهو الامر الذي لم يتم السمـاع به في اي مجتمع متحـضر. ان هذا الامر نادرا ما تمت مناقشتـه. ان تتفحص هذا الامر، فانه اسوأ. ان هذا الامـر سينتهي بان

من المحتمل ان يدفع الحاجب اكثر، والسبب في ذلك ان الحاجب يعيش في حي فقير في مكان ما، في حين ان المدير التنفيذي يعيش في ضاحية ثرية او في قلب المدينة التجاري، وسوف ينتميان الى تصنيفات صحية مختلفة، وسينتهي الامر الى ان المجموعة التي ينتمي الحاجب اليها سوف تشمل الكثيرين من الناس الاكثر فقرا ومخاطرة. ان شركات التأمين سوف تطلب منهم اجورا اعلى من تلك التي تطلبها من المدير التنفيذي الذي هو من طبقة اناس اكثر ثراء واقل مخاطرة. وهكذا سينتهي الامر الى ان الشخص الفقير، من المحتمل ان يدفع اكثر على المدى البعيد. ان هذه صفات لا تصدق ضمن أي شكل من اشكال التخطيط الاجتماعي. وهي كلها مبنية في داخل هذه الخطط كلها. انها نادرا ما تم بحثها.

د.ب: عند الحديث عن الضرائب، هناك كتاب صدر حديثا لمراسلين من صحيفة Philadelphia Inquirer وضعا له اسماً هو America: Who Pays the Taxes وعلى نحو جلي فانهما يقدمان دليلا في ذلك الكتاب يبين ان مبلغ الضرائب المدفوع في الولايات المتحدة من قبل الشركات المتحدة قد انخفض على نحو دراماتيكي.

ذلك مؤكد. وقد كان ملفتا للنظر خلال الخمسة عشرة سنة الاخيرة. في الواقع، ان النظام الضريبي كله نظام معقد على نحو زائد. وقد درسه الناس لسنوات عديدة. وكان (جوزف بيكمان) احد المتخصصين البارزين قد اشار الى انه بالرغم من التقدمية التي بنيت في النظام الضريبي، الا ان هناك عوامل عدوانية مدخلة في كل انواع الاساليب التي تنتهي لتجعله نسبة مئوية ثابتة تقريبا.

د.ب: دعنا نتحدث عن (ريتشارد نيكسون) بشكل مختصر. فلقد ولدت وفاته الكثير من الجعجعة. وقال (هنري كيسنجر) في تابينه:

«العالم مكان افضل، مكان اكثر امنا بفضل ريتشارد نيكسون». انني على ثقة بانه كان يفكر في لاووس كمبوديا، وفي فيتنام. دعنا نركز على مكان واحد لم تتم الاشارة اليه اطلاقا في وسائل الاعلام، وهو تشيلي، ولنر كيف انها «مكان افضل واكثر امنا». في بدايات شهر ايلول ١٩٧٠، تم انتخاب سلفادور الليندي من خلال انتخابات ديمقراطية، ماذا كانت سياسات الليندي؟

كان الليندي ديمقراطيا اجتماعيا، قريبا جدا من الشخصية الاوروبية. وكان متناسبا جدا مع الطيف الاجتماعي الديمقراطي في اوروبا. كانت تشيلي مجتمعا طبقيا، وكان الليندي يدعو الى اعادة التوزيع لمساعدة الفقراء. كان طبيبا، وكان احد الاشياء التي قام بها تدشين برنامج الحليب المجاني لنحو نصف مليون من الاطفال الفقراء وذلك للتغلب على مشكلات سوء التغذية والعجز عند الاطفال والتي هي من قضايا الصحة الرئيسة، كما كنا قد ناقشنا ذلك. دعا الى تأميم الصناعات الرئيسة ـ الصناعات الاستخراجية الرئيسة ـ من اجل نظام اجتماعي، ومن اجل سياسة استقلال عالمي، اي عدم الخضوع للولايات المتحدة.

د.ب: هل كانت تلك انتخابات حرة وديمقراطية؟

ليس كلية، لانه كانت هناك محاولات رئيسة لتعطيل ذلك، واعني من قبل الولايات المتحدة. وهذا يرجع الى زمن بعيد. على سبيل المثال، في الانتخابات السابقة، عام ١٩٦٤ ـ خلال الاستعداد لتلك الانتخابات ايام ادارة كيندي، وقد تمت الانتخابات الفعلية ايام جونسون ـ تدخلت الولايات المتحدة بشكل ضخم في محاولة للحيلولة دون نجاح الليندي. وحينما حققت لجنة تشيرش في هذا بعد سنوات، اكتشفت ان النفقات التي دفعت للمرشح الذي فاز في النهاية ـ الشخص الذي ايدته الولايات المتحدة ـ كانت اعلى من تلك

النفقات المخصصة للمرشحين الامريكيين جونسن و غولدووتر، في الانتخابات الامريكية التي جرت، في السنة نفسها. وذلك مقياس لمدى التدخل الامريكي لتعطيل انتخابات ١٩٦٤.

المعايير الاخرى نفسها تم القيام بها سنة ١٩٧٠ في محاولة للحيلولة دون اجراء انتخابات حرة وديمقراطية. كانوا اسخياء جدا. كانت هناك كميات ضخمة من الحملات الدعائية حول كيف اذا فاز الليندي فان الامهات سوف يرسلن ابناءهن الى روسيا ليصبحوا عبيدا، وهلم جرا. وحذرت الولايات المتحدة من انها ستدمر الاقتصاد، وباستطاعتها ان تفعل ذلك، وقد فعلت في الحقيقة. لذلك فان الانتخابات لم تكن حرة وديمقراطية بكل معنى الكلمة. كان هناك تدخل خارجي مكثف في محاولة لتعطيلها.

د.ب: وبرغم ذلك، فان الليندي فاز وبعد مرور ايام قليلة على انتصاره في الانتخابات، دعا نيكسون مدير وكالة الاستخبارات المركزية (ريتشارد هيلمز) وكيسنجر، وآخرين، الى اجتماع يتعلق بتشيلي. هل باستطاعتك وصف ما حدث؟

ذلك هو الاجتماع الذي دعي «لجنة الاربعين» التي ترأسها كيسنجر. وكما اورد هيلمز في ملاحظاته كان هناك مساران، المسار المعتدل والمسار المتشدد. كان المسار المعتدل يتمثل في «جعل الاقتصاد يصرخ». تلك كانت كلمات نيكسون. اما المسار المتشدد فكان يهدف الى قيام انقلاب عسكري. وقد دعيا بالمسار الاول والمسار الثاني. وقد ظهر الكثير من هذا فيما بعد في تحقيقات لجنة تشيرش.

وتولى السفير (ادوارد كوري) الذي كان من انموذج كيندي الليبرالي، مهمة تنفيذ المسار الاول، الخط المعتدل. دعني اقتبس لك كلماته (كوري) فيما يتعلق بماهية المسار الاول: كان المسار الاول يعني «القيام بكل ما هو في طاقتنا

من اجل الحكم على تشيلي والتشيليين بالحرمان والفقر الى الحد الاقصى، سياسة مصممة على المدى الطويل من اجل الوصول الى مرحلة التعجيل بالصفات القاسية لمجتمع شيوعي في تشيلي». ذلك هو الخط المعتدل، واعني جعلهم يعانون من الحد الاقصى للحرمان والفقر، وهكذا سوف يتعلمون من الآن فصاعدا بان من الافضل لهم ان يصوتوا وفق الطريقة التي نقولها لهم. ذلك هم ليبراليو كينيدي. اما الخط المتشدد فكان يتمثل فقط في القيام بانقلاب عسكري.

د.ب: كانت هناك حملات مكثفة من التضليل الاعلامي وزعزعة الاستقرار وقامت .C.I.A بزرع قصص في El- Mercurio واثارت اضطرابات واضرابات عمالية.

لقد قاموا فعلا بازالة العوائق فيما يتعلق بهذا الامر. وفيما بعد، حينما حدث الانقلاب العسكري وتمت الاطاحة بالحكومة، فانك وجدت آلاف الناس وقد تم ذبحهم وسجنهم، وتعذيبهم. ثم غيرت الولايات المتحدة موقفها، وقدمت دعما هائلا لحكومة بينوشيه الجديدة كمكافأة لها على انجازها في قلب الديمقراطية التشيلية واقامة دولة رعب قائلة على النمط البرازيلي. وهكذا، فان المعونة الاقتصادية التي كانت قد الغيت بدأت في التدفق مباشرة. كانت الولايات المتحدة قد أحبطت معونة دولية. ثم قدمت اعتمادات ضخمة من اجل القمح، وكل مساعدة ممكنة تم تقديمها.

مسألة التعذيب عرضت على كيسنجر من قبل السفير الامريكي، فاسمعه كيسنجر توبيخاً رسميا حاداً: لا تعطني ايا من محاضرات العلوم السياسية تلك. اننا لا نهتم بالتعذيب. اننا نهتم باشياء هامة. وشرح ايضا ما هي الاشياء المهمة.

كان مهتما ـ كما قال ـ بان نجاح الليندي، نجاح ديمقراطية اشتراكية في تشيلي، سيكون ناقلا للعدوى. انه سوف يعدي جنوبي اوروبا، مثل ايطاليا، ويؤدي الى نجاح محتمل لما كان يسمى آنذاك بالشيوعية الأوروبية هناك، اي ان الاحزاب الشيوعية كانت تسير في اتجاه ديمقراطي اشتراكي متعلقة باحزاب ديمقراطية اشتراكية. في الواقع، كان الكرملين معارضا لذلك قدر معارضة كيسنجر. فقد كان متخوفا من ان مثال العدوى للنجاح في تشيلي في ظل نظام اصلاحي ديمقراطي يمكن ان يعدي اماكن مثل ايطاليا.

ان ذلك يخبرك بماهية نظرية الدومينو على نحو واضح جداً . فحتى كيسنجر لم يؤمن بان الجيوش التشيلية كانت ستتقدم نحو روما. انها لم تكن ليكون لها ذلك النوع من التاثير. ان التأثير سيكون عرض اثر تطور اقتصادي ناجح، حيث الاقتصاد هنا لا يعني فقط فوائد لصالح الشركات المتحدة الخاصة، ولكن دولة المواطنين العامين. ان ذلك امر خطير. فان يبدأ ذلك بالحصول فانه سيكون له اثر مُعدٍ. لذلك فان تفكير كيسنجر كان صحيحا تماما. وكذلك موجبا. ففي تلك التعليقات كشف القصة الاساسية للسياسة الخارجية الامريكية لعقود عدة.

د.ب: انك ترى ذلك الاتجاه يكرر نفسه في نيكاراغوا في سنوات الثمانينات.

في كل مكان. الامر نفسه كان صحيحا في فيتنام، في كوبا وكان صحيحا في غواتيمالا، واليونان. دائما، تلك هي القصة الرئيسة. التهديد بانه سيكون هناك اثر مُعدٍ للتنمية الناجحة.

د.ب: ايضا قال كيسنجر، وهو يتحدث عن تشيلي مرة اخرى: «لا ارى سببا يوجب علينا ان نقف جانبا وندع بلدا ليصبح شيوعيا بسبب عدم مسؤولية شعبه».

هذا هو خط مجلة الايكونومست، حيث يجب علينا ان نتأكد من ان السياسة معزولة عن السياسات. ان يكن الناس غير مسؤولين، فانه يجب ان يكونوا منقطعين عن النظام. وكيسنجر مثال صارم لما دعاه جيفرسون بـ «الارستقراط» مع ازدراء كلي للديمقراطية وتفان تام لخدمة السلطة.

د.ب: وانكر ايضا بوصف سيمور هيرش لكيسنجر جالسا في المكتب البيضاوي، في حين كان نيكسون يتبجح ويهذي حول اليهود، مبديا ملاحظات معادية للسامية، وكان هو يجلس هناك لا يقول شيئاً.

وكان ايضا جالسا هناك في حين ان اشياء اسوأ كانت تقال عن السود. وكان يشارك بها في الواقع. ان عرقية ادارة نيكسون كانت مرعبة. حينما اعطى نيكسون تعليمات الى كيسنجر حول كيفية كتابة اول خطاب له عن دولة الامة، قال له: «ضع فيه شيئا عن الجغ». وقد اومأ كيسنجر ظاهريا موافقا او مطمئنا. الجغ هم الان من السود.

د.ب: ماذا عن دور .C.I.A في مجتمع ديمقراطي؟ هل هو ترادف؟

باستطاعتك ان تتصور مجتمعاً ديمقراطياً فيه مؤسسة تقوم بوظيفة جمع المعلومات الاستخبارية. لكن ذلك جزء قليل جداً مما تفعله .C.I.A ، والتي هي اساسا فرع من السلطة التنفيذية تقوم بتنفيذ نشاطات سرية وغير عادية وغير قانونية، يريدها الفرع التنفيذي. انها تريد لنشاطاتها ان تبقى سرية لانها تعلم ان الشعب لن يوافق عليها. ولذلك فانها غير ديمقراطية حتى على الصعيد المحلي. ان النشاطات التي تنفذها هي مساع لتقويض الديقراطية، كما تظهر الحالة التشيلية خلال سنوات الستينات وحتى مطلع سنوات السبعينات بوضوح كبير. انها ليست الحالة الوحيدة الى حد بعيد. وعلى الرغم من اننا نتحدث

عن نيكسون وكيسنجر، فان سياسات مشابهة كان يتم انتهاجها من قبل كل من كيندي وجونسون مع بداية الانتخابات التشيلية.

د.ب: هل .C.I.A اداة لسياسة الدولة ام انها تشكل السياسة؟

ليس باستطاعتك ان تكون متأكدا من ذلك. ومن وجهة نظري، فان .C.I.A خاضعة لمراقبة السلطة التنفيذية الى حد كبير جداً. وقد درست تلك السجلات بشمول في حالات عديدة، ولم تكن هناك الا حالات نادرة جداً قامت فيها .C.I.A بمبادرات وفق هواها. وفي احوال كثيرة تبدو .C.I.A وكأنها تقوم بمبادراتها وفق هواها، لكن ذلك بسبب ان السلطة التنفيذية تريد الاحتفاظ بامكانية الانكار والنفي. ان السلطة التنفيذية، لنقل، كيندي، لا تريد ان تكون هناك وثائق تنشر هنا هناك وتقول انني طلبت منك ان تقتل لومومبا. ذلك هو ايزنهاور في تلك القضية. او، لقد طلبت اليك ان تطيح بحكومة البرازيل. انهم لا يريدون مثل تلك الوثائق هنا وهناك. او، لقد اردت منك ان تغتال كاسترو. او ربما ايا كان. ان السلطة التنفيذية تريد ان تكون محمية من مثل ذلك الانكشاف. وكنتيجة، فانهم يحاولون اتباع سياسات النفي والانكار المقبولة ظاهريا، والتي تعني ان رسائل قد وجهت الى .C.I.A للقيام باشياء ولكن بدون اوراق تنشر، وبدون سجلات. وحينما تظهر القصة فيما بعد، تبدو وكأن .C.I.A تقوم باشياء وفق هواها وعلى مسؤوليتها. ولكن ان تتبع ذلك حقيقة، فاني اعتقد انها هذا لم يحدث ابداً على الاعلم الاغلب.

د.ب: دعنا نبقى، حسب تعبير (هنري ستمسون) في «منطقتنا الصغيرة هنا التي لم تزعج احدا ما على الاطلاق» امريكا اللاتينية والكاريبي. دعنا ننتقل من تشيلي في سنوات الستينات والسبعينات الى هايتي في سنوات التسعينات. فقد تم انتخاب (جين برتراند

ارستيد) رئيسا في شهر كانون الاول عام ١٩٩٠ضمن ما وصف على نطاق واسع بانه انتخابات حرة وديمقراطية. واعتقد انه حصل على ٦٧٪ من اصوات الناخبين. وبعد مرور سبعة اشهر على تسلمه السلطة، يطاح به من خلال انقلاب. هل ترى اي ارتباط هناك مع سياسة الولايات المتحدة؟

حينما فاز ارستيد كان الامر مفاجأة كبيرة. لقد وصل الى السلطة بقوة من خلال شبكة من التنظيمات الشعبية الاساسية، التي كانت تسمى Lavalas الطوفان، والتي لم يكن المراقبون الخارجيون على وعي بها. انهم لا يعيرون انتباها لما يحدث بين اوساط الناس الفقراء. كان هناك تنظيم شامل جدا وناجح جدا. جاءت هذه الشبكة الضخمة من التنظيمات الريفية الشعبية المنظمة وعملت على دفع مرشحها بقوة الى السلطة. لقد توقعت الولايات المتحدة ان مرشحها، مسؤول البنك الدولي السابق (مارك بازين) سيكسب الانتخابات وحصل على كل الموارد والدعم. كانت الولايات المتحدة راغبة في تأييد انتخابات ديمقراطية، وهي تحسب ان مرشحها سيفوز بسهولة. وقد خسر. لقد حصل على ١٤٪ من اصوات المقترعين في حين حصل ارستيد على ٦٧٪. والسؤال الوحيد الذي كان يجب ان يدور في ذهن اي شخص في ذلك الوقت هو كيف ستتخلص الولايات المتحدة منه، للكثير من الاسباب التي اوضحها كيسنجر في قضية تشيلي. ذلك متسق وثابت حيث السؤال الرئيسي كان: ما الوسيلة للتخلص من هذه الكارثة.

لقد اصبحت الكارثة اسوأ خلال الشهور الاولى من تولي ارستيد السلطة. فخلال هذه الشهور السبعة كانت هناك تطورات مدهشة. ان هايتي بلد شديد الفقر، ذو ظروف شنيعة. كان ارستيد قادراً على الاقلال من الفساد، وضرب البيروقراطية المنتفخة، وكسب الكثير من الاطراء العالمي على

هذا، وحتى من مؤسسات الاقراض الدولية، مثل صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، اللذين كانا يقدمان له القروض والشروط التفضيلية لانهما احبا ما كان يفعله. كان يحصل على دعم مستقل من خارج الولايات المتحدة. اضافة الى هذا، فانه عمل على قطع حركة مرور المخدرات. واخيراً، توقف تدفق اللاجئين الى الولايات المتحدة. وقلت البشاعات والفظائع التي كانت ترتكب عن الحد الذي كانت عليه او الذي كانت ستصبح عليه. لقد اصبحت قليلة جداً. كانت هناك درجة جديرة بالاعتبار من الانهماك الشعبي فيما كان يجري، على الرغم من ان التناقضات قد بدأت بالظهور. كانت هناك قيود على ما استطاع القيام به، قيود خارجية.

كل هذه الامور جعلت الانتخابات الديمقراطية غير مقبولة، وغير محبذة من وجهة نظر السياسة الامريكية، وبالفعل تحركت الولايات المتحدة في الحال في محاولة لتقويضها من خلال ما سمي «برامج التعزيز الديمقراطي». الولايات المتحدة لم تهتم على الاطلاق فيما يتعلق بمركزة السلطة التنفيذية حينما كان ديكتاتوريوها المحبذون هناك، واصبحت فجأة منهمكة في محاولة لايجاد مؤسسات بديلة لتقويض السلطة التنفيذية من اجل ديمقراطية أكبر. ان عدداً من هذه المجموعات، التي زُعم انها مجموعات حقوق الانسان ومجموعات عمالية، نجت من الانقلاب، واصبحت السلطات الحاكمة بعد وقوع الانقلاب. واستمر ذلك مدة شهرين. في الثلاثين من ايلول عام ١٩٩١ وقع الانقلاب. وأعلنت منظمة الولايات الامريكية المقاطعة، وانضمت الولايات المتحدة اليها ولكن مع معارضة واضحة. كانت ادارة بوش فعلا تسحب قدميها .كان ذلك واضحاً تماماً. لقد ركزت الحكومة الانتباه على فظائع مزعومة او نشاطات غير ديمقراطية لارستيد، مقللة من اهمية الفظائع والشناعات الرئيسة التي كانت تحدث حينئذ، وتعاونت معها وسائل الاعلام.

ففي حين كان الناس يذبحون في شوارع بورت اوبرنيس، كانت وسائل الاعلام تركز على اساءات مزعومة لحقوق الانسان في ظل حكومة ارستيد، وهو النموذج المعتاد. ونحن على ألفة بذلك. وبدأ اللاجئون بالتدفق مرة ثانية لان الوضع كان آخذاً بالتدهور بسرعة كبيرة. حاصرتهم ادارة بوش، وفرضت حصاراً لاعادتهم. وخلال شهرين، في مطلع شهر شباط (المقاطعة فرضت في شهر تشرين الاول) كانت حكومة بوش قد قوضت المقاطعة من خلال وضع استثناء، اعني، ان الشركات المملوكة امريكيا مسموح لها بتجاهل المقاطعة.

في غضون ذلك، فان الولايات المتحدة، المعروفة بانها قادرة على ممارسة ضغط حينما تشعر انها راغبة في ذلك، لم تجد وسيلة للتأثير في اي شخص آخر للتقيد بالمقاطعة، بما في ذلك جمهورية الدومينيكان المجاورة. الامر كله كان مهزلة على الاعم الاغلب. وسرعان ما اصبح مارك بازين، مرشح الولايات المتحدة، في السلطة كرئيس للوزراء ومن خلفه الجنرالات الحاكمون. في تلك السنة، ١٩٩٢، استمرت تجارة الولايات المتحدة مع هايتي بمعدل لا يقل كثيرا عن المعيار المعهود على الرغم من المقاطعة المزعومة.

خلال حملة سنة ١٩٩٢ الانتخابية هاجم كلينتون ادارة بوش بقسوة بسبب سياساتها اللاانسانية في اعادة اللاجئين الى غرفة التعذيب هذه التي هي ليست لا انسانية فقط، ولكنها ايضا تخرق بشكل واسع الاعلان العالمي لحقوق الانسان، الذي ندعي التزامنا به. واعلن انه سوف يغير فعلا كل هذا الهراء. وكان اول عمل له كرئيس منتخب، حتى قبل ان يتسلم منصبه، ان جعل الحصار الذي فرضه بوش اكثر قسوة. لقد فرض اجراءات اكثر خشونة وقسوة لاجبار اللاجئين على العودة الى ثقب الجحيم هذا. منذ ذلك الحين كانت القضية هي البحث عن اي نوع من الحيلة سيتم القيام بها لضمان عدم عودة تلك الحكومة المنتخبة شعبيا الى السلطة. وكان ذلك يتطلب سنة ونصف سنة

اخرى. في الوقت نفسه ازداد الارهاب. ازدادت الفظائع. والتنظيمات الشعبية اخذت تتعرض للهلاك. الناس يعانون.

في غضون ذلك استمرت تجارة الولايات المتحدة، وفي الواقع، ازدادت الى ما يقارب نحو ٥٠٪ في ظل ادارة كلينتون، في ظل المقاطعة المزعومة. حقيقة فان هايتي - التي هي جزيرة تموت جوعاً - تقوم بتصدير الغذاء، و الفواكه والمكسرات الى الولايات المتحدة، في ظل ادارة كلينتون. وقد ارتفع هذا بنحو ٣٥٪ في ظل ادارة كلينتون مقارنة مع ادارة بوش. قواعد لعبة البيسبول اصبحت الآن محكمة. وهذا يعني ان النساء اللواتي يعملن في المصانع المملوكة امريكيا، يحصلن على عشرة سنتات في الساعة، اذا استوفين حصتهن. وطالما انهن عادة لا يحصلن على حصتهن، فان اجورهن تنخفض الى الخمسة سنتات في الساعة .انهن لا يبقين هناك طويلاً.

لقد استمر هذا كله، بل ازداد، حقيقة، ايام كلينتون. في الوقت نفسه، فان ظروف العودة الاجبارية للاجئين اصبحت اكثرة قسوة. لقد ازداد الارهاب، والتعذيب. ان الولايات المتحدة حاولت لفترة طويلة جعل ارستيد «يوسع حكومته لمصلحة الديمقراطية» وتوسيع الحكومة عبارة تعني نبذ ثلثي الناس الذين اقترعوا لصالحك. انهم الناس الخطأ. أحضر مكانهم ما يسمى «العناصر المعتدلة» من مجتمع الاعمال، اولئك الذين لا يفكرون في انك مضطر لذبح كل الناس وتقطيعهم الى قطع، وقطع وجوههم وتركهم في الخنادق. هؤلاء هم المتطرفون. المعتدلون يفكرون في انك مضطر لجعلهم يعملون في مصانعك مقابل اربعة عشر سنتا في الساعة في ظل ظروف من نوع تلك الظروف التي وصفتها. هؤلاء هم المعتدلون، لذلك قربهم وأعطهم السلطة وحينها سوف تكون لدينا ديمقراطية حقيقية. لكن، للأسف، فان ارستيد، الذي هو من النوع المتخلف والتمزيقي وكل سلسلة الكلمات السيئة،

لم يكن مستعدا للتماشي مع ذلك. وبناء عليه فان الولايات المتحدة قد اخفقت في مساعيها لتوسيع الحكومة واستعادة النظام الديمقراطي.

لقد اصبحت هذه السياسة موضع سخرية شديدة وشائنة لدرجة ان كلينتون فقد تقريبا كل الدعم المحلي الرئيس. حتى الاتجاه السائد في الصحافة يشجبه فيما يتعلق بهذه النقطة. ولذلك فانه يجب القيام ببعض التغييرات التجميلية. لكن ما دام هناك الكثير من الضغط الشعبي الهائل، فان هذه السياسات سوف تستمر بشكل او بآخر، وفي القريب العاجل سوف يكون المعتدلون في السلطة. بل انهم حينئذ سوف يكونون قادرين على اجراء انتخابات ديمقراطية، اذا كان الناس مروّعين بما فيه الكفاية، واذا كانت التنظيمات الشعبية محطمة بما فيه الكفاية، وان يضرب الناس على رؤوسهم بحيث اما انك توافق على حكم اولئك بالسلاح وسيارات الكاديلاك المذهبة او فيما عدا ذلك فانك سوف تعاني من بؤس لا خلاص منه. حالما يدرك الناس هذا، باستطاعتك ان تكون لديك انتخابات ديمقراطية، وستسير الامور كلها بالطريق الصحيح. ان كل شخص سوف يبتهج.

د.ب: خلال فترة منفى ارستيد هذه، طلب اليه ان يقدم تنازلات الى الانقلابيين: الى (سيدراس) والى (فرانسوا).

والى مجتمع الاعمال اليميني.

د.ب: هذا شيء من البذاءة بالنسبة الى الضحية، الطرف المضطهد، ان يقدم تنازلات الى جلاديه.

ان هذا ممكن ادراكه تماماً. لقد كانت الولايات المتحدة شديدة المعارضة لحكومة ارستيد. لقد كانت لها القاعدة الخطأ من الدعم والسلطة. ان ما يفترض القيام به هو التخلي عن السلطة لاولئك الذين يعتمد عليهم. ان

الولايات المتحدة ليست لها مصلحة معينة مع سيدراس وفرانسوا، وانما لديها الكثير من المصالح مع قطاعات عالم الاعمال المرتبطة بالشركات المتحدة الامريكية. اعني الناس الذين هم المالكون المحليون او المديرون المحليون لمصانع النسيج. اولئك المرتبطون مع قطاع الاعمال الزراعية الامريكي. اولئك هم الناس الذين يفترض ان يكونوا في السلطة في كل مكان. حينما لا يكونون في السلطة لا يكون الامر ديمقراطيا وبالتالي علينا ان نقدم تنازلات لايصالهم الى السلطة.

د.ب: دعنا نَقُلْ ان ارستيد «أعيد» الى السلطة. فما هو المتوقع منه ومن البلاد؟

ان بعض الملاحظات الاكثر دقة فيما يتعلق بهذا قد وضعت من قبل الفرع الامريكي لـ Human Rights Watch. فقبل سنة نشروا تقريرا جيدا وصفوا فيه ما كان يحدث. وقد ادلوا باجاباتهم عن ذلك السؤال، والتي اعتقدوا انها كانت مقبولة ظاهريا. قالوا: لقد وصلت الامور الى نقطة (هذا قبل سنة) انه حتى لو أعيد ارستيد، فان المجتمع المدني ـ المفعم بالحيوية والنشاط، المستند الى تنظيمات ريفية والتي اوصلته الى السلطة ـ سيكون قد اهلك، بحيث لا يبدو انه سيحظى بالتأييد الشعبي للقيام باي شيء. لست أدري ان كان ذلك صحيحا ام لا. لا احد يعلم اكثر مما يعلمه اي شخص حول كم كانت قوية تلك المجموعات في المقام الاول. ان الكائنات البشرية لديها احتياطات من الشجاعة يصعب في احوال كثيرة تصورها. لكن اعتقد ان تلك هي الخطة. الفكرة هي محاولة إهلاك التنظيمات، تخويف الناس بما يكفي، لدرجة انها ليست بذات قضية ان تكن لديك انتخابات ديمقراطية ام لا.

كان هناك مؤتمر مثير اشرف اليسوعيون عليه في ال سلفادور. وقد صدر التقرير النهائي للمؤتمر في شهر كانون الاول من هذا العام. ناقشوا قضايا من

هذا النوع. كان هذا قبل شهور عدة من الانتخابات السلفادورية. كانوا يتحدثون عن الدعاية الواسعة للانتخابات، وناقشوا ـ كما فعل الكثيرون من الناس ـ الارهاب الدائر الذي كان هائلاً، وما كان مرسوماً لابقائه في اذهان الناس من حيث ان الافضل لك ان تصوت بالطريقة الصحيحة. لكنهم اشاروا ايضا الى شيء آخر اكثر اهمية، وهو التعامل مع الآثار طويلة المدى للارهاب. وكانت لديهم خبرة طويلة بهذا الامر. الآثار طويلة المدى للارهاب ـ قالوا ـ «هي ترويض طموحات الناس» واقلال طموحاتهم الى ما دون تلك الخاصة بالاقوياء واصحاب الامتيازات. ان الرعب يغرس في عقول الناس الفكرة القائلة بانه ليس هناك من بديل. اطرد اي امل. روض الطموحات. إخضع نفسك امام القوي. حينما يتم الوصول الى ذلك الانجاز، ربما بواسطة الارهاب الضخم والمروع، كما هو الامر عليه في السلفادور، فان باستطاعتك بعد ذلك اجراء انتخابات ديمقراطية دون كثير خوف.

د.ب: ان سياسة الولايات المتحدة فيما يتعلق باللاجئين هي في تباين شديد. لقد اشرت الى ذلك بايجاز. ان اللاجئين الكوبيين يعتبرون سياسيين ويتم قبولهم مباشرة في الولايات المتحدة، في حين ان اللاجئين الهايتيين يعتبرون لاجئين اقتصاديين ويرفض دخولهم.

ان ذلك يتم تقريره من قبل سلطات الهجرة، باعتبار انهم لم يتم التدقيق عليهم ابداً. في الواقع، ان تتفحص السجلات، فان الناس الذين يرفض منحهم اللجوء يعانون من اضطهادات هائلة. فقط قبل اسبوعين كان هناك تسريب لخبرين من دائرة الهجرة ومنح الجنسية (INS). الخبر الاول يتعلق بمسؤول مكتب هايتي والذي تم اكتشافه من قبل دينيس برنشتين في KPFA، والذي اجرى مقابلة معه. كان يعمل في سفارة بورت اوبرينس، وقد وصف

كيف انهم لم يكونوا يقومون حتى بالمحاولات الاكثر روتينية لتدقيق الاوراق الاعتمادية للناس الذين كانوا يتقدمون بطلبات اللجوء السياسي لانهم لا يريدونهم. في الوقت نفسه تم تسريب وثيقة من كوبا، من قسم رعاية المصالح الامريكية في هافانا، الذي يدقق باوراق اللجوء وتتشكى من حقيقة انهم لا يستطيعون العثور على قضايا لجوء سياسي حقيقية. ان الناس الذين يطلبون اللجوء لا يستطيعون فعلا الادعاء بوجود مضايقات خطيرة من خلال المقاييس العالمية وحتى الامريكية. وعلى الاغلب فانهم يدعون بوجود انواع مختلفة من المضايقات التي لا تؤهلهم ان يكونوا لاجئين سياسيين. انهم يشعرون بالقلق من هذا. لذا هنا القضيتان، جنبا الى جنب. تجب عليّ الاشارة الى ان وزارة العدل الامريكية قد احدثت تغييرا طفيفا في القانون الامريكي يجعل انتهاك القانون الدولي والاعلان العالمي لحقوق الانسان اكثر غرابة. لقد قررت ان اللاجئين من هايتي الذين يصلون الى المياه الاقليمية الامريكية بمعجزة ما، يجوز ان يعاد تسفيرهم على متن السفن. وهذا لم يكن مسموحاً به من قبل. انني اشك في ان بلدا صناعيا آخر يسمح بذلك.

د.ب: هل لديك بضعة دقائق اخرى.

اني متأسف اذ لدي موعد آخر. من المحتمل انهم يحاولون الاتصال بي على الخط الآن.

د.ب: حسنا. دعنا ننتهي. شكراً جزيلاً. سنتحدث عما قريب.

المحتويات

ضبط الرعاع

هذا الكتاب

هذا الكتاب تكملة لكتاب Chronicles of Dissent. وفي هذه المجموعة من المقابلات، يركز نعوم تشومسكي على قضايا الاقتصاد والتجارة والنظام العالمي الجديد الآخذ بالبزوغ. وفي حين تقدم وسائل الاعلام لنا وجية و. ج. سمبسون وتونيا هاردنغ، فان تحولات هامة تحدث على المسرح الدولي. وكما يشير تشومسكي، فان الدول القومية تصبح عرضة للتحدي من قبل سلطة وامتداد الشركات المتحدة المتجاوزة للحدود القومية. ولعل هذه الشركات هي الميزة البارزة للحقبة القادمة. ان رد فعلنا سيكون حاسماً. ومرة اخرى وأخرى فان تشومسكي في هذه المقابلات - وفي غيرها - يطرح الحاجة الى التنظيم والى أن نكون نشطين. ان الاستهلاك المنفعل للاعلام ليس كافيا. والغوغاء تأمل في ان تجعل الشعب يتحرك في اتجاه عملي، على شكل اعمال احتجاج، والاشتراك في او انشاء اذاعة عامة، انتاج وتوزيع فيديو، انشاء مكتبات، اصدار نشرة، او عقد حوارات في غرفة المعيشة في بيتك مع بضعة اصدقاء.

الأهلية للنشر والتوزيع
المملكة الأردنية الهاشمية - عمان / وسط البلد
خلف مطعم القدس ص.ب ٧٧٧٢ - هاتف ٦٣٨٦٨٨
فاكس ٦٥٧٤٤٥ ◆ منشورات العام ١٩٩٧م
◆ الغلاف: زهير أبو شايب.